الأمانة العامة
للعتبة الحسينية المقدسة

مهرجان تراتيل سجادية العاشر

خواطر تأويليّة

قراءة في التراث الفكري للإمام

علي بن الحسين عليه السلام

الأستاذ المتمرّس
الدكتور حاكم حبيب الكريطي

دار الوارث للطباعة والنشر

عنوان الكتاب : خواطر تأويليّة قراءة في التراث الفكري للإمام علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ

إعـداد : الدكتور حاكم حبيب الكريطي

الناشر : الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة - مهرجان تراتيل سجادية العاشر

الإشراف والتنسيق والمتابعة : السيد جمال الدين الشهرستاني

المطبعة : دار الوارث للطباعة والنشر

الطباعة : الأولى

سنة النـشر : ٢٠٢٤م - ١٤٤٦هـ

عدد الصفحات : ١٥٦

محفوظة جميع الحقوق

دار الوارث للطباعة والنشر
DARALWARITH Printing & Publishing

العراق - كربلاء المقدسة
المكتب الرئيسي، سيف سعد خلف المخازن الغذائية
٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٤ - ٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

بالله نستعين وعليه نتوكل

الحمد لله الذي خلق فسوّى، وقدّر فهدى، وعلم بالقلم، علّم الإنسانَ ما لم يعلمْ، والصّلاة، والسّلامُ على خير من مشى على الأرض، وسيّد الأنام أبي القاسم محمّد، وعلى آله البدور التِّمام....

وبعدُ...

فبفضلِ الله عزّ وجلّ، ومنّهِ وصلْنا إلى النُّسخةِ العاشرة من مهرجان(تراتيل سجّاديّة) المخصّص في سيرة، الإمام السّجّاد، وحياته، وتراثه، ولكلّ سنةٍ شعارٌ، ومشاركون جددٌ، ومطبوعاتٌ جديدة، وباحثون يقدّمون بحوثَهم على قاعات الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة إنّ قيمة الصحيفة السجّاديّة(زبور آل محمّد) واضحةٌ في أعداد الشروح التي تناولتْها، والأعلام الذين اشتغلوا بها، وعليها، والصّحيفة هي من نتاج حياة الإمام عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبٍ(عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) ؛ فكان التّركيز من قبل علمائنا، وكتّابنا، و أدبائنا على هذا الإرث الثريّ بالتّقوى، والعلم، والأدب، والهداية.

إنّ ما يثير الدهشة، والانتباه وفي لقاءاتنا مع المفكّرين، وعلماء الأديان الأخرى، ولا سيّما المسيحيّون وجدتُ لديهم الاهتمامَ الكبيرَ بالصّحيفة السجاديّة، والمناجاة الخمس عشرة، ورسالة الحقوق للإمام زين العابدين(عَلَيْهِ السَّلَامُ).

ونحن نقدّم لكم هذ الكتاب مشاركةً، ودعمًا لمكتبة الإمام زين العابدين عليّ بن الحسين(عَلَيْهِمَا السَّلَامُ) علمًا أنّ الأمانة العامّة للعتبة الحسينيّة المقدّسة، وبتكليفها إدارة المهرجان لاستقبال كلّ ما يصدر من جديدٍ في الإمام زين العابدين السجّاد(عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وطوال العام.

السيد جمال الدين الشهرستاني
رئيس اللجنة التحضيرية
لمهرجان تراتيل سجادية

الإهداء

إلى ولديَّ : محمد و علي

أوصيكما مرةً أخرى بتقوى اللهِ والصلاح وطلب العلم

رعاكما الله

المقدمة

تـرك لنـا أئمةُ أهلِ البيت عليهم السـلام تراثاً فكريّاً ثرّاً، شـكّل ركناً رئيسـاً من أركانِ العقيدةِ الإسلاميّةِ ،يبدأ من الأحاديثِ النبويّةِ الصحيحةِ التي رويتْ عنهم ،ثم تراثُ أمير المؤمنين عليه السلام الواصل إلينا في نهجِ البلاغةِ ، الخطب والكتب والكلمـات القصـار، وقل مثل هذا عن تراثِ المعصومين الآخرين عليهم السـلام، وسـنقف في هذا الكتاب على نصوصٍ من الصحيفة السـجّادية التي تُشـكّلُ إرثاً دينيّـاً ومعرفيّـاً وفكريّـاً ، يُنبـئ عن علمٍ لدنّـيٍّ ، كان ذخيرةَ الإمـامِ التي تركها للمسلمين عامّةً.

ونصوصُ الصحيفةِ السـجادية تنفتح على دلالات لا تنتهي ، لما فيها من سـمات أسـلوبيَّة تنهـضُ بحمولاتٍ معرفيّةٍ وفكريـةٍ واجتماعيةٍ ... وغـيرِ ذلك، وتتعدد هـذه كلّها بتعـدد الناظرين فيها ، وتختلف عن بعضها باختلاف رؤية كل ناظر ، ومعرفتـه ، وتوجّهـه ، وإلى الآن مـا زال نص الصحيفة السـجّادية غضّاً طريّاً مُثمـراً منتجـاً ، ينفتح أمـام العقلِ الذي ينفتـحُ عليه بأناةٍ وتدبّـرٍ ووعيٍّ، وبما يمتلكه العقل(أو صاحب العقل) من مؤهلات لغوية أولاً ، ومن ثم مساند فكرية وعلمية ثانياً ، فلغة الصحيفة السّجّادية على وفق هذه الرؤية تمثل فكر الإمام ـ عليـه السـلام ـ في الدعـاء والمناجاة والتشريـعِ ، بوصفها ضروباً عاليةً من ضروب العبـادة ،تقـتربُ بالعبـد مـن رحمـة الله تعـالى، وفي الوقت نفسـه ، تمثـل(أي اللغـة) أداة نقـل الفكـر إلى المتضرّعـين والدّاعـين، فهـي الأداة والمحتوى في الوقت نفسـه .

واسـتناداً إلى هـذا ، سـنقفُ عنـد مفـردات اللُّغـة وتراكيبهـا، ونحـن نقـرأ النّـصّ السـجّادي قراءة تأويليـة تُتيحُ لنا أنْ نبسـطَ خواطرنا على وفق هذا الفهـمِ ، وقد أغرانـا بها اكتناز هذا النّصّ بدلالات ثـرَّة تختبئ خلف ظاهرهِ

، ولا تقدم نفسها إلّا للناظر ذي الأناة والتدبر والوعي كما أشرنا، فضلاً عما في ظاهرِ النصِّ من علوم ومعارف تُستقبلُ بيُسرٍ .

ومن هنا فقد يتاحُ للقارئ المتعبّد المتدبّرِ تأويلَ ما يقرأ على وفق المعطيات اللغوية التي سمتْ بالنّصّ هذا السّمو الرّوحي والوجداني والمعرفي ، وإن شئت الفلسفي .

إنَّ منهجنا في التدبّر التأويلي في نص الصّحيفة السّجّادية سيكشف لنا عن العلاقات المدهشة بين الألفاظ ، التي تشتبك مع بعضها اشتباكاً دلالياً متيناً يُفضي إلى معارف إلهية ، تتحول بالنص من دعاء منطوق باللسان ، إلى تمثّل للوجود والكون ، بما يقدّمه الإمام ـ عليه السلام ـ من معارف لدنيَّة ، حباه الله تعالى ـــ وقبل ذلك آباءه ـــ بها .

وسنعمد ـــ ونحن بسطِ خواطرنا التأويلية هذه ـــ إلى التوجه نحو المعجم العربي للإفادة مما يعطيه من دلالات للألفاظ ، تلك الألفاظ التي تتحرك في حقول متقاربة ، ثم تدقيق النظر في علاقة هذه الألفاظ مع بعضها وما ينتج عن ذلك كلّه من معان ستكون ـــ كما نأمل ـــ تشكيلاً عقلياً ، يمكن أن يكون دليلاً لقراءات أخرى ، تلتفع بالحسن وتزهو برقيٍّ بيانيٍّ ، نتحسّس فيه لمساتٍ من نهج البلاغة ومن بلاغة الحسن والحسين عليهما السلام ، تفصح عن نفسها لمن يتعبّدُ بها أوّلاً ولمن يقرؤها ثانياً.

ويلوح لنا هنا أمرٌ ، نحسبه مُحدّداً معرفياً ، لا يمكن أن نصرف أنظارنا عنه ، وهو إنَّ هذا النمط من القراءات التأويلية، ينطوي على مخاطر قد تقود إلى الانزلاق والزَّلل عن جادة المعرفة السّوية ، من خلال الابتعاد عن معطيات النّصّ ،والانشغالِ بتوجيه النّصِّ قصراً إلى متاهاتٍ نسأل الله تعالى أنْ يقينا منها، وهذا أمر سنتحاشاه ـــ إن شاء الله تعالى ـــ من خلال التمّسك بالمعاني التي

تقدّمها المعجمات بعد استشارتها ، وبحسب ما يقدّمه السياق من معونة في هذا الاتجاه ، كما أشرنا إلى ذلك . وفي هذا كلّه نستندُ إلى قاعدةٍ نودُّ أنْ نثبتها هنا بعد أنْ أثبتتها قراءاتٌ سابقة لنا ، وهي أنَّ الجذر اللغوي يبقى وفيّاً لأصله في الاستعمالِ الاجتماعيّ ،وإنْ اختلفت السياقات ، وهذا الوفاء للمعنى الأوّل هو المعين الرئيس في هذا النمطِ من القراءة الذي نتبنّاه هنا.

وفي الختام أقول : أردنا من الجزء الأول من العنوان (خواطر تأويلية) ،أنْ نبسط (مَا يُخْطُرُه الله تعالى فِي الْقَلْبِ) وفي البالِ من هواجس معرفيّةٍ عند التدبّرِ في النصوصِ السّجاديّةِ ، ونتّكئ على المنهجِ الذي أشرنا إليه ،وقد جرّبنا هذا المنهج في كتابنا(خواطر تأويلية في قراءة الأحاديث النبويّة/مرويات عبد الله بن مسعود أنموذجاً)،وقد استبشرنا بما أنجزناه هناك ــ وندعو الله تعالى أنْ يكون ذلك في هذا الذي نحن بصددهِ ذخيرةً لنا يوم الوقوفِ بين يديه.

وآخر دعوانا أنْ الحمدُ للهِ ربّ العالمين

حاكم حبيب عزر الكريطي

العراق/كربلاء المقدّسة

شوال/١٤٤٥هـ/ نيسان ٢٠٢٤م

الفصل الأوّل
صورة أهل البيت في الصحيفة السَّجّاديّة

كان لأهـلِ البيـتِ عليهـم السـلام شـأنٌ في أدعيةِ علي بن الحسـين عليه السـلام ومناجاتهِ في الصحيفةِ السجاديةِ ، ولعلَّ من الواضحِ تماماً أنَّ الإمامَ عليه السلام لا يقف بهذا المصطلحِ على أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين ـ عليهم السلام ـ بوصفهـم المصـداق الرئيس لدلالةِ (أهل البيت) ، ولكنّه يشـملُ به نفسَـه ومن يأتـي بعده من الأئمةِ المعصومين الذين تواتـرتْ الأحاديثُ النبويةُ على امتدادهم إلى الحجّةِ بن الحسن ـ عليه السلام ـ وكما سيتبيّنُ هذا الأمرُ بجلاءٍ في موضعٍ آخر من هذا الكتاب.

واسـتناداً إلى هذا سـيكونُ النظـرُ في المصطلحِ على وفقِ هذه الرؤيـةِ إلّا إذا ورد في النّـصِّ تقييـداً للدلالةِ ، فهناك يكون النظرُ على وفقِ المحدّد المرشـدِ إلى المراد.

التفت عليٌّ بنُ الحسـين عليه السـلام إلى أهلِ البيتِ كثيراً في صحيفتهِ ،لأنّهم الثقل الثانـي بعد القرآنِ الكريمِ في تركيزِ العقيدةِ الإسـلاميةِ عـلى وفقِ المنهجِ الربّاني الأصيـلِ ،وذكرهـم بصفاتهم وبنعمِ اللهِ عليهم يثبـتُ في النفوسِ أمرين مهمّين : الأوّل تبصـير المسـلمين بمكانتهـم التي وهبها اللهُ تعالى لهـم ، فهي مكانةٌ إلهيةٌ منتقاة، والثاني : دعوة المسلمين إلى العملِ في شرائعِ دينهم على وفقِ ما يقدّمونه في سـيرهم في الحيـاة ، وهـذا إنْ تحقّـقَ كافٍ ليقـرّب المسـلم من التقـوى التي يريدها الله تعالى لعبادهِ .

والآن سـننظرُ في صورةِ (أهلِ البيتِ) اسـتناداً إلى عناوين فرعيّةٍ استنبطناها من النّصِّ السجادي نفسه وكما يأتي :

النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ :

خـصَّ الإمـامُ علي بنُ الحسـين عليهما السـلام جـدّه صلى الله عليه وآله وسـلم بذكرٍ كثيرٍ في أدعيتهِ، لأنّه يرى أنَّ ذكر النبي وجهاً عظيماً من وجوهِ العبادةِ التي يُتقرّبُ بها إلى الله تعالى ، وسنقفُ على بعضٍ من ذلك فيما يأتي في هذا الدعاءِ ، الذي قسـمّناه على مقاطع استناداً إلى المضامين المؤتلفةِ في كلِّ مقطعٍ[١].

المقطع الأوّل:

((الْحَمْـدُ للـهِ الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمُحَمَّد نَبِيِّهِ صَلَّى الله عَلَيْـهِ وَآلِهِ دُونَ الأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُـرُونِ السَّـالِفَةِ بِقُدْرَتِـهِ الَّتِي لاَ تَعْجِزُ عَنْ شَيْء وَ إِنْ عَظُـمَ، وَ لا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وَإِنْ لَطُـفَ، فَخَتَـمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ وَ جَعَلَنَا شُـهَدَاءَ عَـلَى مَنْ جَحَدَ وَكَثَّرَنا بِمَنِّـهِ عَـلَى مَنْ قَلَّ. اللّهمَّ فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّد أَمِينِكَ عَـلَى وَحْيِكَ، وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَ صَفِيِّكَ مِنْ عِبَادِكَ، إِمَامِ الرَّحْمَةِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَ مِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ، كَمَا نَصَبَ لأَمْرِكَ نَفْسَـهُ، وَ عَرَّضَ فِيْـكَ لِلْمَكْرُوهِ))[٢].

يبدأُ الإمامُ عليه السلام دعاءه بحمدِ اللهِ الذي منَّ عليهم بالنبيّ ـ صلى الله عليه وآلـه وسـلم ـ دون الأمـمِ الماضيةِ والقرونِ السـالفةِ ، وهذا المـنُّ الربّاني عليهم ينقسـمُ إلى ثلاثـةِ وجـوه : الأوّل : المنُّ على أهـلِ البيت عليهم السـلام لأَنَّ النبيَّ صـلى الله عليه وآله منهم وسـيّدهم ، والوجـهُ الثاني يعمُّ قريش والعربَ جميعاً ، والثالث: الإنسـانية عامةً لأنَّ بعثته ـ صلى الله عليه وآله وسـلم ـ للناس كافّة كما في قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

١- ثبتنـا كل مقطـع بتمامه أوّلا ثم بدأنا ببسـطِ خواطرنا على أجزائه ،واكتفينا بتخريجه عل الصحيفة عند ذكره أوّل مرّة.

٢- الصحيفة السجادية الجامعة ٣١.

يَعْلَمُونَ﴾[1].. ولعلَّ الوجه الثالث أقرب الوجوهِ إلى سياقِ كلامِ الإمامِ عليه السلام ،لأنّه جعل الزمن ركيزةً لمرادهِ ،فميّز زمانهم ـ ويلحق به الأزمان اللاحقة ـــ من زمانِ الأممِ الماضيةِ والقرونِ السالفةِ.

والإمامُ عليه السلام يعلمُ أنَّ دعاءه سيدعى به في كلِّ زمانٍ، فيكون الدعاءُ به صالحاً للأزمانِ كلّها ،وللأممِ كلّها باستثناءِ الأممِ السابقةِ . وهذه السمّةُ الإنسانيّةُ من مصاديقِ نبوّةِ النبي صلى الله عليه وآله بدلالةِ الآية السابقةِ موطنِ الشاهد ، وغيرها من آيات القرآن مثل قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[2].

(بِقُدْرَتِهِ الَّتِي لاَ تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وَ إِنْ عَظُمَ، وَ لا يَفُوتُهَا شَيءٌ وَإِنْ لَطُفَ):

فقدرةُ الله تعالى تتساوى فيها الأشياءُ العظيمةُ والأشياءُ اللطيفةُ على السّواء تماما ، والإمامُ يريدُ أنْ يعطينا بياناً لقدرةِ اللهِ تعالى بهذه الموازنةِ بين العظيم واللطيفِ في قضيّةِ بعثةِ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في زمانه والأزمانِ اللاحقةِ ، والحقُّ أنَّ الله تعالى أعطى نبيّه من الصفاتِ ما ميّزه بها من غيرهِ ، كما في الحديثِ: ((فضلت على الأنبياء بستٍّ، أعطيتُ جوامعَ الكلم، ونُصرت بالرعبِ، وأُحلتْ لي الغنائم، وجُعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلتُ إلى الخلقِ كافةَ، وختم بي النبيون))[3].وكلُّ ما ذكر في هذا الحديثِ يشكّلُ مظهراً من مظاهرِ قدرةِ اللهِ تعالى ونعمه على الناس كافةً .

(فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأَ ، وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ، وَكَثَّرَنا بِمَنِّهِ عَلَى مَنْ قَلَّ):

١- سبأ ٢٨.

٢- الأنبياء ١٠٧.

٣- صحيح مسلم ١/٣٧١،سنن الترمذي ٤/١٣٣،دلائل النبوة ٥/٤٧٣.

خصّ الإمامُ عليه السلام هنا أهلَ البيت عليهم السلام بهذا الجزءِ من حمدِ اللهِ تعالى إذ ختم بهم جميع من خلق من الأوّلين والآخرين ، فالسابقون خُتموا بهم ، إذْ كان النبيُّ خاتماً لهم، والآخرين يُختمون بهم بظهور الحجّةِ بن الحسن عليه السلام ، وهنا يكون الختمُ بهم مرّةً أخرى ،وقد ورد عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هذا المعنى في قوله: ((وبنا يختم الله، كما بنا فتح الله))[١].

(وَجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ): فاللهُ تعالى جعلَ أهلَ البيت عليهم السلام شهداء على من أنكر وهو يعلم ما يُريده الله تعالى، فالجحدُ في اللغةِ : الإنكار مع العلم[٢] ،وهذا يتناغم مع قوله تعالى: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}[٣]. أما الشهادةُ فثمّة روايات كثيرة تنبئُ بأنَّ أئمةَ الهدى يطلعون على أعمالِ العبادِ ويكونون شهداء عليها، والشَّاهِدَ هُوَ الْعَالِمُ الَّذِي يُبَيِّنَ مَا عَلِمَهُ[٤].

(وَكَثَّرَنَا بِمَنِّهِ عَلَى مَنْ قَلَّ) : ففضلُ اللهِ تعالى على أهلِ البيتِ عليهم السلام أنْ كثّرهم بفضله ومنّه على غيرهم من الناسِ، والكثرةُ هنا قد تعني كثرةَ المعصومين عليهم السلام موازنةً بأوصياءِ الأنبياء الآخرين ، إذْ لم تستمر الوصيّةُ بعد موت الوصيّ ما خلا وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام ، إذْ استمرّتْ في أبنائه وصولاً إلى الحجةِ بن الحسن الذي ما زالتْ الوصيّة مستمرةً معه ، ولعلَّ هذه الدلالةَ هي الأكثر تطابقاً مع الكثرةِ التي يشير إليها الإمام عليه السلام، عندما تُوازنُ مع

١- الإمامة والتبصرة ٩٢.

٢- يُنظر: لسان العرب (جحد).

٣- البقرة ١٤٣، وتمام الآية : وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ.

٤- يُنظر: الراسخون في العلم ٢٠٨ وما بعدها ، ففيها طائفة من الأحاديث التي تسيرُ في هذا الاتجاه.

القلّة التي أشرنا إليها.

(اللّهـمَّ فَصَـلِّ عَـلَى مُحَمَّد أَمِينِـكَ عَلَى وَحْيِـكَ، وَنَجِيبِكَ مِنْ خَلْقِـكَ، وَ صَفِيِّكَ من عبادك): فالنبيُّ هو الأمين على وحي اللهِ، الحافظ له ، ووحي اللهِ كلّ ما نزل من السـماء على النبيّ صلى الله عليه وآله وسـلم بوسـاطةِ جبرائيل أو بالإلهامِ الذي يجعلهُ الله تعالى في نفسِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أو بروحٍ من أمرِ الله تعـالى كما في قوله تعـالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاء مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[١]. وبهـذه الطـرقِ تتحقّقُ أمانةُ النبي صـلى الله عليه وآله وسلم على الوحي.

(ونجيبك من خلقك) : النَّجيبُ مِنَ الرِّجَالِ الكريمُ الحَسِـيبُ السّخي[٢] من الناسِ ، فالله تعالى انتجب محمّداً قبل أنْ يخلق الخلق، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: ((قلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أول شيء خلق الله ما هو؟ فقـال نـور نبيك يـا جابر،خلقه الله ثم خلق منـه كل خير))[٣]،ومن هنا ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسـلم قوله: ((أنا سيّد ولد آدم وعليٌّ بعدي))[٤]. وهذا هو النجيبُ من الخلقِ بحقٍّ على وفقِ هذه المعطيات اللغوية والروائيّةِ.

(وصفيّـك مـن عبـادِك): فالصفيُّ : العِلـقُ النفيـسُ[٥] المنتقى من العبـاد ،وهذا انتقـاءٌ خـاصٌ واصطفاءٌ مميّـزٌ من العبادِ الذين يعبدون الله تعالى، إذْ لا تُنسـب

١- الشورى ٥٢ .

٢- يُنظر: لسان العرب (نجب).

٣- بحـار الأنـوار ٥٤/ ١٧٠ ،والروايـة طويلـة اكتفينا منها بموطن الشـاهد ، وينظر أيضاً : ينابيع المودّة ١/٥٦.

٤- الرسائل العشر ٣٠٦.

٥- يُنظر: تاج العروس(صفو).

العبوديـةُ إلّا لله تعالى[١].

(إمَـامِ الرَّحْمَـةِ وَقَائِدِ الْخَيْرِ وَ مِفْتَاحِ الْبَرَكَةِ): فلفظةُ(إمام تنفتحُ على عدّةِ دلالات ، ونأخـذُ منهـا ما يتلاءم مع السـياق ، جاء في لسـان العرب تحـت الجذر (أمم) المعاني الآتية :

١. الإمام : خشبة البناء يُسوّى عليها .

٢. الإمام : الخيط الذي يُمد على البناء فيبنى عليه ، ويُسوّى عليه ساف البناء .

٣. إمام الجند : قائدهم .

٤. الحادي : إمام الإبل وان كان وراءها لأنه الهادي لها .

٥. الإمام : الطريق .

٦. الإمام : الذي يُقتدى به ، وما أؤتم به من رئيس أو غيره .

٧. إمام كل شيء : قيّمهُ والمصلح له .

إنّ خصوصيـات الاسـتعمال الاجتماعـي للجذر(أمـم) عـلى وفـق ابـن منظـور تشكّل لنا اطاراً معرفيا كليّا ، يحيط بالاستعمالات الجزئية ويتشكل منها . وان شـئنا القـول انّها تتفـرع منه، وإذا نظرنـا في المعاني السـابقةِ ، فالمعنيان الأول والثاني يمثّلان معنى الاستواءِ والاستقامةِ والمثالِ الذي يُحتذى ، وعلى وفق هذا الاسـتواء، يسوّى الميلُ والاعوجاجُ كما يسوّى سـافُ البناء على الخيطِ المستقيمِ، ورحمـةُ النبـيّ صلى الله عليه وآله وسـلم تكون على هذه الصورةِ التي جسّـدها المعنيان[٢] .

هـذا من جهة ومن جهة أخرى ، فإنَّ الاسـتقامة والاسـتواء صفتان موجودتان في خشـبة البنـاء وخيطه بذاتهما قبل أن يجعلهما البنّاء مثـالاً يُحتذى في البناء ،

١- يُنظر: لسان العرب (عبد).

٢- يُنظر: أهل البيت في نهج البلاغة /قراءة تأويلية ٢٦ وما بعدها.

والـذي يغرينـا بهـذه المايزة المعرفية هنا ، أن الخشـبة والخيط مسـتقيمان في أصل وضعهما ، والنبيُّ يمتلكُ إمامةَ الرحمةِ ، فهي فيه أصلاً ، فصار مثالاً لذلك كلّه.

وأصـلُ رحمـةِ النبـيّ صـلى الله عليـه وآله وسـلم من اللـهِ تعالى الذي شـاء أنْ يكتب على نفسـه الرحمـة في قوله:﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لاَ رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، وشـاء أنْ يجعـل محمّـداً إمامـاً لهذه الرحمة.

وبلحاظ المعاني الأخرى لـ(أمم) ، نخلص إلى أنَّ ثمة معاني أربعة تسـتوعب ما بقي منها ، وهذه المعاني هي(القدوة ، الطريق، القيادة ، الهداية) ومنها نخلص أيضـاً إلى أنَّ النبـيَّ صـلى الله عليه وآله وسـلم هو قـدوةُ رحمةِ اللـه وطريقُها وقائدها وهاديها .

(وَقَائِـدِ الْخَـيْرِ وَ مِفْتَـاحِ الْبَرَكَـةِ): فقائدُ الخـيرِ يعني أنَّ الخيرَ يتبعـهُ أينما يمّم وجهه ،وبهذا يكونُ مفتاحُ البركةِ بيدهِ ، وفي سيرةِ النبيّ صلى الله عليه من قيادةِ الخيرِ ومفاتيحِ البركةِ الكثير ،ومن ذلك ارتواء جيش المسـلمين من الماءِ الذي نبع مـن أصابعهِ الكريمةِ[2]،وأشـبع الكثير من الصحابةِ من الطعـامِ القليلِ[3]، وغير ذلك من المعجزاتِ التـي ارتبطتْ بالبركةِ قبل النبوّة وبعدها.

المقطع الثاني:

((كَمَا نَصَبَ لأَمْرِكَ نَفْسَـهُ، وَ عَرَّضَ فِيْكَ لِلْمَكْرُوه، بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَّتَـهُ ،وَحَـارَبَ فِي رِضَاكَ أَسْرَتَهُ وَقَطَـعَ فِيْ إِحْياءِ دِينِكَ رَحِمَـهُ وَاقصَى الأَدْنَيْنَ

١- الأنعام ١٢.

٢- يُنظر: دلائل النبوة ٦/٧.

٣- يُنظر: مناقب آل أبي طالب ١/ ١٢٠ وما بعدها.

عَـلَى جُحُودِهِـمْ، وَقَـرَّبَ الأَقْصَيْنَ عَلَى اسْـتِجَابَتِهِمْ لَـكَ وَ والَى فِيـكَ الأَبْعَدِينَ، وَ عَادى فِيكَ الأَقْرَبِينَ، وَأَدْأَبَ نَفْسَـهُ فِي تَبْلِيغِ رِسَـالَتِكَ وَأَتْعَبَهَا بِالدُّعاءِ إِلَى مِلَّتِكَ وَ شَـغَلَهَا بِالنُّصْحِ لأَهْـلِ دَعْوَتِكَ))[١].

(كَمَا نَصَبَ لأَمْرِكَ نَفْسَـهُ، وَ عَرَّضَ فِيْكَ لِلْمَكْرُوه، بَدَنَهُ، وَكَاشَـفَ فِي الدُّعَآءِ إِلَيْكَ حَامَّتَـهُ): فالنبـيُّ نصبَ لأمرِ اللهِ تعالى نفسَـه، وكان وحيداً أمام عتاةِ قريش من دون أنْ يعبأ بهم ،ولم يلتفت إلى ما أحاطوه به من أذى ،وفصولُ السـيرةِ تشـهد عـلى مـا ابتلي به حتى قال: ((ما أوذي أحدٌ ما أوذيت))[٢]. وهذا هو المكروه التي تعرّضَ له بدنُ النبيّ صلى الله عليه وآله وسـلم.

(وَكَاشَـفَ فِي الدُّعَـآءِ إِلَيْكَ حَامَّتَهُ): حامّته : خاصتُه وَمَـنْ يَقْرُبُ مِنْهُ ،إذْ فاتحهم بالدعـوةِ إلى اللـهِ تعـالى ، وفي هذا قربٌ من قولـه تعـالى : ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾[٣].

(وَحَـارَبَ فِي رِضَـاكَ أُسْرَتَـهُ): لم يعبأ النبـيُّ صلى الله عليه وآله وسـلم برابطة النسـبِ التي كانتْ حاكمةً في العصر الجاهلي ،وحارب اسـتجابةً لرضا اللهِ تعالى أسرته في معارك المسلمين الأولى بدر وأُحد والخندق وغيرها ، ففي بدر مثلاً وقع عمّـه العبـاس بنُ عبد المطّلـب في الأسر ، وقُتل من قريش فيها أكثر من سـبعين رجـلاً ، وهـم أسرتُه إذا أخذنـا بمعنى الأسرة الدال على عَشِـيرَةُ الرَّجُلِ[٤].

(وَقَطَـعَ فِيْ إِحْياءِ دِينِكَ رَحِمَهُ): حينما يكون إحياءُ الدينِ مرتبطاً بقطيعةِ الرّحمِ يُعدُّ منقبةَ فخرٍ في بيئةٍ لا تعرفُ غير رابطة الدم التي تعلو على كلِّ آصرةٍ ، وهذه الموازنـةُ التـي أجراها الإمامُ عليه السـلام بين موت الرحم(قطعـه) وبين إحياء

١- الصحيفة السجادية الجامعة ٣١.
٢- تهذيب الكمال ٢٥/ ٣١٤ ،ميزان الاعتدال ٣/ ٥٧٠.
٣- الشعراء ٢١٤.
٤- يُنظر: لسان العرب (أسر).

الديـنِ ، جعلتْ تمسّـكَ النبي صلى الله عليه وآله وسـلم بالديـن لا يعلو عليه أيُّ شيء في الحياةِ.

(وَأقصَى الأدْنَيْنَ عَلَى جُحُودِهِمْ، وَقَرَّبَ الأقْصَيْنَ عَلَى اسْتِجَابَتِهِمْ لَكَ):

أقام الإمامُ عليه السلام في هذا الجزءِ من الدعاءِ مقابلةً معرفيّةً بلاغيةً بين أبعاد القربى على ما هم فيه من الجحودِ والإنكارِ، وبين تقريبُ البعداء على استجابتهم لدعـوةِ النبـيّ صلى الله عليه وآله وسـلم ،وهذا يُعـدُّ كسراً للقواعـدِ الاجتماعية التي تحكم المجتمع الجاهلي بشـكلٍ عامٍ ، وفي الوقتِ نفسـه يسـعى الإمامُ عليه السلام إلى تذكير المجتمع الإسلامي في زمانهِ بهذه الحقيقةِ ليبعدَه ما أمكنه ذلك عـن القبليـةِ التي عادتْ إلى (مجدها) الجاهلي في العصرِ الأموي ، بفعلِ السياسـةِ الأمويةِ في ذلك العصرِ.

(وَوالَى فِيكَ الأبْعَدِينَ، وَ عَادى فِيكَ الأقْرَبِينَ): وهذه المقابلةُ ترتبطُ بصلةِ نسـب بالمقابلةِ التي سـبقتها من حيث الإطار العام للمعنى، مع ميل إلى بيانِ أنَّ فصلاً جديـداً من فصولِ تهديـم القيم الجاهليةِ بين الأقاربِ[١] جـاء به النبيّ صلى الله عليه وآله وسـلم ليقيم مجتمعاً إسلامياً يُبنى على المساواةِ والعدلِ.

(وَأدْأبَ نَفْسَـهُ فِي تَبْلِيـغِ رِسَـالَتِكَ وَأَتْعَبَهَـا بِالدُّعـآءِ إلَى مِلَّتِكَ وَ شَـغَلَهَا بِالنُّصْحِ لأَهْلِ دَعْوَتِكَ):

جمـع النبـيُّ صلى الله عليه وآله وسـلم ـ عـلى وفق هذا الجزءِ مـن الدّعاءِ ـ بين إذابـةِ نفسـه في تبليـغ الرسـالةِ ، أي احتمل من الجهدِ ما لا طاقـة لأحدٍ غيره به ،وبـين الدعوةِ إلى ملّةِ الإسـلامِ ،وهـي ملّةِ الله تعالى، وبين النصـحِ لأهلِ الدعوةِ ،لأنَّ حماسَ الدعاةِ إلى الدين يحتاجُ إلى مراقبةٍ ونصيحةٍ دائمةٍ حتى لا يتعدّى أيُّ

١- يُنظـر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسـلام ٩١/٧ ومـا بعدها عن القيم الاجتماعية بين الأسر في مكة.

مسلمٍ حدودَ ما يأمر به اللهِ في الدعوةِ إلى اللهِ ، وقد وقع من بعضِ المسلمين ما كان النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم يتحسّبُ منه ،كما حصل في تعنيفه لأسامة ابن زيد بعد أنْ تعقّب مهزوماً وقتله على الرغم من نطقه بالشهادتين بعد أنْ رأى سيف أسامة ، وحينما اعتذر أسامة أنَّ الرجل لم يؤمن وأراد أن يحمي نفسه ، فقال له النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم :أشققت عن قلبه[١].

المقطع الثالث:

((وَهَاجَرَ إِلَى بِلاَدِ الْغُرْبَةِ وَمحَلِّ النَّأْيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ، وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ وَمَسْقَطِ رَأْسِهِ وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ إِرَادَةً مِنْهُ لإِعْزَازِ دِيْنِكَ، واسْتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ، حَتّى اسْتَتَبَّ لَهُ مَا حَاوَلَ فِي أَعْدَائِكَ، وَاسْتَتَمَّ لَهُ مَا دَبَّرَ فِي أَوْلِيآئِكَ، فَنَهَدَ إِلَيْهِمْ مُسْتَفْتِحاً بِعَوْنِكَ وَمُتَقَوِّياً عَلَى ضَعْفِهِ بِنَصْرِكَ، فَغَزَاهُمْ فِي عُقْرِ دِيَارِهِمْ وَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي بُحْبُوحَةِ قَرَارِهِمْ حَتّى ظَهَرَ أَمْرُكَ، وَعَلَتْ كَلِمَتُكَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ))[٢].

(وَهَاجَرَ إِلَى بِلاَدِ الْغُرْبَةِ وَمحَلِّ النَّأْيِ عَنْ مَوْطِنِ رَحْلِهِ، وَمَوْضِعِ رِجْلِهِ وَمَسْقَطِ رَأْسِهِ وَمَأْنَسِ نَفْسِهِ إِرَادَةً مِنْهُ لإِعْزَازِ دِيْنِكَ، واسْتِنْصَاراً عَلَى أَهْلِ الْكُفْرِ بِكَ):

جمع الإمامُ السجّادُ في هذا الجزءِ من الدعاءِ من الكناياتِ ما يُظهرُ هول المعاناةِ التي عاناها النبيّ في هجرتهِ من مكة إلى المدينةِ، إذْ كان فراقُه لمكّة مؤلماً بحقٍّ ، لأنّها الموطن الذي ولد فيه ونشأ وترعرعَ ،وصار شاباً ثم بلغ الأربعين من عمره فيها، وأمضى ثلاث عشرة سنة فيها بعد الأربعين يدعو إلى اللهِ دون ملل ، ودون أن يفكر بالرحيلِ عنها لتعلّقه بها لطيب أصله من جهةٍ ، وقد قيل: ((الحنين من رقّة القلب، ورقّة القلب من الرِّعاية، والرِّعاية من الرَّحمة، والرَّحمة من كرم

١- يُنظر: الإحكام في أصول الأحكام ٢/ ٨٠ .
٢- الصحيفة السجادية الجامعة ٣٢ .

الفطرة، وكرم الفطرة من طهارة الرَّشـدة، وطهارة الرَّشدة من كرم المحتد))[١] ، وهذه هي خلقُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ومـن جهـة أخرى فمكـة بلد البيت الحرام الذي نشـأ النبي صلى اللـه عليه وآله وسـلم في ظلّـه يوحّدُ الله تعـالى قبل البعثـةِ ، ويتحنّث في (حـراء) انتظاراً لأمرِ بعثتهِ[٢]، واستناداً إلى هذا كلّه شقَّ عليه أنْ يهاجرَ من بلده ، وقد ورد في الروايات أنَّ اللـه تعالى أنزل قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاء بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٣].

المقطع الثالث:

((اللَهُـمَّ فَارْفَعْـهُ بِمَـا كَدَحَ فِيكَ إِلَى الدَّرَجَـةِ الْعُلْيَا مِنْ جَنَّتِكَ، حَتَّى لاَ يُسَـاوَى فِي مَنْزِلَـة وَلا يُكَافَـأَ فِي مَرْتَبَـة وَلاَ يُوَازِيَهُ لَدَيْكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نبيٌّ مُرْسَـلٌ، وَعَرِّفْهُ فِي أَهْلِهِ الطّاهِرِينَ وَأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلَّ مَا وَعَدْتَهُ يَا نَافِذَ الْعِدَةِ يَا وَافِيَ الْقَوْلِ يَا مُبَدِّلَ السّـيِّئات بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَـنَاتِ إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ))[٤].

(اللَهُـمَّ فَارْفَعْـهُ بِمَـا كَدَحَ فِيـكَ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَـا مِنْ جَنَّتِكَ، حَتَّى لاَ يُسَـاوَى فِي مَنْزِلَـة وَلا يُكَافَـأَ فِي مَرْتَبَـة وَلاَ يُوَازِيَهُ لَدَيْـكَ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلا نبيٌّ مُرْسَـلٌ):

يبدأ الإمامُ عليه السـلام هذا الجزء بالدعاءِ برفعِ مقامِ النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الدرجةِ العليا لما قدّمه لله تعالى من النهوضِ بأمرِ الإسلام ، حتى يبلغ بـه درجـةً لا يتطلّعُ إليها ملكٌ مقرّب ولا نبيٌّ مرسـلٌ، ولعلّ هذا وجهٌ من وجوهِ المقـامِ المحمودِ الذي جاء في قولـه تعـالى : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن

١- رسائل الجاحظ ٢/٣٧٩.

٢- يُنظر: سيرة ابن كثير ١/٣٨٣ ،سبل الهدى والرشاد ١/١٣.

٣- القصص ٨٥.

٤- الصحيفة السجادية الجامعة ٣٢.

يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[1]، وقد ذهب أغلبُ المفسرين إلى القولِ أنَّ المقامَ المحمود هنا يعني الشفاعة[2]،وهذا توجيهٌ متينٌ، لأنَّ المقام الذي يريده النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم هو الشفاعة لأمّتهِ يوم الوقوف بين يدي الله تعالى، وهنا يتساوقُ دعاءُ الإمامُ عليه السلام مع ما يردُ في القرآنِ الكريم، كما هو الحال في سيرةِ المعصومين عليهم السلام.

(وَعَرِّفْهُ فِي أَهْلِهِ الطَّاهِرِينَ وَأُمَّتِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ حُسْنِ الشَّفَاعَةِ أَجَلَّ مَا وَعَدْتَهُ):

لا شكَّ أنّ أهلَ النبيّ الطاهرين هم أهل البيت عليهم السلام الذين طهّرهم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[3]،ثم يأتي الإمامُ عليه السلام بذكر المؤمنين من أمّةِ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ،وهذا الذكرُ للطرفين يأتي من أجلِ حسن الشفاعةِ لهم جميعاً ، والملاحظُ أنَّ الإمامَ عليه السلام أسبغ على الشفاعةِ التي دعا بها حسناً على الرغم من أنّ الشفاعةَ حسنة في ذاتها ،إلّا أنّه عليه السلام أراد أنْ يزيد الحسن حسناً بقولهِ.

(أَجَلَّ مَا وَعَدْتَهُ يَا نَافِذَ الْعِدَةِ يَا وَافِيَ الْقَوْلِ يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئَاتِ بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ):

فالله سبحانه وتعالى هو الذي ينفذ بما يعد بزيادةٍ دون نقصان، وهو الذي يفي بما يقوله بفضلٍ منه ، والفضلُ هو الزيادةُ في مواطنِ رحمةِ اللهِ تعالى بنبيّه خاصةً وبعباده عامّةً ،وهو الذي يُبدّل السيّئات كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ

١- الإسراء ٧٩ .

٢- يُنظر: تفسير مجاهد ٤٤١،تهذيب الأحكام ٢٨/٦، مجمع البيان ٢٨٤/٦.

٣- الأحزاب ٣٣ .

غَفُوراً رَّحِيماً﴾[1]،ووعد الله تعالى أنْ تكونَ الحسنةُ بعشرِ أمثالها في قوله تعالى: ﴿مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾[2]، ومن هنا ندركُ مرادَ الإمام عليه السلام بقوله(يَا مُبَدِّلَ السَّيِّئات بِأَضْعَافِهَا مِنَ الْحَسَنَاتِ).

ثم يختمُ الإمامُ عليه السلام دعاءه بتمجيدِ اللهِ وتحميدِه(إِنَّكَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ) ،وهذه الصفات التي المذكورة تناسبُ مقامَ الدعاءِ ، فذو الفضل العظيم استلهام لقوله تعالى: ﴿وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[3]،والفضل العظيمُ يأتي من الجوادِ الكريم .

لقد جمع لنا الإمامُ عليٌّ بنُ الحسين عليه السلام فيما مرَّ من هذا الدعاء جملةً من المعارفِ التي استحضرها من خلالِ الدعاءِ، فالقرآنُ الكريمُ كان الشاهدُ على مضامين ما يدعو به من ذكرٍ للصفاتِ الإلهيةِ التي تتماشى مع المضامين المشار إليها، فصار دعاؤُه ضرباً من العبادةِ الحقّةِ ، التي جعلته يحقٌّ ــ أيضاً ــ زيناً للعابدين، وجعلتْ من يدعو بأدعيتهِ متعبّداً بها ، ومبهوراً بسيرةِ صاحبها وبعظيم إيمانه الذي جعله بحقٍّ سيّداً للساجدين.

صفاتُ أهلِ البيت عليهم السلام:

اقترن ذكرُ أهلِ البيتِ عليهم السلام بذكرِ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لأنّهم الثقل الثاني في نبوّتهِ ، وسنلتفتُ فيما يأتي إلى بعضِ ما ورد من ذكرهم عليهم السلام في أدعيةِ زين العابدين عليه السلام :

١-الفرقان٧٠ .

٢- الأنعام ١٦٠ .

٣- البقرة ١٠٥ ،وتمام الآية : ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

يقول الإمام ـ عليه السلام ـ داعياً لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، وذاكراً بعض صفاتهم : ((رَبِّ صَلِّ على أطائبِ أهلِ بيتهِ الذين اخترتهُمْ لأمركَ ، وجعلتهُمْ خزنةَ علمِكَ ، وحفظةَ دينِكَ ، وخُلَفاءكَ في أرضِكَ ، وحُجَجَكَ على عِبادِكَ ، وطَهّرتَهُم من الرجسِ والدَّنَسِ تطهيراً بإرادتكَ ، وجعلتَهُم الوسيلةَ إليكَ والمسلكَ إلى جَنَّتِكَ))[1] .

بدأ الإمام ـ عليه السلام ـ دعاءه بمناداة الله ـــ عز وجل ـــ بقوله(ربِّ) لما في هذه اللفظة من تأكيد عبوديَّة العبد لربِّهِ ، فالربّ في اللغة : المالك والسيد والمدبر والقيّم والمنعم[2] ، وهذه الصفات تتماهى مع سياق الدعاء ، لأنَّ ما يأتي هو ذكر لبعض نعم الله الكبرى على أهل البيت ـــ عليهم السلام ـــ ، فتكون لفظة(رب) مشعرة بالنعم المشار إليها كلها ، ومن جملة هذه النعم ، الصلاة على أطائب أهل البيت ـــ عليهم السلام ـــ ، والصلاةُ رحمته وحسن ثنائه .

وعلى الرغم من معرفة المسلمين بدلالة(أهل البيت) عليهم السلام ـ في هذا الدعاء ، فإنّ الإمام ـ عليه السلام ـ أراد أن يُبعد من يريد أن يضع نفسه مع النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأهل بيته ـــ عليهم السلام ـــ بداعي القربى في النسب[3]، فكان قوله توكيدا لما قرَّ في نفوس المسلمين من معرفة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وهم الأطائب ، فما دلالة هذه اللفظة ؟ .

الطيّب في اللغة يكنّى به عن الشرف والصلاح وطيب الأعراق[4] ، وهذا بعض من صفات أهل البيت ـ عليه السلام ـــ بإجماع المسلمين ، إذ إنّ شرفهم وطيب

١- الصحيفة السجّادية ١٩٠.
٢- ينظر : لسان العرب (ربب) .
٣- ينظر : شواهد التنزيل ٢/ ٦٤ .
٤- ينظر : لسان العرب(طيب) .

أعراقهم واصلٌ إليهم من أبيهم إبراهيم ــ عليه السلام ــ [١] .

والطيّب في اللغة ــ أيضاً ــ الطاهر ، بيد أنّ استعمالها بهذه الدلالة غالباً ما يكون مقترناً بمن كانت طهارته من الله تعالى، كما في قول الإمام علي ـ عليه السلام ـ النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : ((بأبي أنت وأمي طبت حيّاً وطبت ميّتاً))[٢] ، أي طهرت حيّاً وميّتاً، ومن هنا ، فالراجح أنّ الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ استعملها بهذه الدلالة ، لأنّ السياق يعاضد هذا المعنى ويسانده ، ولأنّ بني هاشم تشعبوا في العصر الأموي كثيراً ، والكلّ يريد شيئاً من شرف أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، فآثر الإمام ـ عليه السلام ـ أن يقيّد دلالة المصطلح بهذا الوصف ، ــ وبما سيأتي بعد قليل ــ ليبعد من يريد أن يضع نفسه مع أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وليس منهم .

ثم يأتي التوجيه الآخر لصفات أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بقوله ـ عليه السلام ـ : ((الذين اخترتهم لدينك)) ، فالأطائب من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ إذن اختارهم الله تعالى للقيام بشؤون دينه، ومن يختاره الله تعالى يعصمه من الزَّلل ، حتى يقوى على النهوض بمهمّة دين الله دونما هفوة ، ولا ينعطف في سيره عن حدود ما رسم الله لعباده . ومن هنا فإن اختيار الله تعالى للأطائب من أهل البيت ـ عليهم السلام ـ(الأئمة) هو منحة منه لهم ، شرّفهم بها .

ثم يضيف الإمام ـ عليه السلام ـ صفتين أخريين لأهل البيت في بقية قوله : ((وجعلتَهُم خَزَنةَ عِلمِكَ ، وحَفَظَةَ دِينِكَ)) ، فعلم الله تعالى الذي وصل إلى عباده جاء من طريق القرآن الكريم ، ومن طريق النبي ـ صلى اله عليه وآله وسلم ـ . فالمظهر الأول لعلم الله تعالى هو القرآن ، بوصفه كتاباً يضم بين دفّتيه مظاهر

١- ينظر : المنمّق من أخبار قريش ١-٤ .
٢- شرح نهج البلاغة ١٣/٤٢ .

الوجـود كلّهـا ، لأنـه جاء تبياناً لـكل شيء في الوجود ، قـال تعالى:﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيداً عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1] ، ولكنّنـا نأخذ منه عـلى قـدر معارفنا ، أما معانيه الحقّة فهي التي ذكرهـا الله تعالى في قوله :﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[2]، فتأويل معاني القرآن مقصور على الله تعالى وعلى الراسخين في العلم ، لأنَّ(الراسخون في العلم) معطوف على اسم الجلالة ، وتكون(يقولون) حـالاً[3]. وهنـا يقتصرُ التأويـلُ التام على النبيّ صلى الله عليه وآله وسـلم وأهلِ البيتِ عليهم السلام.

وفي المعجـم العربـي الراسـخ في العلم: هو الـذي دخل فيه دخولاً ثابتـاً[4]، وهو النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، لأنّ دخوله في العلم دخولٌ ثابتٌ باختياره من لدن الله تعالى ليكون نبيّاً ، والراسخ في العلم ـــ أيضاً ـــ من علّمه النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأدخله في علمه دخولاً ثابتاً أيضاً ،وهو أميرُ المؤمنين عليه السلام الذي يقول عن تعليم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : ((فإنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله علّمني ألفَ باب من العلمِ ،يفتح كلّ باب ألف بابٍ، ولم يعلّم ذلك أحداً غيري))[5] ، وما تعلّوه عليٌّ عليه السـلام انتقل إلى الأئمةِ عليهم السلام

١- النحل ٨٩.

٢- آل عمران ٧.

٣- أما الرأي الثاني فهو أنّ(والراسـخون في العلم) الواو للاسـتئناف و (الراسخون في العلم) مبتدأ خبره(يقولون) . ينظر : الإتقان ١/٧ـــ٨ .

٤- يُنظر: لسان العرب(رسخ).

٥- الخصال ٥٧٢.

اللاحقِ عن السابق ، وبهذا فما عنهم جميعاً من العلمِ لا يعرفهُ غيرُهم أبداً .وهم بذلك حقاً خزنةُ علم الله تعالى .

وهنا يمكن أن ندرك حقيقة ما قاله السيوطي في الإتقان عن الإمام علي: ((إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن، وأنّ علي بن أبي طالب عنده منه الظاهر والباطن))[١]، وهذا هو الرسوخ في العلم الذي كان عليه الإمام ـ عليه السلام ـ والأئمة من بعده .

وثمّة نص للإمام علي ـ عليه السلام ـ ورد في نهج البلاغة، يقول فيه : ((... أين الذين زعموا أنّهم الراسخون في العلم دوننا كذبا وبغياً علينا))[٢] ، وهذا يؤكد ـــ حقّاً ـــ أنّهم ـ عليهم السلام خزنة علم الله بحسب قول الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ لأنّ الإمام علي عليهم السلام يستفهم استفهاماً إنكارياً عمّن يدّعي أنّه راسخ في العلم دونهم ، لأنّ في هذه الدعوى ظلم وتجنٍّ وكذب وبغي .

وثمة إشارة أخرى وصلت إلينا عن الإمام علي ـ عليه السلام ـ تمتّن ما نحن بصدده ، إذ يقول : ((... والله لو شئت أن أخبر كل رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ، ولكن أخاف أن تكفروا في برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ألا وإني مفضيه إلى الخاصة ممن يؤمن ذلك منه))[٣] ، وهذا ضرب من العلم أفضى بعضه الإمام علي ـ عليه السلام ـ إلى الخاصة من أصحابه ، ممن يعوّل عليهم في استيعابه وحفظه وعدم البوح به ، فما بالك بأبنائه الذين ورثوا العلم ،وصاروا خزنة له .

بقي أن نشير هنا إلى أن الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ أراد أن يقطع السبيل أمام من يسعى إلى تنمية بغض أهل البيت ـــ عليه السلام ـ في العصر

١- الإتقان ٤/٤٩٣ .
٢- نهج البلاغة ٢/٧٢ .
٣- نهج البلاغة ٢/٨٩ .

الأموي ، من خالقي الفتن ومن الراكضين وراء السلاطين ، إذ من غير المعقول أن يفكر مسلم مستقيم ببغض من كان وما زال خازناً لعلم الله تعالى .

إنّ من تكون هذه صفاته سيكون ــ حتماً ــ متمكّناً من حفظ دين الله تعالى ، عقيدة يؤمن بها ، وسلوكاً يجسدها ، كي يعطي لمن يتأسّى به القدوة الحسنة في التمسك بما يريده الله عز وجل، كي تستقيم الحياة ، ويكون الدين محفوظاً ، فهؤلاء ــ إذن ــ حفظة الدين .

أما قوله ـ عليه السلام ـ :(وخلفاءَكَ في أرضِكَ ، وحُججِكَ على عِبادِكَ) ، فالخليفة في اللغة : ((من يقوم مقام الذاهب ويسدّ مسدّه ، والهاء فيه للمبالغة))[1] ، والمعنى أنّ الأئمة من أهل البيت خلفاء الله تعالى بعد النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في أرضه ، لأنّه ــ أيْ النبي ــ استخلفهم بعده ، والخليفة الذي يستخلف ممن قبله .

وقد جاء عن بعضهم : ((جاز أن يقال للأئمة خلفاء الله في أرضه بقوله عز وجل :﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾[2].

ودلالة كلام الإمام ـ عليه السلام ـ تعني أنّ خلافة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ للنبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ لم تتأثّر بالخلافة الأخرى ، لأنّها قائمة في الصدور ، ويصدر الناس عنها في تدبير شؤون حياتهم .

وقد جاء عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ـ عليه السلام ـ : أنّ النبي والإمام علي وذريّته من الأئمة ـ عليهم السلام ـ ((حجّتهم واحدة وطاعتهم واحدة))[3]

١- لسان العرب(خلف) .

٢- تاج العروس(خلف).

٣-الكافي ١/ ٢٧٥ .

، فخلافتهم ـــ إذن ـــ قائمة ، لأنّهم أهل الدين وحماته.

وفي قول آخر له ـ عليه السلام ـ يؤكد المعنى نفسه وزيادة : ((نحن في الأمر والفهم والحلال والحرام نجري مجرى واحداً ، فأمّا رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وعلياً فلهما فضلهما))[١]، وهذان القولان يجسدان لنا الخلافة الحقّة التي يريدها الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام في دعائه ، ويؤيد هذا أنّ ثمّة قولاً للخليفة أبي بكر يكشف لنا صحة هذا التصوّر ، فقد روي ((أنّ أعرابياً سأل أبا بكر ، فقال له : أنت خليفة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، فقال : لا ، قال فما أنت ؟ قال : أنا الخالفة بعده))[٢] ، معنى الخالفة ، تقول : أنا خالفة أو خالفته أي جئت بعده[٣]، وجمع خالفة خوالف ،فأبو بكر جاء بعد النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في ترتيب السلطةِ، ولعلّ الأعرابيّ اقتنع بما أجاب به أبو بكر.

أما الخلفاء فجمع خليفة ، وهذا ما جاء في نصّ دعاء الإمام ـ عليه السلام ـ ، ومن هنا نتبيّن صحّة توجيهنا لمراد الإمام ـ عليه السلام ـ في دعائه، لأنّه أدرى بما تؤدّيه لفظة (خلفاء) في السياقِ.

ثم يأتي قول الإمام ـ عليه السلام ـ :(وطهّرتَهُم من الرّجسِ والدَّنَسِ تطهيراً بإرادتِكَ)، فالإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ أشار هنا إلى أنّ إرادة الله عز وجل في طهارة أهل البيت ـ عليه السلام استناداً إلى ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[٤]، وهذا ما أجمع عليه أغلب المسلمين ، وقالوا : إنّ المراد بأهل البيت ـ عليهم

١- نفسه .

٢- الفائق في غريب الحديث والأثر ١/ ٣٣٩ .

٣- تاريخ مدينة دمشق ١٩/ ٤٧٩ ، والنهاية في غريب الحديث ٢/ ٦٩ ، ولسان العرب : خلف ، وتاج العروس : خلف .

٤- الأحزاب ٣٣.

السلام هنا(محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين)[١] ، ونكتفي لبيان ذلك بما قاله الآلوسي في تفسيره روح المعاني : ((وأخبار إدخاله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وابنيهما رضي الله تعالى عنهم تحت الكساء ، وقوله عليه الصلاة والسلام اللهم هؤلاء أهل بيتي ودعائه لهم وعدم إدخال أم سلمة أكثر من أن تحصى ، وهي مخصصة لعموم أهل البيت بأي معنى كان البيت فالمراد بهم من شملهم الكساء ولا يدخل فيهم أزواجه ـ صلى الله عليه وآله وسلم))[٢] .

فقول الإمام هنا يصحّح هذه الروايات ، ويقوّيها ، ويصحّح الأحاديث الأخرى التي وردت في مصادر المسلمين ، وتنحو هذا المنحى، وهي تزيد على مائة حديث[٣] .بيد أنّ ما يستحق الوقوف عنده والتأمّل فيه ، وتدبر معانيه ، استعمال الإمام ـ عليه السلام ـ لفظة الدنس ، وقفّى بها لفظة (الرجس) الواردة في الآية ، وهنا نقول :

إنّ الدنس في اللغة تعني ((لطخ الوسخ ونحوه حتى في الأخلاق، يقال : رجل دنس المروءة ، ودنّس الرجل عرضه إذا فعل ما يشينه))[٤] ، وهذه معان اجتماعية تتصل بمنظومة القيم الأخلاقية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي وأقرّها الإسلام ، فهل كان الإمام ـ عليه السلام ـ يريد هذا المعنى ؟ ونجيب عن هذا السؤال ، فنقول :

إنّ الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ أظهر في قوله هذا أنّ طهارة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ شرعية واجتماعية وأخلاقية ، بعد أن رأى تبدّل القيم والمقاييس الاجتماعية في العصر الأموي ، بما جعل الناس يفكّرون بروح قبلية

١- ذهب غير الإمامية إلى شمول الآية الكريمة نساء النبي ، ينظر : العصمة ٢٣٤ وما بعدها .
٢- روح المعاني ٢٢/ ١٤ .
٣- ينظر : شواهد التنزيل ٢/ ٦٤ وما بعدها .
٤- يُنظر: لسان العرب(دنس).

أكثـر ممـا كان عليه الأمر في العصر الجاهلي ، ومن هنـا فإنّ من يريد أن يحتكم الى المعايير الاجتماعية في النظر إلى مقام أهل البيت ـ عليه السلام ـ فسيجد أن هذه المعايير تعطيهم كل ما يجعل لهم الصدارة الاجتماعية بين العرب والمسلمين ، كما هي صدارتهم في المعايير الإسلامية .

مزايا أخرى لأهلِ البيت عليهم السلام:

يبيّن الإمام ـ عليه السـلام ـ مزايا أخرى لأهل البيت ـ عليهم السـلام ـ في قوله داعيـاً : ((اللهـم إنـك أيّدتَ دينَكَ في كُلِّ أوان بإمام أقمتـه علماً لعبادكَ ومناراً في بـلادك ، بعـد أن وصلتَ حَبْلَهُ بحبلكَ ، وجعلتَهُ الذّريعةَ إلى رضوانك ، وافترضْتَ طاعتَـهُ ، وحـذرْتَ مَعْصيَتَهُ ، وأمـرْتَ بامتثال أوامره والانتهاء عنـدَ نهيِه ، وألا يتقدَّمَهُ مُتَقدِّمٌ ، ولا يتأخّر عنهُ متأخِّرٌ ، فهو عِصْمَةُ اللائذينَ ، وكهفُ المؤمنينَ ، وعُروَةُ المُتمسّـكينَ وبهـاءُ العالمينَ))[١].

يؤكـد الإمـام ـ عليه السـلام ـ هنا أنّ الإمامة مفروضة مـن الله تعالى ، وضعها لتأييـد الديـن وتمكينه ، ولولاها لما تمكّـن الدين على النحو الذي نعرفه ، منذ أن جعل الله تعالى إبراهيم ـ عليه السـلام ـ إماماً في قوله تعالى : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[٢]، فالإمامـة هنـا مقـام ، وهو غير مقام الرسـالة والنبوة ، هو المقام الـذي يؤيـد الدين ويظهره ويمكّنه ، وكانت الإمامة وسـتظل مسـتمرة في عقب إبراهيم ـ عليه السلام ـ وذريته من بعده ، وقد وضعها الله تعالى كي تؤيد الدين ، وتقوّيـه ، إلى أن يـرث اللـه الأرض ، وقد كثرت الأحاديـث النبوية التي تعضد

١- الصحيفة السجادية ١٩١ .
٢- البقرة ١٢٤.

قضية الإمامة كثـرة لافتة[١] .

فالله تعـالى جعـل دينـه مؤيداً بالأئمـة في كل حـين ، إذ إنّ وجودهـم متصل لا ينقطـع أبـداً ، يؤيد هذه القراءة ما أورده الشـيخ الصدوق مـن أنَّ الإمامةَ باقيةٌ في عقب الحسـين بن علي بن أبي طالب ـ عليهما السـلام ـ إلى يوم القيامة[٢] ، وقـول الإمـام هـذا يصحح هـذه الروايـة ويقويهـا ، ويجعل الإمامـة أصلاً من أصول العقيدة الإسـلامية .

ثم يأتي قول الإمام ـ عليه السـلام ـ : ((أقمته علماً لعبادك)) ، وعند اسـتقرائنا هـذا النـص ، ومـا تقدّمه لفظة(علماً) مـن دلالات اسـتطعنا أن نخرج بالدلالات الآتيـة للفظة(علـم) بما يقدّمه المعجم والسـياق على السـواء .

١. العلـم في اللغـة : شيء ينصـب في الفلوات تهتدي به الضالـة[٣]، فالإمام إذن علم نصّبه الله تعالى لعباده ليهتدي به الضالون عن طريق الحق ، التائهون ، الذيـن لا يعرفون أين تذهب بهم السـبلُ المتفرّقةُ .

٢. العلم : الجبل[٤]فيكون مراد الإمام ـ عليه السلام ـ أنّ الأئمة أوتاد للأرض كمـا الجبـال أوتـاد الأرض ، قال الله تعـال في محكم كتابه العزيـز : ((أَلَمْ نَجْعَـلِ الْأَرْضَ مِهَـاداً* وَالْجِبَالَ أَوْتَـادا}[٥] ، هذا فضلاً عمّا يمكن أن يوضع عـلى الجبـلِ من علامات يهتدي بها الضالون كما في المعنى السـابقِ .

٣. لعلـم :(الراية التي يجتمـع إليها الجند))[٦] واجتماع الجنود إلى الراية يبعث

١- ينظر : كمال الدين ٣١١ ، الإرشـاد ٢/٣٤٧ ، ومعاني الأخبار ٩٠ ، وتنظر تفاصيل أكثر في: العصمة ٢٥٤ ــ ٢٧٤.

٢- يُنظر: كمال الدين ٣٢٣ ، الإمامة والتبصرة ٢ ، وبحار الأنوار ٥١ / ١٣٤

٣- ينظر : لسان العرب(علم) .

٤- ينظر : م . ن .

٥- النبأ ٦ ــ ٧ .

٦- ينظر : تاج العروس(علم). .

في نفوسهم الاطمئنان لقربهم ممن يجعلهم قادرين على الغلبة ، ويوفر لهم دريئة تحفظ لهم حياتهم ، وهذا هو شأن الإمام ـ عليه السلام ـ في حياة الناس.

٤. العلم أيضاً : رسم الثوب ، يقال : علمه ، أي رقمه في أطرافه ، جعل فيه علامة ، وجعل لها علماً[١] ،فالإمام على وفق هذا التوصيف هو القادر على رسم الدين على وفق حاجة الإنسان ، إذ يضع له ما يحتاج إليه من علامات ، هو أقدر على تقدير حاجة الإنسان إليها . هذا فضلاً عمّا في رسمِ الثوبِ من جمالٍ ، فإنَّ وجود الإمامِ يُسبغُ جمالاً إلى الدين ،إذ إنَّ التمسّك بمنهجه وإيمانهِ بصحّةِ نهج الإمام يجعله يشعرُ بالجمالِ النفسي الذي يتجسّدُ في معالمِ الدين كلّها.

أما قول الإمام ـ عليه السلام ـ : ((ومناراً في بلادك))، فالمنار: العلم ، ما يوضع بين شيئين من الحدود[٢] ، فالإمام ـ عليه السلام ـ منار وعلمٌ وضعه الله تعالى بين حلاله وحرامه ، ليتبيّن الناس بوساطته ما يُيَسّر لهم أمر حياتهم ، من دون أن يلتبس عليهم حرام بحلال ، وهذا يخص أهل الأرض كلّهم ، لأنّ قوله ـ عليه السلام ـ(في بلادك) يعني ذلك ،وهذا يعني أنّ غير المسلم قد يأخذُ من علم الإمام وسيرته ما يقوّم به شؤون حياتهِ ، وقديما وحديثاً رأينا غير المسلمين كم أخذوا من أهلِ البيتِ عليهم السلام[٣].

فالإمامة – إذن – لا تخضع لتأريخ محدّد ، وقد سجّلت عن الإمام ـ عليه السلام ـ قبل أن يتحقّق مضمونها ، وتكتمل فكرة الأئمة الاثني عشر فعلاً ، وهذا دليل ناهض على دقّة المرويات الحديثية في هذا الشأن ، وصحّة ما جاء فيها من

١- ينظر : لسان العرب(علم) .

٢- ينظر : م . ن .

٣- يمكن العودة إلى كتاب(علي إمام المتّقين) للوقوفِ على شواهد كثيرة لما نحن بصدده.

مضامين[١] .

والمنـار : علم الطريـق ، أي ما يوضع على الطرق من علامات لتهتدي بها الناس في سيرها ، وهذا الوصف ينطبق على مهمة الإمام ـ عليه السلام ـ في حياة الناس ، فهو العلامة التي تضمن للمسـلمين السـير على الطريق المستقيم .

والمنـار : المنارة التـي يؤذن عليها[٢]، وإذا أردنا أن نعيـد صياغة الفكرة ، نقول : المنار : المكان الذي يدعى منه إلى الله تعالى ، أليس الأذان دعوة إليه جلَّ شـأنه ، فالإمام ـ عليه السلام ـ يكون في الموضع الذي يدعى إلى الله تعالى منه ، والدعاء قد يكون من الإمام نفسه في هذا المكان ، أو ممّن يخوله من المكان نفسه .

وينتقل الإمام علي بن الحسـين ـ عليهما السـلام ـ إلى قضية أخرى من قضايا الإمامـة ، وهـي ما بقي من قوله المتقدم(بعـدَ أنْ وصَلتَ حبْلَـهُ بحَبْلِكَ، وجعَلْتَهُ الذَّريعـةَ إلى رِضوانِكَ، وافترضْـتَ طاعَتَهُ، وحذَّرْتَ معصِيَتَهُ) .

جعـل الإمام ـ عليه السـلام ـ حبل الإمام موصولاً بحبـل الله تعالى، وهذا يعني انقيـاد الإمـام إلى أوامـر الله تعالى بمشـيئةِ الله ، أي بالعصمـة التي عصمه بها مـن الزلـل والانزلاق ، وهذه السـعادة الكـبرى، يقول السـيد الطباطبائي: ((ثم إن هـذا المعنـى أعني الإمامة، على شرافته وعظمته ، لا يقوم إلا بمن كان سـعيد الذات بنفسـه ، إذ الذي ربما تلبس ذاته بالظلم والشـقاء ، فإنما سعادته بهداية مـن غـيره ، وقد قـال اللـه تعـالى : ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ * قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ *﴾))[٣].

١- ينظر: كمال الدين ٣١١ ، والإرشاد ٣٤٧ .

٢- يُنظر: لسان العرب(نور).

٣- الميزان ٢٧٣ ــ ٢٧٤ . والآيتان ٣٤،٣٥ من سورة يونس.

واستناداً إلى هذه المرتبة التي وضع الله تعالى الإمام فيها، صار الإمام ذريعةً إلى رضوان الله تعالى ، والذريعة في اللغة الوسيلة، والذريعة : الجمل يختل به الصيد ، يمشي الصياد إلى جنبه فيستتر به[١]، فهل يمكن القول إنَّ من يسير إلى جانب الإمام وفي ظلّه ، يصل إلى مبتغاه(رضا الله تعالى) بأمان ويسر أكيدين ؟ أحسب أنّ هذا ما أراده الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ لأنّ في الإمام أمر ((يصونه عن الوقوع فيما لا يجوز من الخطأ والمعصية))[٢]، ومن يهتدي بهداه ، ويسير تحت ظله ، سيعصمه هذا المسير من الوقوع فيما لا يجوز الوقوع فيه من الخطأ أيضاً ، وإذا كان الأمرُ كذلك، فقد افترض الله سبحانه وتعالى طاعة الإمام على عباده ، وهذا يرد في نهاية قول الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام. (وافْتَرَضْتَ طاعَتَهُ ، وحذَّرْتَ مَعصِيَتَهُ ، وأمرْتَ بامتثالِ أوامِرِه والانتهاءِ عندّ نَهْيِهِ ، وألَّا يَتَقَدَّمَهُ مُتَقدِّمٌ ، وَلا يَتَأَخَّرَ عَنْهُ مُتَأَخِّرٌ)، فالله سبحانه وتعالى جعلَ الإمام ـ عليه السلام ـ سبيلاً إلى معرفته، ووسيلة لقبول أعمال العباد ، لأنَّ طاعة الإمام وعدم معصيته والامتثال لأوامره ، ضمانٌ للفوز بما عند الله تعالى ، ولعل في مقولة الإمام جعفر بن محمد الصادق ـعليه السلام ما يبيّن هذا المعنى : ((... فمن عرف من أمة محمد صلى الله عليه وآله واجب حق إمامه، وجد حلاوة إيمانه ، وعلم فضل حلاوة إسلامه ، لأنَّ الله تبارك وتعالى نصب الإمام علماً لخلقه ، وجعله حجة على أهل مواده وعالمه))[٣] ، ولا يخفى التطابق شبه التام بين القولين ، لأن الإمامين ـ عليه السلام ـ يصدران عن منبع واحد في علومهما جميعاً.

إنّ الإمام بما حباه الله تعالى من صفات ومزايا ـــ كما مر بنا ـــ سيكون مانعاً

١- ينظر : لسان العرب(ذرع) .
٢- الميزان ٢/١٣٤ ، وينظر : العصمة ١٣٣ .
٣- الكافي ١/٢٠٣ .

وحافظاً لمن يلوذ به بتسديده إلى سواء السبيل ، لأنّه لا يأمر بمعصية ، والعصمة تعني الحبل ، فاللائذون بأهل البيت يمسكون بحبلهم طلباً للهداية والنجاة ، والإمام أيضاً يكون كهفاً للمؤمنين ، والكهف ملجأ وهو كالبيت المنقور في الجبل[١] ، في قوّته ومتانته .

ثم يلتقط الإمام علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ وصفاً آخر للأئمة من أهل البيت فهم ((عروة المتمسكين)) ، فما دلالة لفظة (عروة) هنا ؟ .

وردتْ في المعجم العربي المعاني الآتية تحت الجذر(عرو) [٢] :

١. العروة : مقبض الكوز والدلو ، وهي ما يمسك به الإنسان بغية الإفادة مما في الكوز والدلو ، فالذي يريد أن يتمسك بدينه عليه أن يحكم الإمساك بهذه العروة لينتفع بها ، عليه أن يحسن ويحكم الإمساك بالأئمة ـ عليهم السلام ـ .

٢. العروة : من دق الشجر ماله باقٍ في الأرض ، فإذا أمحل الناس عصمت العروة الماشية فبلغت بها .

٣. العروة : ما لا يسقط ورقه في الشتاء ... الذي يعوّل الناس عليه إذا انقطع الكلأ .

٤. العروة : الشجر الملتفّ الذي تشتو فيه الإبل فتأكل منه .

إنَّ القراءة الأوّلية لمعاني لفظة(عروة) تكشف لنا عن أنّها ضرب من النبات يحتاج إليه الناس في كل حين ، لأنه ثابت في الأرض ولا يسقط ورقُهُ وملتفّ مع بعضه بكثافة ، فالناس محتاجون إليه في محلِهم وربيعهم . وبإعادة صياغة المعنى الاجتماعي هذا نقول : إنّ هذا الشجر لا غنى للناس عنه في كل حين ،

١- يُنظر: تاج العروس (كهف).

٢- ينظر : لسان العرب(عرو) .

بل لا تستقيم حياتهم إلّا به، وهذا التشبيه مصداق للأئمة ـ عليهم السلام ، فهم العـروة التـي يحتاج إليها الناس من أجل حفـظ الحياة ، لأنهم ثابتون ويعطون للنـاس مـا يحتاجون إليه في الأوقاتِ كلّها، ولا يتأثـرون بتعاقب الزمان ، كما لا تتأثّر(العـروة) بتعاقب الزمان أيضاً .

ويستكمل الإمام علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ صفات الإمام بقوله : ((بهاء للعالمـين)) ، والبهاء : المنظر الحسـن الرائع المالئ للعـين ، إذن تأتي هذه الصفة لتكلـل ما ذكره الإمام ـ عليه السـلام ـ من صفـات ، وقد يعتقد أنّ هذا الوصف وصـف جمـالي قـد لا يراد منه غـير ذلك ، ولكننا نظن أنّ إشـارة الإمـام ـ عليه السـلام ـ تحتضن ما ذكرناه من صفات وتنطوي عيها ، وهذا يتجسَّـد في الهيبة التـي يكـون عليها الإمام ـ عليه السـلام [١] ، وبخاصة في نفـوس خصومه، كما عرف ذلك عن الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السـلام ـ[٢].

لا أريد أن أرفع القلم في هذا البحث ، قبل أن أقول الآتي :

لـو أخـذ المسـلمون بمـا في أقوال الأئمـة ـ عليه السـلام من أفـكار تتصل بهذه القضايـا العقائديّة وغيرهـا ، وابتعدوا عن التأويلات المتصارعة التي ارتبطت في الغالـب بالرؤية السياسـية لهذا الطـرف أو ذاك ، لتوحّـدت المفاهيم والأغراض العقائديّة ، ولصارت قضية(أهل البيت) قضية توحيد للمسلمين ، كما هو شأنها في واقـع الحال، ولما اختلف المسـلمون بشـأنها هـذا الاختلاف .

١- ينظر عن الهيبة : الخصال ٤٨٣ .

٢- ينظر : أمالي الطوسي ٧٤ .

خاتمة الفصل

وبعد هذه القراءة التي اعتمدنا على التأويل سبيلاً لها ، في بيان صورة أهل البيت ـ عليه السلام في الصحيفة السّجّادية ، نخلص إلى بعض النتائج التي توصلنا إليها في هذا الفصل :

١. إنّ دلالات النّص في الصحيفة السّجّادية دلالات لا تنتهي، والتأمل الهادئ والقراءة المتأنّية كفيلان بالكشف عن بعض تلك الدلالات التي تُثري المعارف الإسلامية والإنسانية على السّواء .

٢. إنّ قراءة الصحيفة السّجّادية قراءة تأويلية ، كشفت لنا عن حمولات غنيّة من المضامين الفكرية والتربوية والجمالية ، لم يلتفت إليها من قبل ــ فيما نظن ــ لأن المنهج التأويلي الذي طبّقناه ينفتح على الدلالات اللغوية بكل ما تُعطيه الألفاظ والتراكيب من معانٍ .

٣. من الممكن تصحيح كثير من الأحاديث النبوية الشريفة استناداً إلى نصّ الصحيفة السّجّادية ، لأنّها أقدم النصوص المدوَّنة ــ بعد نهج البلاغة ــ التي وصلتْ إلينا من طريق أهل البيت ـعليه السلام .

وفي الختام أدعو الله تعالى أن ينفع بهذا البحث وبمنهجه من يريد أن يضع يديه على بعض من شذرات أقوال الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ .

الفصل الثاني
الإمام الحجةُ بنُ الحسن عجّل الله فرجه

شغلت قضية الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ الفكر الإسلامي منذ عصر النبوة ، بعد أنْ أخبر النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ بغيبته وظهوره في أحاديث كثيرة ، وذهب المسلمون في كنهها وإدراكها مذاهب شتّى ، على الرغم من أنّهم جميعاً مجمعون على أصل الظهور . وقد تحدّث أهلُ البيت ـ عليهم السلام ـ في العصور اللاحقة كثيراً عن ذلك ليزيلوا عن النفوس ما علق بها من وهم وانحرافٍ ، يمسّ قضيةً تشكّل أساساً رئيساً من أسس العقيدةِ الإسلاميّةِ الحقّةِ، التي تكرّستْ في الإمامة ،وعددِ الأئمّةِ . فتحدثوا (أعني أهل البيتِ عليهم السلام) عن الغيبة وزمانها وعلامات الظهور بعد الغيبة ، ليضعوا المسلمين في دائرة الانتظار والدعاء بتقريب الفرج، لأن ذلك ، يشدّ المسلم إلى عقيدته ، ويجعله في ارتباط متين مع الله سبحانه وتعالى .

إنَّ غياب الإمام يدعو إلى التمسك بإمامته ، لأن وجوبها وجوبٌ إلهيّ ، والغائب الحي يُنتظر ظهوره ـ لأنّ غيابه نظام ربّاني، أرداه الله تعالى على هذا النحو ليبتلي المسلمون ويختبرهم ، فالثبات في زمن الغيبة من المراتب التي ترفع من شأن صاحبه .

لقد اهتمَّ أئمّةُ أهلِ البيتِ عليهم السلام بالغيبةِ قبل وقوعها، لمعرفتهم بما يمكنُ أنْ يفعلَهُ من يريدُ التشكيك بها ، ومن هنا اهتموا بالتشديدِ على المواظبةِ بكثيرٍ من الأدعيةِ في زمن الغيبةِ ،لأنّها من السُّبلِ العباديّةِ التي ترسّخُ أمرها في النفسِ ،وتساعدُ على تهذيبها، وتجمّلِها بمكارمِ الأخلاقِ لما بين العبادةِ والأخلاق من وشائج متينةٍ . ولعل في الروايةِ الآتيةِ تبيانٌ لما نشيرُ إليه ،فقد ورد عن الإمامِ أبي عبدِ اللهِ الصادق عليه السلام أنّه أمرَ زرارةَ بن أعين بالمواظبةِ على هذا الدعاءِ :

((اللهم عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرّفني نفسك لم أعرفْ نبيّك، اللهم عرّفني رسولّك فإنّك إنْ لم تعرّفني رسولَك لم أعرفْ حجّتك، اللهم عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرّفني حجّتك ضللتُ عن ديني))[1]،ويلاحظ من هذا الحديثِ ارتباطِ معرفةِ اللهِ بمعرفةِ النبي والرسولِ والحجةِ ، فانْ لم ترتبط هذه المعرفةُ هذا الارتباطِ الوجودي ،يضلُّ الإنسانُ عن دينهِ.

إنّ تصوّرَ الغيبةِ من كلامِ الأئمّة ـ عليهم السلام ـ وقراءة أحاديثهم على وفق ما تقدّمه اللُّغة من إمكانات تأويلية ، سيضيف بعداً معرفيًاً للغيبة تعاضده الرواياتُ الموثوقة التي وصلت إلينا عنهم ـ عليهم السلام ـ، وسينهض هذا الفصلُ بهذه المهمّة إن شاء الله تعالى، من خلالِ النظر في أحاديث الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ في هذا الشأن .

الغيبة الأولى والغيبة الثانية

أخبر النبي ـ صلى اله عليه وآله وسلم ـ وأهلُ البيت ـ عليهم السلام ـ إن للإمام المهدي غيبتين ، ومادام الإخبار عن ذلك جاءنا من المعصومين ـ عليهم السلام ـ فلا يبقى مسوّغٌ للقول بخلاف ذلك . وإنما من المعقول تماماً أن ننظر في الغيبتين وما يرافقهما من أحداث من دون أن ننظر في أصلهما ، لأنهما واقعتين لا محالة ، بعد هذا الإخبار النبويّ والإمامي . ومن هنا تأتي أهمية قراءة إشارات الإمام علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ عن ذلك .

يقول الإمام ـ عليه السلام ـ مبيّنا غيبة الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ : ((إنّ للغائب منّا غيبتين ، إحداهما أطولُ من الأخرى ، أما الأولى فستة أيام أو ستة أشهر ، أو ست سنوات ، وأما الأخرى فيطول أمدُها حتى يرجعَ عن هذا الأمر

١-كمال الدين وتمام النعمة ٣٤٢ / ٣٤٣.

أكثرُ من يقولُ به ، فلا يلبث عليه إلّا من قوي يقينُه وصحّتْ معرفتُه ، ولم يجد في نفسه حرجاً ممّا قضينا ، وسلّم لنا أهل البيت))[1].

ابتداء ، يلوحُ لنا من قول الإمام ـ عليه السلام ـ هذا إنّ استعماله للفظة(الغائب) ، بدلاً من(من سيغيب منا) مثلاً ـ ، والغيبة لم تقع بعد ، أقول يلوحُ لنا إنّ هذا الاستعمال يؤكد وقوع غيْبَتَي الإمام حقّا. ويُنبئ بأنّ الإمام ـ عليه السلام ـ آثر هذا الاستعمال ليبصّر السامع أنّ الغيبة واقعة لا محالة . وهذا الضرب من التعبير تؤثره اللغة لأنه يمنحها بُعداً جمالياً ودلالياً ، فاستعمال (إنّ) أفاد التوكيد الذي يُريده الإمام ـ عليه السلام ـ لأمر سيحصل في المستقبل، وهو من القضايا الكبرى التي يكون الغيب ركيزة لها، فتوكيد الغيب على هذا النحو لا يقوى عليه إلّا أهل البيت ـ عليهم السلام ـ هذا فضلاً عن معرفة المتلقي بهذا الأمر من قبلُ ، فالإمام يُخبر به وهو معهود عند السامع تماماً، ولكنّ تكرار ذكره في أحاديث الأئمة ـ عليهم السلام ـ ، يقوّيه في نفوس المسلمين ويدعوهم إلى التمسك بهذه العقيدة التي يحاول البعض أنْ يقلّل من شأنها ، ومن هنا تأتي تعبيراتهم على النحو الذي يجعل وقوع الغيبة أمراً قائما حقّاً في وجدان كل مسلم.

ثم يتحدث الإمام ـ عليه السلام ـ عن الغيبتين ، ويجعل مدة الغيبة الأولى ستة أيام أو ستة أشهر أو ست سنين ، من دون أن يرجّحَ أيّ زمنٍ من هذه الأزمانِ الثلاثة . وهذا كلّه لا يتوافق مع ما عُرف عن مدة هذه الغيبة الأولى ، وهي أكثر من سبعين عاماً . إذْ انتهت بوفاة آخر السفراء الأربعة ، علي بن محمد السمري ت ٣٢٩هـ[2].

والإمام ـ عليه السلام ـ يعلم هذا كلّه ، فكيف نتأوّل ما قاله؟ . وهنا نجيب بالآتي

١- كمال الدين ٣٢٤ .

٢- ينظر الإمامة والتبصرة ١٧ ، الكافي ١/ ٣٩ ، كمال الدين ٤٣٢ ، الرسائل العشر ١٦ .

: لقـد التفـت علماؤنا إلى هـذه الأزمان الثلاثة التي ذكرها الإمام ـ عليه السـلام ـ وذهبوا في توجيهها مذاهب شـتى، سـنأتي على ذكرها موافقين أو معترضين . وهي على النحو الآتي :

أولاً : إنّ ذكـر هـذه التواريـخ مفتـوح لينصرف الى تواريخ أخـرى، لأنه لم يأتِ على سبيل الحصر القاطع ، وإنما الإشارة العامة التي يمكن أن تنفتح على أزمنة أخـرى غـير ما ذكـر ، فتكون على سـبيل التمثيل والتقريـب لا الحصر والقطع . يقول ابن بابويه القمي ((يجوز أنّ أمراً لا يمتنع أن يجوز وقته من ستة أيام إلى سـتة أشهر ومن ستة أشـهر إلى ست سنين غير ممتنع أن يجوز إلى سنين))[١] .

ثانيـاً : أراد الإمـام ـ عليه السـلام ـ إخفاء زمن الغيبـة وتعميته، حتى لا تعرف حقيقتُـه ، لأنّ توقيـت الظهـور منهيٌّ عنـه في أحاديث كثيرة، منهـا ما روي عن الإمام الصادق ـ عليه السـلام ـ وهو قوله: ((من وقّت لك من الناس شـيئاً فلا تهابنّ أن تكذبه ، فلسـنا نوقّت لأحد وقتا))[٢] ، لكنّ هذا لا يمنع من الإشـارة إلى الزمـن وبيانه على هـذا النحو الذي يحتمل وجوهاً كثـيرة . وخروجه من الإمام بصيغة واحدة يُعد توقيتاً ثابتاً ، لأنّ الإمام حجة فيما يقول ، واسـتناداً الى هذا، أخذ بيان الزمن هذا الإطار الواسع غير المقيّد . يقول ابن بابويه القمي، مشيراً إلى إغماض الإمام ـ عليه السلام ـ للغيبة ((... وإن أراد الإغماض منه ، فغير عجب أن يغمضه بأشدّ ما يقدر عليه ، ويستر عنه بأجهد ما يمكنه ، لأنّ أمراً يّخبر عنه من يوثق بعلمه بالشـكّ بين سـتة أيام أو ست سـنين ، لا يُراد به غير المغاضضة والستر))[٣] .

ثالثـاً : ذهـب بعض العلماء إلى القول ، إنّ الغيبة تقترن بها حيرة في شـأن الإمام

١- ينظر الإمامة والتبصرة ١٢ .
٢- م . ن ٩٥ .
٣- م. ن ١٣ .

وشأنها عند البعض ، فيكون ما ذكره الإمام من الوقت ، وهو زمن الحيرة والغيبة ، ثم ترتفع الحيرة وتبقى الغيبة، وتفاوت الزمن المشار إليه ، يعني قد ترتفع حيرة إنسان بعد ستة أيام، وترتفع حيرة آخر بعد ستة أشهر أو ست سنين))[١] .

وظنّي أنّ هذا الكلام لا يتوافق مع ما ورد في قول الإمام ـ عليه السلام ـ الذي خصّ به الغيبة الصغرى، لأنّ أخبار الإمام تصل إلى شيعته بوساطة السّفراء ، ولا تنقطع عنهم ، فلا مسوّغ لهذهِ الحيرة المشار إليها ، هذا فضلاًعن أنّ المسلمين يعرفون زمن الغيبة قبل وقوعها ، لأنها ستبدأ بعد وفاة الإمام الحادي عشر الحسن بن علي العسكري ـ عليهما السلام ـ ، وانتقال الإمامة إلى الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ .

رابعاً : ذهب الأمين الإسترابادي إلى أنّ آحاد مدة الغيبة هذا القدر ، لأنّ هذا يتوافق مع الأحاديث المروية في هذا الشأن ، يقول ((... فيكون ظهوره في السابع ليوافق الأحاديث الدالة على إن ظهوره في فرد من السنين ، ولما تجاوز مدة الآحاد ، ومدة الآحاد مع العشرات ، بقيتْ مدة الآحاد مع المئات ومدة الآحاد مع الألوف))[٢] .

ونعتقد هنا إن هذا التوجيه بعيد تماماً عن المراد ، لأنّ مضي هذه التواريخ يحتّم انتظار تواريخ أخرى بعينها ، قد لا تنتهي ما دامت الدنيا قائمة ، هذا بطرق الحساب ، لأنّ مدة الآحاد مع الألوف تطول أيضاً إلى أنْ ينتهي حساب الألوف . هذا فضلاً عن إنّ النظر إلى التواريخ المذكورة فيه انتظار لسنوات بعينها وهذا لا يتلاءم مع التعيين المنهي عنه .

١- شرح أصول الكافي ٦/ ٢٥٨ .

٢- م . ن .

وفـوق هـذا وذاك ، إنّ العلمـاء يجمعـون ـــ كما مـرّ بنا قبل قليل ـــ إنّ الغيبة الصغـرى انتهت سـنة ٣٢٩هـــ ، فكيف يعنى الأمين الاسـترابادي بتوجيه كلام الإمام عليه السلام على هذا النحو وهو المتوفى سنة ١٠٨١هـ[١] ، ولكننا إذا اعتقدنا أنـه ظـنّ أنّ الإمام ـ عليه السـلام ـ يذكـر الغيبة الكبرى وهـذا معقول ، ويُقبل منه التباساً، لأنّ قول الإمام ـ عليه السلام ـ واضح في دلالته على الغيبة الصغرى .

خامساً : إنّ بعض أحاديث أهل البيت ـ عليهم السلام ـ تكون صعبة مستصعبة وغالباً ما تتناسـب مع قدرات السّـائل أو السّـامع، وقابليته المعرفية ، فقد تكون صعبة لا يُسبر غورُها بسهولة عند البعض ، وتكون مدركة معروفة عند البعض الآخر . وهذا كلّه يعتمد على القرب منهم ـ عليهم السلام ـ ومدى السّير على نهجهم. وهـذا ما يُفـسر لنا اختصاص بعض أصحابهم بهم، لأنّهـم يمتلكون القدرة على توجيه أحاديثهم على وفق ما يريدون . يقول الإمام الرضا ـ عليه السلام ـ ((إنّ في أخبارنا متشـابهاً كمتشـابه القرآن ومحكماً كمُحكم القرآن ، فردّوا متشابهها إلى محكمها ، ولا تتبعوا متشابهها دون محكمها فتضلّوا))[٢] .

الغيبة الكبرى:

أما الغيبة الكبرى ، فيشـير الإمام ـ عليه السـلام ـ إلى طول أمدها ، إذ يقود هذا الطـول إلى اضطراب الناس وقلقهـم، مما يدفع بهم إلى الرجوع عن الاعتقاد بها (بالغيبـة) ، ولا يبقـى ثابتاً على اعتقاده إلّا مـن كان من أصحاب اليقين القوي ، والمعرفـة الصحيحـة ، وهؤلاء هم من عرف مقام أهل البيت ـ عليهم السـلام ـ ، معرفة تهيئ له قوّة اليقين المشـار إليها ، لأنّ الشـك والارتياب لا يجد إلى نفسـه

١- ينظر مقدمة شرح أصول الكافي ١/٣ .
٢- عيون أخبار الرضا ٢/٢٦١ ، الاحتجاج ٢/١٩٢ .

سـبيلاً . وطول أمد الغيبة ، يزيد عقيدته رسـوخاً ، لأنّه يعيش في انتظار الفرج في كل حـين ويـدرك مـا يعنيه الانتظار من تجسـيد العقيدة الحقّـة . أما انتظار مـن سـبق فلهم أجرهم فيه ، ومـن هنا لا تبدو المدة طويلـة أو الأمد بعيدا ، لأنّ الظهور محكوم بمشيئة الله تعالى . يقول الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ : ((إنّ اللـه لا يعجـل لعجلة العباد ، إنّ لهذا الأمر غايـة ينتهي إليها ، فلو قد بلغوها لم يسـتقدموا ساعة ولم يستأخروا))[1] .

إن هـذه الـدلالات التـي اسـتنبطناها مـن كلام الإمام ـ عليه السـلام ـ تكشـف عـن الحيويـة التـي يختزنها أهل البيت ـ عليهم السـلام ـ في أحاديثهم ، ليعبّدوا للمسـلمين سُـبل التفكـير المعـرفي الصحيح الذي ينبغـي أنْ يتمثله مـن ينظر في كلامهم .

بقي في النفس شيء ، أرجأنا الحديث عنه متعمّدين ، وكان حقّه أن يتقدّم ، وهو أنّ الإمام علي بن الحسين ـ عليهما السلام ـ عرّف غيبَتَي الإمام المهدي بـ(الأولى) و(الثانية) ، ولم يقل الغيبة الصغرى والكبرى على وفق ما شاع في مؤلفات علمائنا في العصـور المتأخّـرة ، فما الذي يمكن أن نتأوّله هنا في هذا الأمر ؟ .

أغلـب الظـنّ ، إنّ اسـتعمال لفظتي(الصغـرى) و(الكـبرى)، يقتصر عـلى البعد الزمني ، الذي تستغرقه كلّ غيبة ، ولا يُفضي إلى أيّة دلالة أخرى ، إلّا بمقدار ما في ذهن السـامع أو القارئ من معرفة بقضية الغيبة والبُعد الزمني . وهذا وجه واحد من وجوه غيبة الإمام المهدي ـ عليه السلام ، وما بقي فيها من دلالات ربما يفوق هذا الوجه الذي يتقيد بالزمن ، فالغيبة الأولى ـــ على وفق وصف الإمام علي بـن الحسـين ـ عليه السـلام ـ ، كان الإمام فيها على صلـة بأتباعه ومواليه، ولم تنقطـع عنهم أخبـاره ، إذ كانت تصلُ إليهم من طريق السـفراء الأربعة ، الذين

١- الكافي ١/ ٣٦٨ .

نهضوا بمهمّة الإبقاء على تلك الصلة ، فهو ـ عليه السلام غائب وحاضر في آنٍ معاً، غائب عن الناس بمكانه الخفيّ ، حاضر معلوم عند السفراء ، وما كان يخرج منه من توقيعات وكتب وأخبار تجعل هذه السمة سمة مميزة لهذه الغيبة. وتجعلها كبرى في حوادثها وإن كانت صغرى في زمنها . هذا فضلاً عن إنّ ما واجه الإمام عليه السلام في ولادته ثم وفاة أبيه ، والصلاة عليه مبعداً عمّه(جعفر) عن ذلك ، تجعل هذه الغيبة حقاً(كبرى) وليست(صغرى) كما وصف الواصفون .

ولا أدلّ على كبر حوادث هذه الغيبة من قول الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ يصف بعضاًمن حوادثها التي تتصل بما يفعله جعفر الكذاب المشار إليه قبل قليل ، يقول ـ عليه السلام ـ : ((... فسمّوه جعفر الكذّاب المفتري على الله والمدّعي لما ليس له بأهل، المخالف على أبيه والحاسد لأخيه ، ... كأني بجعفر الكذّاب وقد حمل طاغية زمانه على تفتيش أمر ولي الله ، والمغيّب في حفظ الله، والتنكيل بحرم أبيه ، جهداً منه بولادته وحرصاً منه على قتله إن ظفر به ، طمعا في ميراث أبيه حتى يأخذه بغير حق))[1] .

وهذه حقاً من الحوادث الكبرى في هذه الغيبة ، فولادة الإمام غير معلومة من أحد ، إذ كانت خافية على عمّه جعفر الذي أراد أن يأخذ ما ليس له بحقٍّ ، وهو الإمامة ، إذ جعلها الإمام من ميراث أبيه الذي لا حقّ له فيه ، ومعلوم أنّ الولد له الحق في ميراث أبيه ، ولو كان الإرثُ مما يخلفه الميت لورثتِهِ . ولكنّها الإمامة التي تنتقل بشرطَي الوراثة والوصية . وما أشار إليه الإمام مما يفعله جعفر الكذاب مؤذٍ لأهل البيت ـ عليهم السلام ـ ولكنها سنّة الله سبحانه وتعالى في عباده وفي هذه القضية ـــ قضية الإمامة ـــ إذ إنّها تبدأ وتنتهي بابتلاءات ، يريد الله سبحانه وتعالى أنْ يمحّص عباده بها .

١- الاحتجاج ٢/ ٤٩ .

ومـن هنـا ندرك تماماً ما جاء في وسـط الرواية من أنّ الإمام علي بن الحسـين ـ عليه السـلام ـ بكى بكاء شـديداً وهو يُخبر بما يفعله جعفر الكذاب[١] .

أمـا الغيبـة الثانيـة ، فهـي كبرى أيضـاً ، لأنّها ترتبـط بانتظار الظهـور ، وهذا قـد يأخذ زمناً ، وسـيكون الزمن الـذي يأتي بعد الظهور كبيراً في حوادثه ، فهل سُـميت هـذه الغيبة بعد الظهور كبيرة بما تفضي إليه مـن حوادث ؟ أظنّ ذلك ، وأظنُّ معه أنّ استعمال (الأولى والثانية) للدلالة على الغيبتين هو الصحيح الدقيق الموثوق ولم يبقَ بعد مسوّغ لأنْ نذهب بعيداً عمّا قرّره الإمام علي بن الحسين ـ عليه السـلام ـ بشـأن بيان دلالة الغيبة الأولى والغيبة الثانية .

فضل أهل زمان الغيبة :

يذكـر الإمـام ـ عليـه السـلام أهل زمـان غيبة الإمـام المهدي ـ عليه السـلام من المسـلمين وينعتهم بنعوتٍ تُظهرُ المنزلة الكبـيرة التي يتبوّؤنها ، لأنّهم آمنوا بإمامتـه ولـم يـروه ، وإنّما اعتمدوا على الروايات التـي وصلت إليهم ، في قضية تعدّ من القضايا الكبرى في الحياة الإسلامية ، ومن هنا جاء حديث الإمام علي بن الحسـين ـ عليه السـلام عن أهل زمان الغيبة . ومن ذلك قوله : ((إن أهل زمان غيبتـه القائلـين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كل زمان، لأن الله تعالى ذكـره أعطاهـم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشـاهدة))[٢]. فالإمام عليه السـلام لا يعنيه من أهل زمـان غيبة الإمام المهدي عليـه السـلام إلا الذيـن يؤمنون بإمامتـه وغيبته وينتظرون ظهـوره ، وهؤلاء أفضل من أهل الأزمان كلّها، السـابقة واللاحقة بهذين الشرطين ، فالأفضلية إذاً

١- ينظـر عمـا كان مـن شـأن جعفر الكـذاب في : كمال الديـن ٥٥ ، الخرائـج والجرائح ٢/ ٩٣٩ .

٢- كمال الدين ٣٢٠ ، إلزام الناصب ١/ ٢١٦ ، إعلام الورى ٤٠٧ ،

جاءتْ ابتداءً من الإيمان بإمامة الإمام المهدي عليه السلام ومن ثم غيبته ، ومن بعد ذلك انتظار ظهوره. ثم يذكر الإمام عليه السلام فضل الله سبحانه وتعالى على أهل زمان الغيبة ، بما أعطاهم من العقول التي تتدبّر ما جاء في روايات أهل البيت عن الإمام المهدي عليه السلام ، وتتمثّله بما يوفّر لها القناعة المطلقة بغيبته عليه السلام .

أما ما أعطاهم الله سبحانه وتعالى من الأفهام ، فالمراد به إيمانهم بالغيبة من طريق الإحساس الوجداني ، فالفهم في اللغة يعني : ((معرفتك الشيء بالقلب))[1]، وهنا يجتمع العقل مع القلب في الاعتقاد بغيبة الإمام المهدي عليه السلام ، عند أهل زمان الغيبة، وهذه منحة من الله سبحانه وتعالى وهبها لهم . ثم يُضيف الإمام عليه السلام ذكر ما أعطاهم الله تعالى من المعرفة ، وهذا يندرج في إطار المعرفة الحقّة التي تنتج مما تقدّم ، أيْ من اجتماع العقل مع القلب في هذه القضية التي تمثّل لبّ العقيدة الإسلامية .

إنّ هذه السمات التي منحها الله سبحانه وتعالى للمنتظرين في زمان الغيبةِ الثانيةِ ، تُجلّي لنا المنزلةَ الكبيرةَ التي مُنحتْ لهم إنْ كانوا على إيمانهم بالغيبةِ والظهورِ.

علامات الظهور :

يشير الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ الى بعض دلائل ظهور المهدي ـ عليه السلام ـ وعلاماته ، وهو يجيب أحد أصحابه ، فقد سأله(حذلم بن بشير)[2] قائلاً : صف لي خروج المهدي وعرّفني دلائله وعلاماته . فقال له

١- ينظر : لسان العرب(فهم) .

٢- حذلم بن بشير : اختلف في اسمه ، قيل بشير بن حذلم ، وقيل حذيم بن شريك يُعد من أصحاب الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ ، وهو الذي نعى الحسين ـ عليه السلام ـ لأهل

الإمـام ـ عليـه السـلام ـ : ((يكون قبل خروجه خروج رجـل ، يُقال له : عوف السُـلمي بأرض الجزيرة ، ويكون مأواه تكريت وقتله بمسـجد دمشـق))[١] .

إنّ مـا يقولـه الإمام ـ عليه السـلام ـ وما يُخبر به حـقٌّ واقع لا محالة ، فخروج هذا الرجل المسمّى بـ(عوف السُّلمي) من العلامات التي ستقع حتماً قبل خروج الإمـام المهـدي . ولكننا لا نعرفُ عن هذه الشـخصية إلّا هذه الصفة التي ذكرها الإمام ـ عليه السلام ـ . بيد أنّ الجهل بها لا يمنع أن نضع تصوراً يمكن أن نستمده من قول الإمام نفسه ، فقد يكون هذا الاسم(عوف السُّلمي) الاسم الحقيقي لهذه الشـخصية ، وقد يُسـمّى الشـخص الموصوف بهذا الاسـم ، وليس اسـمه هو ، ونحن هنا نرجّح هذا الوجه ، لأنّ صاحبه يُغطّي به شخصيته الحقيقية ، لإبعاد الخطر عنه ــ مثلاً ــ في الحركة والتنقل والاستعداد للخروج المشار إليه ، وهذا أمر مألوف في القديم والحديث ، إذ يتسمّى بعض الناس بغير اسمائهم الحقيقية لغايات كثيرة . يؤيد هذا التوجيه ، استعمال الإمام ـ عليه السلام ـ لعبارة(يُقال له) ، ولم يقل اسـمه(عوف السـلمي) ، وفي هذا ما لا يخفى من الفرق بين العبارتين.

وثمـة احتمـال آخـر يمكـن أن نضيفه لبيـان شـخصية(عوف السـلمي) ، وهو أنْ يكـون الشـخص المشـار إليه من أحفـاد الصحابي (عوف السـلمي)[٢] لقرب المخاطب(حذلـم بن بشـير) من زمانـه ومعرفته به حتماً ، وهـذه المعرفة تكفيه

المدينـة بعـد نزول أهل البيت قـرب المدينة، ينظر مثير الأحزان ٩٠ ، بحـار الأنوار ١٤٧/٤٥ ، ينابيع المودّة ٩٣/٣ .

١- الغيبة ٤٤٤ ، وينظر أيضاً الخرائج والجرائح ١١٥٥/٢ ، بحار الأنوار ٢١٣/٥٢ .

٢- عوف السُّلمي ، من قبيلة سُليم ، صحابي ، شهد فتح مكة مع النبي ـ صلى الله عليه وآله وسـلم ـ وافتخر به العباس بن مرداس السُّـلمي ، حامل راية بني سُليم في هذا اليوم بقوله في الديوان :

خفاف وذكوان وعوف تخالهم *مصاعب راقت في طروقتها كلفا

بمكة إذ جئنـــــــا كأن لواءنـا* عقابٌ أرادت بعد تحليقها خطفـــا

يُنظر: الإصابة ٦١٨/٤.

، فـلا يبحـث بعدُ عـن إضافة توصيف آخر ، كما سـنرى ذلك بعـد قليل في ذكر السفياني ونسبه.

بقي أنْ نشـير هنا إلى أنّ خروج هذا الشـخص ، غير مكشـوف لنا في قول الإمام ـ عليـه السـلام ـ ، أهـو خروج هداية أم ضلال ؟ ، ولكننـا نخمّن تخميناً أنّه إلى الثانية أقرب ، لأنّه لا يخرج ثائراً على ظلم ، وإنما خروجه يدعو إلى نفسه ، ولو كان غير هذا لما تركه الإمام ـ عليه السلام ـ غفلاً من التوصيف ، لأنّ من يخرج منتصراً لحقّ، ويُخبر به الإمام ـ عليه السلام ـ سيذكر ذلك له ، نمطاً من الجزاء الذي يسـتحقّه[١] ومهما يكن من أمرٍ ، فإنّ لخروج هذا الشـخص شـأناً وإلا لما أخبر به الإمام ـ عليه السلام ـ . وجعل خروجه علامة من علامات خروج القائم ـ عليه السلام ـ .

ثم يذكر الإمام ـ عليه السـلام ـ إنّ مأوى(عوف السُّـلمي) سـيكون في تكريت[٢] من أرض الجزيرة ، ووصفُ الإمام ـ عليه السـلام ـ هنا للمكان ، يتطابق تماماً مـع مـا تقوله المصـادر الجغرافية وكتب البلـدان عن أرض الجزيـرة التي تمتد بين العراق والشـام وتشـمل ديار بكر وتصل إلى الخابور[٣] ، وتكريت تقع على أطـراف الجزيرة. وتنتهي حياة هذا الرجل بالقتل في مسـجد دمشـق ،ومسـجد دمشـق يُعرف اليوم بالجامع الأموي ، ولكنّ الإمام ـ عليه السـلام ـ أشـار إليه باسـمه الذي كان شـائعاً عصرئذٍ ، لأنّ المسـاجد تنسب إلى المدن التي تقام فيها ، وليس إلى الأشـخاص أو الأسر ، كما يُقال مسـجد الكوفة ومسـجد البصرة .

١- ثمة توجيه ذهب إليه الشيخ علي الكوراني في عصر الظهور ١٧١ ، قد لا نوافقه عليه .

٢- تكريـت : مدينـة غربـي دجلـة ، لها قلعـة حصينة على الشـطّ ، وهي من المـدن العتيقة ، سـكنتها أياد في الجاهلية ، وذكرها الشـعراء في أشـعارهم، بينها وبين الموصل مراحل ، ينظر معجـم ما اسـتعجم ٧١/١ ، معجم البلدان ٣٨/٢ ، الـروض المعطار ١٣٢/١ .

٣- ينظر صفة جزيرة العرب ٤٧/١ ، المسالك والممالك ٩٨ .

ويُضيف الإمام ـ عليه السلام ـ علامة أخرى لظهور الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ ، بقوله ((... ثم ظهور شُعيب بن صالح بسمرقند))[١] . فمن شعيب هذا ؟ .

تذكر المصادر الإسلامية أخباراً عن شعيب بن صالح، فتقول أنه من أهل خراسان ، ويأتي على رأس أربعة آلاف مقاتل، يُقاتل السُّفياني وينتصر عليه في الشام ، ثم يأتي إلى الكوفة فإذا ظهر الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ في مكة ، بعث إليه ببيعته ، ثم يكون على لوائه . أي قائده الأول كما يعبر عنه في العصر الحديث[٢]، واستناداً إلى هذه الأخبار ، فاسم(شعيب بن صالح) معهود عند السائل من قبلُ ، لذا جاء ذكر الإمام له بهذه الصفة ، على خلاف ذكره لـ(عوف السُّلمي) الذي مرّ بنا قبل قليل إذ وصفه(برجلٍ يُقال له) . كما ألمحنا من قبل .

وتأتي العلامة الثالثة من الإمام ـ عليه السلام ـ لسائله بقوله ((ثم يخرج السّفياني الملعون بالوادي اليابس ، وهو من ولد عتبة بن أبي سفيان الملعون ، فإذا ظهر السّفياني ، اختفى المهدي ، ثم يخرج بعد ذلك))[٣] .

وشخصية السّفياني هنا ، واضحة المعالم . إذ ورث صاحبها من أسلافه بل من سلفه عتبة بن أبي سفيان ما يستحق عليه اللّعن، لذا أتبع الإمام ذكره بلفظة(الملعون) ، ومعلوم أنّ وصف الإمام له، يبسط أمامنا صورته الحقيقية ، إذ سيأتي حينما يظهر بأفعال تُنافي ما يريده الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ لذلك استحق هذا السّب والدعاء من الإمام ـــ عليه السلام ـ ، والإمام لا يلعن شخصاً بدوافع ذاتية ، ولا يَسبَّه لأنّه من نسل ملعون آخر ولكنّ ما سيقوم به من فعل يحتّم لعنه. فهذا إذاً شأن السّفياني ، الذي سيكون خروجه علامة حتميّة الوقوع

١- الغيبة ٤٤٤ .

٢- وصفه الشيخ علي الكوراني في عصر الظهور ٣٨ بـ القائد العام لقوات الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ

٣- الصحيفة السجادية الكاملة ١٩١ ، الغيبة ٤٤٤ .

من علامات ظهور الإمام[١].

وقد أعطتنا المصادر صورة لخروج السّفياني ، وما يفعله بعد خروجه ، فهو يخرج قبل ظهور المهدي ـ عليه السلام ـ ، ببضعة أشهر ورايته راية الضلال ، يستبيح مناطق كثيرة من الشام والعراق وربما مصر . ليقاوم بفعله هذا المدّ الإسلامي الممهّد لظهور الإمام ـ عليه السلام ـ[٢] . ومن هنا نفهم الدلالات العقدية التي تؤطر لفظة(الملعون) التي وصف بها الإمام ـ عليه السلام ـ السّفياني ، لأنّ ما يقوم به يستحق اللعن عليه ـــ كما أشرنا ـــ .

بقي أنْ نذكر إن لعنة الإمام ـ عليه السلام ـ للسفياني تنطوي على تبصير للمسلمين للحذر من رايته . إذ إنّ خروجه سيكون في زمان ، تختلط فيه أمور الناس وأصواتهم إلى الحدّ الذي قد يصعب فيه التمييز بين الحق والباطل[٣] . ومن هنا تبقى إشارة الإمام ـ عليه السلام ـ مع ما ورد وما سيرد عن الأئمة الآخرين معطىً معرفياً للسائرين على منهج أهل البيت ـ عليهم السلام ـ وولايتهم .

سنن الأنبياء السابقين في الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ :

يذكر الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ إنّ الله سبحانه وتعالى أعطى الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ بعضاً من سنن الأنبياء السابقين بقوله : ((في القائم منا سنن من الأنبياء ... سُنّة من أبينا آدم وسُنّة من نوح ، وسُنّة من

١- ينظر كمال الدين وتمام النعمة ٦٥٢ ، الإرشاد ٢/ ٢٧١ .

٢- ينظر عصر الظهور(صفحات كثيرة) ، إذ جمع الشيخ علي الكوراني كل ما يتعلق بظهور الإمام وما يسبق ذلك الظهور وما يرافقه من حوادث كبرى ، ومنها خروج السفياني وما يفعله في ذلك العصر .

٣- ينظر المعجم الأوسط ٦/ ٣٢٨ ، بحار الأنوار ٣٦/ ٣٥٥ .

إبراهيم وسُـنّة من موسى ، وسُـنّة من عيسى ، وسُنّة من أيوب وسُنّة من محمد ـ صلى الله عليه وآله وسـلم))[1] .

هنا ثمة ملاحظتان ، نودّ الإشارة إليهما قبل النظر في تفاصيل قول الإمام ـ عليه السلام ـ الأولى : إنّ الإمام ـ عليه السلام ـ ، أراد أنْ يُبعد الشكّ عن نفوس بعض المرتابين في زمانه والأزمان اللاحقة ، مما سيكون للإمام المهدي ـ عليه السلام ـ ، لأن ما سـيكون له ، متصل بسـنن الأنبياء السـابقين ، ومشـابه لما مرّ عليهم في بعض مراحل حياتهم، واستناداً الى هذا يتحقق أمران من قول الإمام هذا ، الأول ما أشرنا إليه ، والثاني ، إنّ الإمام ـ عليه السـلام ـ يبسـط الظواهر الكبرى التي تخـص حيـاة الإمام المهدي ـ عليه السـلام ـ في التقاطه لها، وشـدّها إلى ما عند الأنبياء السابقين .

أما الملاحظة الثانية فهي أنّ خمسة من الأنبياء الذين ذكرهم الإمام ـ عليه السلام ـ هم أولو العزم من الرسـل ، مع اثنين من الأنبياء الآخرين ، فكيف نتأول مراد الإمام ـ عليه السلام ـ من هذا الذكر؟.

إنّ الرسـول الواحـد مـن أولي العزم يبعث بكتاب وشريعـة، وكل من يأتي بعده مـن الأنبيـاء يأخـذ بكتابه وشريعته ، حتى يجيء رسـول ثانٍ مـن أولي العزم ، بكتـاب جديد وشريعـة جديدة ، فيأخذ بها من يأتي بعده حتى يأتي الآخر حتى وصـل الأمـر إلى النبي الخاتم محمـد ـ صلى الله عليه وآله وسـلم ـ ،الذي يبقى كتابه القرآن وشريعته إلى يوم القيامة ، والإمام القائم قائم بدين جده وشريعته ومتمسـك بها ، وإذا ظهر أعاد من شـذّ عن ذلك إلى منهج الحقّ. واستناداً إلى هذا يكون الإمام المهدي ـ عليه السـلام ـ مسـتكملاً لرسالات أولي العزم جميعاً التي

١- كمال الدين ٣٢٢ ، وقد نسـب القول في مصادر أخرى إلى غيره من الأئمة ـ عليهم السـلام ـ ، ينظر دلائل الإمامة ٥٣٢ .

توحّدت في الإسلام بشريعة جدّه ، هذا فضلاً عن إنّه ـ عليه السلام ـ سيواجه ما واجهه أولو العزم من الرسل من أذى الظالمين . وهو يسعى إلى تطبيق ما كُلّف بتطبيقه بأمر الله تعالى .

إنّ هاتين الملاحظتين اللّتين أشرنا إليهما ، تمثلان الإطار العام لموازنة علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ بين من ذكره من الأنبياء وبين الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ .

أما الإطار الخاص ، فيتمثل في إنتقائه لبعض السنن التي جعلها ركائز لموازنته يقول متمّا قوله السابق ((فأما من آدم ونوح فطول العمر ، يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره في صورة شاب دون أربعين سنة))[١] .

يتخذ الإمام ـ عليه السلام ـ من عمر آدم ونوح ، مثلاً لطول عمر المهدي ـ عليه السلام ـ ، من دون تحديد لزمن الغيبة ، لأنّ البيان منصبٌّ هنا على طول العمر المطلق . فعمر آدم ـ عليه السلام ـ كان تسعمائة وثلاثين سنة[٢] ، وعمر نوح الذي قضاه نبيّاً في قومه ، هو تسعمائة وخمسون عاماً كما نطق بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[٣]، وقيل إنّه بُعث نبياً ، بعد أن بلغ مئتين وخمسين سنة[٤] . واستناداً إلى هذه السُّنة الإلهية ، لا يكون عمر الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ أمراً غريباً، فهو أمرٌ شاء الله تعالى أنْ يعطيه لبعض أوليائه ، كي تكتمل الأسباب للنهوض بما وُكّلَ إليهم . واذا كان طول العمر يقود إلى الضعف

١- كمال الدين ٣٢٢ .

٢- ينظر علل الشرائع ٢/ ٥٩٤ ، عيون أخبار الرضا ٢/ ٢١٩ ، سعد السعود ٣٧ وفيه أن عمره كان ألف سنة وثلاثين .

٣- العنكبوت ١٤.

٤- ينظر تفسير القرطبي ١٣/ ٣٣٣ .

والهرم والشيخوخة ، كما بسط الله تعالى ذلك في قوله : ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[١]، فإن طول عمر الإمام يُظهره شاباً دون أربعين سنة ، لأنّه سينهض بمهمّته الربّانية التي تستدعي قوّة ونشاطاً، فضلاً عمّا تستدعيه مدة الغيبة من ذلك كذلك .

ثم يلتفت الإمام ـ عليه السلام ـ إلى ما أخذه المهدي ـ عليه السلام ـ من سنّة إبراهيم ـ عليه السلام ـ فقال ((وأما من إبراهيم فخفاء الولادة))[٢] ، وهنا نقول : إنّ الله تعالى أخفى ولادة إبراهيم ـ عليه السلام ـ ، بعد أن أمر نمرود بقتل كلّ ولد يولد في السنة التي أُخبر فيها أنّ ملكه يذهب على يد غلام يولد فيها ، ((فلما دنت ولادة إبراهيم ، خرجت أمه هاربة ، فذهبت به إلى غار ، ولفته في خرقة ، ثم جعلت على باب الغار صخرة ، ثم انصرفت عنه))[٣]، وتكفّل الله تعالى برعايته حتى استقام أمره . والإمام المهدي ـ عليه السلام ـ ، أُخفي أمر ولادته ـ أيضاً ـ ، فالخليفة العباسي كان يتسقط أخباره ، لأنّه يعرف أنّ زمان ولادته قد حان ، وكان يخشى على ملكه منه ، فضلاً عن إنّ ولادته تعني تثبيتاً لخلافة الأئمة الاثني عشر ـ عليهم السلام ـ ، فأراد خصومه قتله ليصحّحوا منهجهم ويُخطّئوا منهج أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، ومن هنا فإنّ آثار الحمل لم تظهر على أم الإمام حتى ليلة ولادته ، ولا خفاء أبين من هذا [٤]. ولا تشابه أوثق من هذا بين الولادتين ، ولادة إبراهيم ـ عليه السلام ـ و ولادة الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ . ويضيف علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ ما أخذه المهدي ـ عليه السلام ـ من موسى ـ عليه السلام ـ إلى جملة ما سبق فيقول : ((... وأما من موسى فالخوف

١- النحل ٧٠.
٢- كمال الدين ٣٢٢ .
٣- مجمع البيان ٤/٩٦.
٤- ينظر بحار الأنوار ٥١/٢٢ .

والغيبة))[1] ، فموسى ـ عليه السلام ـ بعد أن قتل القبطي وقع في خطر عظيم ، وأصابه خوف شديد ، لأنّ القبط وعلى رأسهم فرعون سينتقمون منه جزاء فعلته هذه[2]، وإلى خوف موسى هذا أشار القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفاً يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾[3]، وقوله تعالى : ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفاً يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[4] ، ثم غاب عن وطنهِ وهرب من فرعون ورهطه ، ولم يظفر به أحد ، ولا عُرف بشخصه حتى بعثه الله نبيّا ودعا إليه فعرفه الجميع[5]، والخوف هذا ، والخشية من الأعداء سنّة في الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ ــ أيضاً ــ ، فغيبته ترقّبٌ وانتظارٌ وخشيةٌ ، وبعد ظهوره يلاحقه السّفياني ، فيبعث بعثاً ((إلى المدينة ، فيفر المهديُّ منها إلى مكة ، فيبلغ أمير جيش السفياني أنّ المهدي قد خرج من المدينة فيبعث جيشاً على إثره فلا يدركه حتى يدخل مكة خائفاً يترقّب على سنّة موسى بن عمران))[6] ، وهذا كلّه يحصل قبل أنْ يخسف الله تعالى البيداء بجيش السّفياني[7]. وهنا تظهر سنّة الله تعالى في عبديه موسى ـ عليه السلام ـ والإمام المهدي ـ عليه السلام ـ ليتحقق بذلك ما قاله الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ .

أما سنّة عيسى التي يشترك الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ معه فيها ، فيقول الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ عنها : ((.. وأما من عيسى فاختلف

١- كمال الدين ٣٢٢ .
٢- يُنظر: تفاصيل ذلك في الميزان ١٨/١٦ .
٣- القصص١٨.
٤- القصص ٢١.
٥- يُنظر: الغيبة ١١٠ .
٦-تفسير نور الثقلين ٤٨٦/١ .
٧- يُنظر: نفسه.

النـاس فيـه فمنهم من يقول ما ولـد ومنهم من يقول مات ومنهم من يقول قُتل وصُلـب))[١] .

إنَّ الاختـلاف في عيـسى نشـأ من أنّهـم توهّمـوا أو أرادوا أنْ يتوهّمـوا أنّه عليه السـلام دعـا بني إسرائيـل إلى الإيمـان بالله وبه رسـولاً من عنـده ، وازدادوا طغيانـا وكفـراً، وطلبـوه ليقتلوه . ولكـنّ بغيَهم لم يفلح ، وبعد أن يئسـوا من العثـور عليـه أو الإمسـاك به ، ادّعوا أنّهم عذّبوه ودفنـوه في الأرض حيّاً ، وقال آخـرون إنّهـم قتلوه وصلبوه ... ولكنّ حقيقة الأمر إنّ الله ـــ عز وجل ـــ رفعه إليـه ، بعد أن شـبّه لهـم ذلك . وقد جـاء هذا في قولـه تعـالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾[٢] . وأشـار الإمام الرضا ـ عليه السـلام ـ أيضا ـــ إلى هذا الذي وقع فيه الناس بشـأن عيـسى ودلالة الآيتين عليه بقوله : ((إنّه مـا شـبه أمـر أحد من أنبياء اللـه وحججه على الناس إلّا أمـر عيسى وحده ، لأنه رفع من الأرض حيّاً ، وقبض روحه بين السـماء والأرض ، ثم رفع إلى السـماء وردّ عليـه روحه وذلـك قوله عز وجل(إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّـرُكَ)))[٣] .

إنّ هـذا الاضطراب الذي وقع فيه الناس بشـأن عيسى، سـيحصل للإمام المهدي ـ عليه السلام ـ إذ سيختلف فيه الناس، ويشكك الجهال في غيبته . ويشير الإمام الصادق الى هذا الاضطراب بقوله ((... أما والله ليغيبّنَّ أمامكم سنيناًمن دهركم ولتُمحّصـنَّ حتـى يُقـال : مـات ، قتـل ، هلـك ، بأي واد سـلك ، ولتدمعـنّ عليه

١-كمال الدين ٣٢٢ .

٢- النساء ١٥٧ ـــ ١٥٨.

٣- الخصال ٥٢٩ ، عيون أخبار الرضا ٢/١٩٢ .

عيـونُ المؤمنـين ...))[١] . ومـن هنـا ندرك تأكيـد أئمة الهدى ـ عليهم السـلام ـ عـلى أهميـة الصبر في زمـن الغيبة ، إذ جُعلَ وازنا لمعرفـة إيمان المؤمنين، وهذه دلالة التمحيص التي وردت في قول الإمام الصادق ـ عليه السلام ـ ، وإنّ الصبر ركيزة إيمان المؤمنين ، وهم ينظرون فرج الظهور . وقد جاء في الحديث النبوي ((طوبى للصابرين في غيبته ، طوبى للمتقين على محجّتهم ، أولئك وصفهم الله في كتابـه وقـال: ((الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ))[٢] ، ولا شـك إنّ الإيمان بغيبة الإمام وظهـوره من مصاديق الإيمان بالغيب الذي أشـارت إليه الآية المباركة .

ثم يلتفت الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ ، إلى النبي أيّوب ـ عليه السلام ـ ، ويخصّ بلواه ، بالذكر ، فيقول عمّا أخذه الإمام المهدي ـ عليه السـلام ـ منه ((وأمـا من أيّوب فالفرج بعد البلوى))[٣] .

وبلـوى أيـوب ـ عليه السـلام هي المرض الذي ابتلاه اللـه تعالى به مدة ثلاث أو سـبع سـنوات[٤]، فصبر على أمر الله تعالى . قال عزّ وجـل : ((وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ))[٥] ، وهـذا الإطـراء الربّانـي لصـبر أيـوب ، يُظهر عمق مـا كان يعانيه هذا العبـد الصالح في محنته ، بعـد أن تخـلّى عنه الجميع ، حتى زوجه التـي كادت تفارقه ، لولا رحمة الله ، فصبر وجاءه الفرج ، والإمام المهدي ـ عليه السلام ـ يشترك معه في سنة البلوى أي الاختبـار ، إذ يبقـى غائبـاً متوارياً ينتظر الفرج الموعـود به ، ومن هنا حثّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ على التمسك بالدعاء بالفرج ـــ كما سيرد بعد قليل .

١- الكافي ١/٣٣٦ .

٢- كفاية الأثر ٦٠ ، وينظر ينابيع المودة ٣/٢٨٥ مع زيادة في النص .

٣- يُنظر: كمال الدين ٣٢٢ .

٤- يُنظر: علل الشرائع ١/٧٦ .

٥- ص ٤٤.

ويختم الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ إشاراته إلى ما أخذه المهدي عليه السلام ـ من الأنبياء بما أخذه من سنّة جدّه النبي محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فقال ((وأما من محمد فالخروج بالسيف))[1] .

إنّ الأنبياء السابقين الذين بعثهم الله تعالى إلى أقوامهم ، ما خاضوا حروباً من أجل نشر ما يدعون إليه ، وإنما أقاموا مع أقوامهم يدعون بالحجّة والبرهان ، حتى يحين وقت رحيلهم إلى الله تعالى . أما النبيّ محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فسنَّ الله تعالى له مقاومة المناوئين لدين الله ، ولم يكتفِ بالمحاججة والبرهان ، وإنما قاوم أعداء الدين بالقتال ، حتى انتصر الإسلام ، وبسط فيئه على بقاع الأرض ، والإمام المهدي عليه السلام ـ ، مكلّف من الله تعالى بالسير، على نهج جدّه ، بالخروج بالسيف وقتال أعداء الله ، الذين يقفون قبال دعوة الحق التي يُنهضه الله تعالى للقيام بها، ولا يمكن إزالة الظلم والجور الذي يملأ الأرض ، وبسط العدل والقسط إلّا بالجهاد بالسيف . وهذا هو الوصف المشترك بينه وبين جدّه النبي محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في هذه الجزئيّة .

بقي أنْ نشير هنا إلى أنّ السيف ، لا يعني آلة الحرب المعروفة فقط ، وإنما يكون كناية عن أسباب القوّة كلّها التي ستسود في زمن الظهور إذْ لا بدّ من مواجهة الأعداء بأسلحة مناظرة لأسلحتهم أو متفوقة عليها ، حتى يكون النصرُ عليهم على وفق الأسباب التي يسخرها الله تعالى للإمام ـ عليه السلام ـ في زمن ظهوره .

١- كمال الدين ٣٢٢.

أصحاب الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ :

يشير الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ في قول آخر إلى عدة أصحاب الامام المهدي ـ عليه السلام ـ ، الذين يظهرون بظهوره ، ويكونون ذوي شأن عظيم في دولتـه ، إذْ ينهضـون بمهمة قيادة الدولة الإلهية التي يقيمها ، يقول عن عددهم : ((المقعدون عن فرشهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً عدة أهل بدر))[١].

إنّ مـا ينبغـي أنْ نشـير إليـه أولاً ، إنّ الإمـام ـ عليه السـلام ـ اسـتعمل عبارة ((المقعدون عن فُرُشـهم))[٢] كناية عن استعدادهم من قبلُ للخروج حينما يحين الحـين . حتـى جـاء الوعـد ، قعدوا عـن فرشـهم. والمُقعد في اللغة اسـم مفعول للفعل(قَعَـدَ) ، وهـو الذي يتكلف غيرُه بإقعاده ، فهؤلاء إذاً لهم من يقعدهم عن فرشهم .

وما داموا هم ينتظرون ظهور الإمام ـ عليه السلام ـ فأقعدهم إذاً زمن الظهور ، بل لحظته ، وقليل من التدقيق في قول الإمام ـ عليه السلام ـ ، يكون علم هؤلاء بزمن واحد ، لأنهم سيجتمعون في مكة عند الصباح[٣] ، فيكون هذا العلم الربّاني هو الذي يُقعدهم عن فرشهم فصاروا(مُقعَدُون).

أمـا التركيـز عـلى ذكر الفـرش ، فيومئ إلى أنّ هـؤلاء الأصحـاب يودّعون حياة الدعة والهدوء ، ويستعدون لما سيقبلون عليه من مهمات ربّانية تستدعي جهاداً متصـلاً ، عـلى الرغم مـن أنّ حياتهم من قبلُ هي حياة مكابـدة وعبادة وجهاد ، ولكـنّ مـا ينتظرهم وقتئـذٍ يجعل ما كانوا فيه من قبل دعـة وهدوءاً، فجاء ذكر

١- الخرائج والجرائح ٣/١١٥٥ ، بحار الأنوار ٥٢/٢١٣ .

٢- ترد هذه العبارة في مصادر أخرى هكذا(المقعدون من فرشهم) وتنسب للإمام علي ـ عليه السلام ـ مرة وللإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ مرة أخرى ، ينظر : كمال الدين ٦٥٤ ، الغيبة ٣١٤ ، الملاحم والفتن ٣٧٥ .

٣- ينظر الغيبة ٣٣٧ .

(الفـراش) ليـوازن بـين نمطين من الحياة لهـذه الثلّة المنتخبة من الله سـبحانه وتعالى.

واسـتناداً إلى هذا ، فإننا سـنصرف النظر عن رواية النّصّ الأخرى ((والُمقعدون في فرشهم)) ، لأن زمن الخشية والترقب والانتظار انتهى ، وظهر الإمام ـ عليه السلام ـ ، فلا مسوّغ إذاً لأن تكون العبارة على هذا النحو ، لمعرفتنا بنهج الإمام عليه السلام ـ ودقته في استعمال الألفاظ على وفق ما بيّناه فيما سبق . لأنّ تقديم المصدر ، قد لا يكون كافياً أحياناً للوقوف على النّصّ الموثوق . إذا رجّحت اللغة توجيها آخر هو الأقرب الى لغة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ ، فهم أربابُ الكلام .

ويذكر الإمام ـ عليه السلام ـ عدة هؤلاء القادة بثلاثمائة وثلاثة عشر ، عدة أهل بـدر ، ومقاربـة معرفية لهذا الجزء من النصّ . تقودنا إلى القول إنّ اسـتحضار الإمام ـ عليه السلام ـ لعبارة أهل بدر وهو يذكر العدد ، يُحيلنا إلى الاستنتاجات الآتية :-

- أولاً : إنّ إيمـان أهـل بدر الراسـخ هـو الذي قادهم إلى النـصر العظيم الذي كان فتحاً ربانيا من فتوحات الإسـلام . فلم يعبئوا بعدد المشركين وحقدهم وعدتهم . وهذا عينه ما سـيكون عليه أصحاب الإمام المهدي ـ عليه السـلام ـ ، فهم سـيضطلعون بمهمة توازي ما قام به أهل بدر . لأنّهم سيرسـخون قواعد دولة العدل الإلهي التي يقودها الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ من دون أن يعبئـوا بخصومهم وعددهم وعدتهم .
- ثانيـاً : إنّ معركـة بدر كانت بداية لتطبيق شرائع الإسـلام المكتملة ، بعد أنْ كُسرت شـوكة قريش ، وظهور الإمام عليه السـلام ـ مع أصحابه يومئ إلى تطبيـق تلـك الشرائع ، بعد أنْ يعمّ الظلم والجـور الأرض ، ومن هنا تلتقي موقعة بدر بظهور الإمام ، وكان ذكر عدد الأصحاب مسـوّغاً لهذه الموازنة

المعرفيــة ، إذ لــو كان الأمــرُ يتصل بذكــر العدد فقط لاكتفــى الإمام بذكره لوحــده ، ولكــنّ التصريح بذكر أهل بدر هو ما يُغري أيّ متدبر بالذهاب إلى التقاط ما يمنحه هذا الذكر من وجوه تجعل المقارنة أسّــاً معرفياً ، يســتمد مشروعيتــه من ذلك التصريح .

- ثالثــاً : إنّ الإســلام بــدأ غريبــا ثــم يعــود غريبــاً ، والغرابة هنــا تعني قلة الصالحــين ، فكمــا كانوا قلة في بداية الإســلام ، إذ انّ عدد أهل بدر هو عدد المسلمين(عدا الصبيان والنساء والمرضى) وهذا هو عدد أصحاب الإمام الذين سيكونون غرباء كغربة أهل بدر ، وقد ورد حديث نبوي يحمل هذا المضمون الذي نقول به وفيه ((بدأ الإســلام غريباً ، ثم يعود غريباً فطوبى للغرباء ، قيل يا رســول الله، ومن الغرباء ، قال : الذي يصلحون إذا فســد الناس))[١].

وإن قيــل إنّ المــراد بالغربة هنا قلّة المســلمين ، فهذا أيضاً يتوافق مع ما يُراد من الموازنة بين أهل بدر وأصحاب الإمام القائم ـ عليه السلام ـ[٢].

بيــد أنّ دلالة أخرى تُظهر نفسَــها أمامنا ، وهــي إنّ المرتبة التي تكون لأصحابِ الإمــامِ القائم تــوازي المرتبة التي خصّ الله تعالى بها أهل بدر ، فهذان الصنفان من المسلمين هما خيار هذه الأمة .

الدعاء للإمام المهدي ـ عليه السلام ـ :

اهتمّ أهل البيت ـ عليهم السلام ـ بالدعاء بتعجيل فرج ظهور الحجة بن الحسن عليــه الســلام ـ في كل حــين ، وأمروا بذلك أتباعهم ، بــل إنّ الإمام المهدي ـ عليه

١- مســند أحمــد ٤/٧٣ ، مجمــع الزوائد ٧/٢٧٨ ، وينظر عيون أخبــار الرضا ١/٢١٨ مع اختلاف في النّصّ.

٢-ذهــب الشــيخ المجلسي في بحار الأنوار ٥٢/١٩١ ، إلى القــول بأن الغربة في الحديث النبوي تعني القلّة ، وينظر أيضاً شرح أصول الكافي ١٢/٣٧٨ .

السلام ـ أمر بهذا الدعاء في التوقيع الذي خرج منه ، إذ يقول فيه ((... وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج ، فإنّ في ذلك فرجكم))[١] ، والدعاء للإمام عليه السلام ـ هنا عبادة من وجهين ، الأول : إنّ الدعاء بعامة هو وجه من وجوه العبادة قال تعالى ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾[٢]، والثاني: إنّ الدعاء للإمام عليه السلام ـ هنا يعني رسوخ هذه العقيدة في النفس، وإنّ صاحبها حيٌّ غيّبه الله تعالى ، والدعاء توسل بالله من أجل إحقاق الحق والفرج بظهوره . وفي هذا ردّ على المرجفين الذين يقولون بغير هذا في الماضي والحاضر والمستقبل .

ولا بأس من الإشارة هنا ـــ وفي الإطار نفسه ـــ إلى أنّ أدعية أهل البيت ـ عليهم السلام ـ لا تهتم بشؤون الدنيا إلّا بالقدر الذي يجعل الدنيا سبيلاً للآخرة ، ومقدمة لها . ومن هنا يكون الدعاء للإمام المهدي ـ عليه السلام ـ وتعجيل الفرج بظهوره من وسائل قيام دولة العدل الإلهي في المشوار الذي تنتهي فيه الدنيا ويؤول الأمر إلى آل محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ .

وقد خصّ الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ الحجة بن الحسن عليه السلام ـ بضروب من أدعيته الربّانية التي تسير على وفق هذا التوصيف الذي أراده الله سبحانه وتعالى لوليّه ، وستتكفل القراءة التأويلية فيها ، ببيان بعض من مراده ، وفي الحدود التي لا ننحرف فيها ـــ إنْ شاء الله ـــ عن مسار نصوص الأدعية . يقول الإمام عليه السلام في أحد أدعيته ((الهم فأزرع لوليّك شكر ما أنعمت به عليه وأوزعنا مثله فيه وآته من لدنك سلطانا نصيرا، وافتح له فتحاً يسيرا، وأعِنه بركنك الأعزّ وأشدد أزره))[٣].

١-الاحتجاج ٢/ ٢٨٤ .

٢- غافر ٦٠.

٣-الصحيفة السجادية ١٩١ .

يبدأ الإمام ـ عليه السلام ـ دعاءه للإمام المهدي ـ عليه السلام ـ بفعل(أوزع) ، وهذا الفعل فيه من الدلالة ، ما يكشف عن دقة استعمال الإمام ـ عليه السلام ـ لمفردات لغته ، وتوخّيه كل ما يظهر عبوديته لله تعالى في أتمّ معانيها ، وهو في محراب التذلّل والخضوع والعبادة لربّ العالمين . فالجذر(وزع) يُعطينا الدلالات الآتية التي تتواءم مع السياق الذي ورد فيه الفعل [1] :

١. أوزعه الشيء : ألهمه إياه .
٢. أوزع بالشيء يوزع إذا اعتاده وأكثر منه وأُلهمَه .
٣. رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي ... وتأويله في اللغة كفّني عن الأشياء إلّا عن شكر نعمتك ، وكُفّ عمّا يباعدني عنك .

إنّ هذه الدلالات تقودنا إلى القول أنّ دعاء الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ للحجة بن الحسن ـ عليه السلام ـ ولنفسه ، أنْ يكون شكره إلهاماً من الله سبحانه وتعالى ، وأن يكون هذا الشكر كافيا لهما عن الأشياء كلّها إلّا عن شكر ما أنعم به عليهما من نعم يتمثل في الخلق كلّه . ومن هذا كلّه ، سيكون الإمام ـ عليه السلام ـ في هذا التوجيه في شكر دائم ، لا ينقطع لله تعالى ، لأنّ كل ما يراه ويسمع به ويحسّه في المخلوقات كلّها هو من نعم الله . والشكر الدائم يقود صاحبه إلى التمسك بمنهج الله من دون فتور أو توان . فيصبح الشكر هنا ضرباً من العبادة، لأنّ شكر النعم واجب عقلاً ، وإذا كان الشكر إلهاماً من الله تعالى، صار ديدناً للإنسان في كل حين ، عن بصيرة وروية وإدراك ، وهذا ما تمنّاه الإمام في دعائه .

ثم يأتي قوله ـ عليه السلام ـ ((وآتهِ من لدنك سلطاناً نصيرا)) . وهنا يدعو الإمام ـ عليه السلام ـ لقائم آل محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، بأن يكون

١- ينظر لسان العرب(وزع) .

السلطان الناصر له من لدن الله تعالى ، والسلطان في اللغة يعني ما يأتي[١]:ــ

١. السلطان : الحجة والبرهان .

٢. السلطان : قدرة الله وقدرة من جعل ذلك له .

٣. السلطان : سلطان كل شيء قدرته وحجته وبرهانه .

واستعمال الإمام للفظة(لدن) تعطي للدعاء خصوصية ، لا يُوفرها استعمال(عند) ، التي لو استعملت لكان النصر بمعونة آخر يهيئه الله تعالى ، ولكنّ(لدن) حصرت نصر الإمام بالله بشكل مباشر ، مثل أنْ يكون النصر بمدد من الملائكة ، يكلّفهم الله تعالى بتحقيقه على النحو الذي تحقّق في بدر والأحزاب وحُنين، إذ أعانت الملائكة النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في إنجاز النصر. وقراءة الروايات الموثوقة عن ظهور الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ وإقامة دولته تنبئ بوجاهة هذا التوجيه ، إذ يكون المدد الرباني المباشر حاضرا مسانداً للإمام ـ عليه السلام ـ في خطواته كلّها .

أما قوله ـ عليه السلام ـ داعياً ((وافتح له فتحاً كبيراً))، فعودتنا إلى الاستعمال الاجتماعي لأظهر ألفاظ الدعاء تهيء لنا سبل تأويله ــ كما مرّ ــ بنا .

جاء في لسان العرب تحت الجذر(فتح) ما يأتي[٢] :

١. الفتح : الماء الجاري على وجه الأرض .

٢. الفتح : النهر .

٣. الفتح : النصر .

٤. الفتح : القيامة .

أما معاني اليُسر فهي على النحو الآتي [٣] :

١- يُنظر: لسان العرب(سلط).

٢- لسان العرب(فتح) .

٣- م، ن(يسر) .

اليسر : اللين والانقياد .

اليسر : سمح ،سهل ، قليل التشديد.

يرتبط معنى الفتح في هذا المقطع من دعاء الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ بالنصر الذي سيتحقق للإمام المهدي ـ عليه السلام ـ بيسر وسهولة ورفق ولين وأناة . لأنّ منهج الإسلام الرحمة. وقد يتحقق هذا بهداية الخلق واتباعهم للإمام القائم ، أما من يأخذه العنت والطغيان ، فيكون نصر الإمام عليه السلام بقوته ، ولكنّها قوّة أصحاب الرَّحمة والرَّأفة ، وليست قوّة الطغاة كالسّفياني مثلاً، إذ لا ينفعه ما فيه من جبروت ، ويتحقّق النصر للإمام عليه السلام عليه بهذا اليُسر المشار إليه في الدعاء .

أما المعاني الأُخر للنصر ، فهي تشكل الوجه الباطن لدعاء الإمام ـ عليه السلام ـ ، فالنهر أو الماء الجاري على وجه الأرض ، هو عنوان الحياة لأن الله تعالى جعل الحياة لكل شيء من الماء ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[1]، وهذه الحياة تتمثل في أنّ الأرض تُخرجُ كنوزها للقائم ـ عليه السلام ـ ، فيعيش الخلق في بحبوحة ربانية بعد أن يُظهر الله دينه على الدين كله . يقول الإمام الحسين ـ عليه السلام ـ عن أيام المهدي ـ عليه السلام ـ ((يحيي اللهُ به الأرض بعد موتها ، ويظهر به دين الحق على الدين كله))[2] ، وهذا القول يتناغم من سياق الآية المباركة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ*وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ*﴾[3] ، إذ ذهب بعض المفسرين إلى القول أنّها تنطبق على ظهور القائم من آل محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فيكون الفتح فيها محقّقا للأمرين معاً ، ظهور الإمام وظهور

١- الأنبياء ٣٠.

٢- إعلام الورى ٢/ ١٩٤ .

٣- السجدة ٢٧ ــ ٢٨.

خيرات الأرض في دولته .

وإذا اعترض معترضٌ وقال إنّ القسم الآخر من المفسرين، ذهب إلى توجيه دلالة الآية إلى فتح مكة[١]، فنحيل إلى ما قاله السيد الطباطبائي حينما قطع بعدم استجابة الآية لهذا التوجيه وإنما يكون مصداقها الرئيس هو القائم من آل محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ[٢]. وقد ورد عن الإمام علي ـ عليه السلام ـ إنّ الذين يثبتون على الدين في غيبة الإمام ((فيُؤذَون ويُقال لهم : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ، ألا انّ الصابر في غيبته على الأذى والتكذيب ، بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم))[٣]، واستناداً إلى قول الإمام عليه السلام هذا فإنّ ظهور القائم عليه السلام يكون بحق فتحاً كبيراً بدلالات الفتح كلّها ، للصابرين على الدين الحق ، فيتحقق بذلك الوعد الإلهي بنصره ، وتقع الاستجابة لدعاء الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ آنئذٍ .

ونتريث الآن قليلاً عند الجزء الأخير من دعاء الإمام ((وأعنه بركنك الأعزّ وأشدد أزره)) . لنقول : إنّ ركن الله تعالى هو أشدّ الأركان وأقواها وأعزها ، والعزيز الذي لا يغلبه شيء ، فيكون نصر الله للإمام ـ عليه السلام ـ قائماً مستديماً ، ليس نصراً في معركة ، يحصل فيها وقد لا يحصل في غيرها ، إنما هو النصر الدائم الموعود به الإمام ـ عليه السلام ـ .

بيد أنّ ثمة إشارة هنا تغرينا بذكرها ، وهي إنّ الإمام ـ عليه السلام ـ لم يشأ أنْ يجعل ركن الله الأشد وإنما جعله الأعز ، لديمومة العون له ، مع عزّ دائم لا يفارقه . لأنّ الرفعة والمنعة والامتناع والغلبة مقرونة بركن الله تعالى .

١- يُنظر: مجمع البيان ٨/١١٤ .
٢- يُنظر: الميزان ١٦/٢٦٧ .
٣-كمال الدين ٣١٧.

أما قوله ـ عليه السلام ـ ((وأشدد أزره)) ، فالجذر(أزر) يعطينا الدلالات الآتية [١]:

١. الأزر : القوة .

٢. الأزر : الضعف .

٣. الأزر : الظهر .

وهنا يمكننا أن نتأوّل هذا المقطع من كلام الإمام ـ عليه السلام ـ بالقوة المستمدة من الله سبحانه وتعالى ، إذ يهيّأ له أسبابها في الظاهر وفي الباطن ـــ كما سيأتي بعد قليل ـــ ، فتكون هذه القوة سلاحه في تحقيق الغلبة على الأعداء ، وهي التي تقوّي ، ما قد يبدو ضعفاً بعيون الخصوم الذين يواجهونه بوسائل القوة كلّها . فيكون هذا قوة لظهره ، وبهذا تجتمع معاني(أزر) لتعطينا هذه الدلالات التي تتلاءم مع المناخ الذي سيظهر به الإمام القائم عليه السلام على وفق الروايات .

ولا يخفى على ذي نظر إن الإمام ـ عليه السلام ـ تمثّل الآية القرآنية التي تتحدث عن دعاء موسى ـ عليه السلام ـ ليشد الله أزره بأخيه هارون ﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾[٢] ، وهنا تتظافر دلالة الآية وألفاظها في قول الإمام ـ عليه السلام ـ، ويصبح كلام الله سبحانه وتعالى مرتكزا للنص السجّادي في هذا المقطع وفي غيره ـــ كما سنلحظ ذلك ـــ .

ونصل الآن إلى المقطع الأخير من دعاء الإمام لحفيده الامام القائم وهو قوله ((وقوِّ عضده ، وراعِهِ بعينك ، واحمه بحفظك، وانصره بملائكتك ، وأمدده بجندك الأغلب ، وأقِم به كتابك وحدودك وشرائعك وسنن رسولك صلواتك اللّهم عليه وآله))[٣] .

يضيف الامام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ وجها آخر من وجوه أدعيته هنا

١- ينظر لسان العرب(أزر) .

٢- طه٣١.

٣-الصحيفة السجادية ١٩١ .

، فيطلب من الله تعالى ــ فضلاً عمّا مرّ ــ أنْ يقوي عضد الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ ، فما دلالة العضد ؟ .

جاء في لسان العرب[١]:

١. العضد : الساعد وهو ما بين المرفق إلى الكتف .

٢. العضد : عضده يعضده ... اذا أعنته وكنت له عضداً .

٣. العضد : القوة ، لأن الانسان يقوى بعضده فسمّيت القوة به ... وكل معين عضد ، وعضد الرجل أنصاره وأعوانه .

٤. عضد الطريق : ناحيته ، وكل ناحية عضد .

٥. عضد البناء : ما شدّ من حواليه كالصفائح المنصوبة حول شفير الحوض .

٦. عضادتا الباب : الخشبتان المنصوبتان عن يمين الداخل منه وشماله .

٧. المعضد : كل ما عضد به الشجر فهو معضد .

إن المقاربة المعرفية الأولى بدلالات الاستعمال الاجتماعي في ٣،٢،١، تقودنا إلى القول : إنّ الدعاء لقوة عضد الإمام ، إنما تكون في قوة جيشه وأنصاره لأنّ الإنسان إنما يقوى بعضده، فسميت القوة به وكل معين عضد ، وعضد الرجل أنصاره وأعوانه . وهذا الوجه الأظهر في هذا المقطع من الدعاء . بيد أنّ الدلالات الأخرى قد تنافس هذا الوجه في وجاهتها ، فالمعنى الرابع عضد الطريق : ناحيته، وناحية الإمام : منهجه الذي هيأه الله تعالى للنهوض به ، وقوة هذا المنهج ووضوحه وابانته وسلامته ، تستقطب الناس إليه ، بعد أن يكون محاطاً بقوة تحمي الداخلين إليه كما تحمي الصفائح شفير الحوض ، وكما تحمي العضادتان البابَ ، ليسهل الدخول من خلاله.

أما المعنى السادس ، فهو الآلة التي يعضّد بها الشجر أي يُقطع ، والذي يتسرب

١- يُنظر: لسان العرب(عَضَدَ).

إلى النفس تأويليا من هذا المعنى ما يأتي :

إنّ الإمام ـ عليه السلام ـ يدعو بأن يُقوّي اللهَ سيف الإسلام وقوّته التي يعضد بها خصوم الدولة الإلهية التي يقيمها ، لأن من ملأ الأرض ظلماً وجوراً ، قد لا يُجدي معه أيُّ شيء أحياناً إلّا القوة التي تقتلعه من جذوره ، وتجتثُه من أصوله ، حتى يقام العدل والقسط الذي سخّر الله تعالى الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ لإقامته .

ويشير الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ الى ضرب آخر من أضرب أدعيته ، لحفيده الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ بقوله ((وأنصره بملائكتك وأمدده بجندك))، ومن معاني النصر الذي نتأوله في هذا القول ما يأتي [1] :

١. النصر : إعانة المظلوم ، نصره على عدوه ينصره نصراً .
٢. النصرة : حسن المعونة .
٣. النصر : انتصر الرجل إذا امتنع من ظالمه .
٤. الانتصار : الانتقام ، والاستنصار : استمداد النصر .
٥. النواصر : مجاري الماء إلى الأودية ، والنواصر من الشعاب ما جاء من مكان بعيد إلى الوادي ، فنصر سيل الوادي .
٦. النصرة : المطرة التامة ، ونصرت البلاد إذا مطرت .

إنّ هذه البسطة المعرفية التي أمدنا بها لسان العرب للجذر (نَصَرَ) تُسّوّغ لنا تأويل مراد الإمام ـ عليه السلام ـ في دعائه ، من خلال عقد صلة معرفية بين لفظتي الدعاء(وانصره بملائكتك) ، فالمعاني الأربعة الأولى يجسدها نصر الملائكة للإمام على عدوه ودفع الظلم عنه وعن أصحابه ، حتى ينتقم من أعدائه ويمتنع منهم ، وهذا يعني ـــ فيما يعنيه ـــ كما مرّ من قبل ـــ إنّ الإمام ـ عليه

١- ينظر لسان العرب(نصر) .

السلام ـ سيواجه أعداء وخصوماً يكيدون له ، ويحاربونه ـــ كما هو شأن السّفياني ـــ ، ويشتبكون مع جيوشه في معارك شديدة ، يمدّه الله تعالى بعدها بالنصر لجيشه وأصحابه ومنهجه الربّاني .

أما كيف يكون نصر الملائكة للإمام ـ عليه السلام ـ فذلك في علم الله تعالى ، ولكنّنا نستطيع أن نقدّر ذلك من خلال ما فعلته الملائكة مع النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في معركة بدر والخندق وحنين[١] ،فقد قاتلت مع المسلمين يوم بدر وكان عددهم خمسة آلاف نزلوا على خيل بُلق وعليهم عمائم صفر[٢]. ونصرة الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ تكون على هذا النحو ، لأن ولادته وغيبته وظهوره من المعاجز الكبرى ، وقتال الملائكة معه معجزة ربانية تنخرط في جملة ما يمدّه الله تعالى به من معاجز . والذي يُرجّح هذا التوجيه ما ورد عن الإمام الباقر ـ عليه السلام ـ ((إنّ الملائكة الذين نصروا محمداً ـــ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ يوم بدر في الأرض ما صعدوا بعد ولا يصعدون حتى ينصروا صاحب هذا الأمر وهم خمسة آلاف))[٣] . واستناداً إلى هذا صار النصر الذي يدعو به الإمام للمهدي هو نصر هؤلاء الملائكة الذين يعرف مهمتهم في الأرض من يوم نزولهم يوم بدر إلى يوم يشدون أزره وينصرونه مقاتلين .

وما قدمناه الآن ، ليس قطعياً ، إذ قد يكون نصر الملائكة للإمام من دون قتال وإنما بالامداد بالنصر ، وبث الطمأنينة في القلب، وتمكين النفوس من الثبات ومقارعة العدو من دون خور أو ضعف ، وهذا كلّه سيقود الى النصر الذي يدعو به الإمام ـ عليه السلام ـ ، ومثل هذه المهمة ، نَهَضَت بها الملائكة في معركة حنين، إذ لم يشتركوا في القتال ، وإنما تكفّلوا بإثارة الرعب في نفوس

١- يُنظر: التبيان ٢/ ٥٧٩ ، مجمع البيان ٢/ ٣٨٠ .
٢- يُنظر: التبيان ٢/ ٥٨٠ .
٣-نور الثقلين ١/ ٣٨٨ .

المشركين ، وتقوية قلوب المسلمين الذين انهزموا أولاً ثم أنزل الله سكينته عليهم ، وأنزل الملائكة، قال تعالى:﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾[1]،لتجبين الأعداء ونصر المسلمين.

وإذا أخذنا بهذا التوجيه ، فيكون المقطع الآخر من الدعاء (وامدده بجندك) ، فهؤلاء الجنود هُمُ الذين يقاتلون مع الإمام ـ عليه السلام ـ ويكون الملائكة رسل الطمأنينة والثبات وشد الأزر وتقوية القلوب .

بقي أنْ نشير إلى أمر نحسبه على قدر من الأهمية هنا . وهو أنّ ملكاً واحداً يكفي لنصرة الإمام المهدي ـــ عليه السلام ـ ، والإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ يدعو بصيغة الجمع(والملائكة والجند) . وهنا نقول :

إنّ الإمام ـ عليه السلام ـ يعلم إنّ نصر الإمام المهدي مكفول من الله ـــ عز وجل ـــ من خلال عون الملائكة والجند على النحو الذي رأيناه ، ولكنّه ـ عليه السلام ـ يعلم إنّ الله يريد من الإنسان أنْ يأخذ بالأسباب ، فالإمام يقاتل بجنده حتى يكون نصر الله على يد أصحابه، ليرفع بذلك منزلتهم وقدرهم بوصفهم مجاهدين كالمجاهدين بين يدي النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ـــ كما مرّ في صفحات سابقة .

ولكّن توجيهاً آخر ، ليس بمقدورنا أن نشيح بوجهنا عنه، وهو إنّ المراد بالجند في دعاء الإمام هم أصحابه الذين ينتظرون ظهوره وهم القادة الثلاثمائة وثلاثة عشر، أو من يلحق بهم بعدُ من المناصرين ، فيكونون جنداً لله تعالى على سبيل المجاز العقلي، كما في الحديث النبوي ((يا خيل الله اركبي))[2] ففيه نُسبت

١- التوبة ٢٦.

٢- ينظر الفائق في غريب الحديث ١/ ٣٨٠ ، شرح نهج البلاغة ١٣/ ١٣٨ ، بحار الأنوار ٦١/ ١٧٦ . وينظر تفاصيل قصة الحديث في عون المعبود ٧/ ١٦٤ .

الخيل الى الله سبحانه وتعالى ، واستناداً الى هذا فلا مانعَ من توصيف أصحاب الإمام القائم بجند الله تعالى ، وهذا أكثر تأثيراً في النفوس، وترغيبا لكل مسلم لأن يكون من هؤلاء ، ما دام زمن الظهور مجهولا . وتقوية عقيدة الانتظار التي تشدّ المسلم إلى دينه تماماً ، لأنه ينتظر ظهور إمامه ، ومن هنا يكون دعاء الإمام ـ عليه السلام ـ وسيلة لتقويم النفس ، وتمتين العقيدة ، ومجابهة من يقول بغير هذا بدعاء الإمام ـ عليه السلام.

أما قوله ـ عليه السلام ـ ((وأقم به كتابك وحدوك وشرائعك)) ، فينطوي على مضامين تأويلية ، تُعيننا معاني الجذر (قوم) على الوصول إليها . جاء في لسان العرب تحت الجذر (قوم) هذه المعاني[١]:

١- القيام : المحافظة والاصلاح .

٢- القيام : الوثوق والثبات .

٣- القيام : العزم .

٤- القيام : نقيض الجلوس .

٥- القيام : القائم بالدين ، المتمسّك به الثابت عليه .

٦- القيام : المثول والنصب : ضد القعود .

إنّ هذه الدلالات المعرفية تكشف لنا عن مضامين دعاء الإمام في هذا الجزء ، إذ يدعو الله تعالى أن يجعل الإمام متمسّكا بالقرآن ثابتا عليه مصلحاً للدين بعزم وثبات ، مقيماً للحدود والشرائع، كما يريدها الله تعالى . وبهذا يكشف الإمام ـ عليه السلام ـ ما يمكن أنْ يكون عليه الناس ، حينما يظهر الإمام ، فالكتاب والحدود والشرائع لم تكن كما يريدها الله تعالى ، وإنما يشوبها التحريف والتغيير والبعد عن الإسلام الحقيقي ، وظهور الإمام قمين بإنجاز هذا كلّه .

١- يُنظر: لسان العرب(قوم) .

إنّ دعـوة الإمـام على هـذا النحو في يوم عرفة ، تُثبت مـن دون ريب ، أنّ الكتاب والحدود عطّلت في زمانه ، وستُعطل بعد ذلك حتى يظهر الإمام ـ عليه السلام ـ وهذا هو الظلم والجور الذي ستكون عليه الأرض ، إذ تصبح بحاجة الى القسط والعدل حتى تسـتقيم ، وهذا ما سـيتكفل به الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ .

ثـم يأتـي المقطـع الأخير من دعـاء الإمام يوم عرفـة ، إذ يقـول ((وأحيي به ما أماتـه الظالمـون من معالـم دينك ، وأجلُ به صـدأ الجور عن طريقتـك وأبنْ به الظلام عن سبيلك ، وأزلْ به الناكبين عن طريقك ، وامحق به بغاة قصدك عوجاً، وألنْ جانبَه لأوليائك، وابسـط يده على أعدائك وهب لنا رأفته ورحمته وتعطفه وتحننـــه))[1].

إنّ دعـوة الإمام بـأن يحيي الله بالقائم ما أماته الظالمون من معالم دينه ، يعني إن هـذا الأمر قد وقع فعـلاً ، وأمات الظالمون آثار الدين(المعالم : الآثار) وكأنهم يريـدون اقتـلاع جـذوره ، لأنّ من يميت الآثار ، لا يُبقي للناس ما يسـتدلون به عـلى صحـة نهجهم، ولذلـك كانت الدعوة لإحيـاء معالم الديـن أولاً، حتى يتبيّن النـاسُ السـبيلَ الذي يقودهم إلى النجاة . وترتبط بهـذه الدعوة الدعوةُ الأخرى التـي تقتفـي أثرهـا ، إذ كان الظلم ومجـاوزة حدود ما يريده اللـه تعالى والميل عن القصد الصحيح سـببا في تراكم الجـور على طريق الله تعالى ، ودعوة الإمام برفـع ذلك كلّه ، حتى يرتفع الظلام المحيط بسـبيل اللـه تعالى بإزالة الخارجين عن صراط الله المسـتقيم الذين يسـتحقون محق الله تعـالى لهم ، لأنهم يريدون الاعوجاج لسبيله المستقيم .

إنّ هـذا الـذي تمنّى الإمام زوالـه بدعوته هذه ، هو صورة الظلـم والجور التي تواترت الأحاديث النبوية وأحاديث أهل البيت بشأنها ، لأن الإمام ـ عليه السلام ـ

١-الصحيفة السجادية ١٩١ .

يزيل الظلم والجور الذي يملأ الأرض، ويبسط العدل عليها[١].

ثم يختم الإمام ـ عليه السلام ـ دعاءه ملتفتا إلى شخص الإمام القائم ـ عليه السلام ـ بقوله ((وألن جانبه لأوليائك)) ، واللين هنا يعني حسن التدبير لمن يقودهم من أصحابه وهم أولياء الله تعالى بشهادة هذه الدعوة . وهذا التوصيف السجّادي لأصحاب الإمام يُنبئ عن المرتبة العليا التي يحضَون بها ، لأنّ من يثبت على دينه في زمن الغيبة ، يعني أنه من القلّة التي انتقاها الله تعالى لهذه المهمة الربّانية، يقول النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ((... والذي بعثني بالحق بشيراً، إنّ الثابتين على القول به في زمان غيبته لأعزُّ من الكبريت الأحمر))[٢] ، ولين جانب الإمام هنا ، هو رحمة من الله بهؤلاء الأصحاب ، فيكون كجدّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ الذي وصفه القرآن الكريم : ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾[٣], ويقابل هذا اللين الذي دعا به علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ، بَسْطٌ ليد الإمام على أعداء الله تعالى . فمنهاج الإمام القائم هو منهج الله تعالى ومن يعادي الإمام يكون عدواً لله سبحانه وتعالى .

كلمات قصار في الإمام المهدي :

خصّ الإمامُ علي بن الحسين عليه السلام ، الإمامَ المهدي ببعض الكلمات القصيرة المكثّفة التي تحمل فكرةً أو تعبّرُ عن موقفٍ يراهُ الإمامُ مناسباً لبسط فكرةٍ تتناول وجهاً من وجوهِ تبصير المسلمين بعقيدةِ الامام المهدي ، والإيجازُ

١- يُنظر: دلائل الإمامة ٤٥٦ وفيه تفصيل عن هذا يغني عن ذكره هنا .
٢-كمال الدين ٢٨٨ .
٣-آل عمران١٥٩.

في الغالبِ يأتي لبيانِ أمر حاسمٍ لا يحتاجُ إلى إطالةٍ ، وسنقفُ فيما يأتي عند بعض تلك الكلمات :

١- قال عليه السلام : ((من ثبت على ولايتنا في غيبة قائمنا أعطاه الله أجر ألف شهيد مثل شهداء بدر وأُحُد))[١].

إنّ الثبات على الولاية الذي يُشير إليه الإمام عليه السلام ، يعني عدم تسرّب الشكّ إلى النفوس بغيبة الإمام ــ عجل الله فرجه ــ لطولها، لأنّ هذا يقود إلى الشكّ بأنّ الله تعالى يُخلي الأرض من حجة ، وهذا أمرٌ يُخالفُ ثوابت العقيدة الإسلاميّة الحقّة ، فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال لكميل بن زياد : ((لا تخلو الارض من قائم لله بحجّة . إما ظاهراً مشهوراً ، أو خائفاً مغموراً ، لئلا تبطل حجج الله وبيّناته))[٢] لذا صار الأجر الذي يُكتبُ للثابت على الولاية بهذا الحجم العظيم . ولعلّ اختيار الإمام عليه السلام لأجر شهداء بدر وأُحُد فيه تذكيرٌ للمسلمين بمنزلة أولئك الشهداء ، فضلاً عمّا فيه من بيانٍ واضحٍ لثباتِ شهداء المعركتينِ على عقيدتهم وهم يواجهون الموت .

٢- وقال عليه السلام : ((لا يخرج واحدٌ منا قبل خروج القائم ــ عجل الله فرجه ــ إلا كان مثله مثل فرخ طار من وكره ، قبل أن يستوي جناحاه ، فأخذه الصبيان فعبثوا به .))[٣] . وهذا القول يبسط أمامنا قضايا عقائدية ، نجملها فيما يأتي :

إنّ هذا القول رواه الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه عليه السلام وأخبر به أخاه زيد ، فالخروج يكون بأمر الله تعالى ، بعد أن تكتمل له الأسباب ، فمن يخرج قبل ذلك يكون حاله كحال الطائر المشار إليه ، من حيث فشل الخروج من

١- بحار الأنوار ٥٢/١٢٥.
٢- نهج البلاغة ٤/٣٧.
٣-الكافي ٨/٢٦٤،ويُنظر: شرح الأخبار ٣/٢٥٧ ، بحار الأنوار ٥٢/٣٠٣ .

جهـة والنهاية الموجعـة لمن يخرج من جهة أخرى. والإمـام بهذا الحديث يُجيب أخاه زيد الشـهيد عليه السـلام بحديث أبيه عليه السـلام ، بعد أن أراد منه زيد عليه السلام الخروج على الأمويين لكثرة الأنصار . وهذا التوجيه من الإمام عليه السـلام ينطبق على الأئمة المعصومين من أهل البيت عليه السـلام ، ولا يشـمل غيرهـم مـن الأبناء والإخوان. واسـتنادا إلى هذا لم يخرج أيّ إمـام من أئمة أهل البيـت ثائرا بعد الحسـين عليه السـلام، عـلى الرغم من كثرة مـا وقع عليهم من حيفٍ ، لأنّ أمر الخروج بأمر الله تعالى ، ومن هنا شدّدوا عليه السلام على الدعاء بتعجيـل الفـرج[١].

وثمـة أمـر آخـر ينطوي عليـه قول الإمـام علي بن الحسـين عليه السـلام هذا ، وهـو أنّ المسـلمين في عصره يعلمون بالغيبةِ وما يجـري من حوادث متّصلة بها ، ويعلمـون أنّ زمانهـا بعيد عنهم ولا يدركونه، فصار كلام الإمام عليه السـلام موجّهاً إليهم وإلى من يأتي بعدهم في الأزمان اللاحقة . حتى إذا جاء عصر الإمام القائـم ، وكّل أمر خروجه إلى الله تعالى .

واسـتنادا إلى هـذا الـذي بينّـاه ، صـار خـروج أيّ من أبنـاء الأئمـة وإخوانهم فيما بعد لا صلة له بحديث الإمام علي بن الحسـين عليه السـلام . لأنّه خصّ به المعصومين عليه السـلام ، ليكون عدم الخروج وجه من وجوه الانتظار المأمور بـه كما مرّ بنا .

٣- وقـال ـ عليـه السـلام ـ: ((إذا قـام قائمنـا أذهب الله ـــ عـز وجل ـــ عن شـيعتنا العاهـة ، وجعـل قلوبهم كزبر الحديـد ، وجعل قوة الرجـل منهم قوة أربعين رجـلا ، ويكونون حـكام الارض وسـنامها.))[٢].

١-

٢- الخصال ٥٤١ ، روضة الواعظين ٢٩٥ ، بحار الأنوار ٣١٧/٥٢ .
ينظر : لسان العرب(قوم) .

إنّ أوّل ما ينبغي أن نقف عنده من قول الإمام ـ عليه السلام ـ جملة(قام قائمنا) للوقوف على معنى القيام في اللغة ، الذي صار علما للدلالة على الإمام المهدي ـــ عجل الله فرجه ـــ ، وهنا يُعطينا المعجم العربي المعاني الآتية للجذر(قوم)[١] :

١. القيام : الوقوف والثبات .

٢. القيام : المحافظة والإصلاح .

٣. القيام : العزم .

٤. القائم الذي ثبت عنده الحقُ ، أي ثبت ولم يبرح .

ومن ملاحظة هذه المعاني ، يكون معنى القائم هو الواقف الثابت على الحق والمحافظ عليه ، والعازم على الإصلاح ، والإمام المهدي - عجل الله فرجه - ،المصداق الرئيس لهذه الدلالات، فهو الواقف الثابت على أمر الله - عز وجل-، المحافظ عليه . لأنّه ولي الإمامة بعد أبيه عليه السلام ونهض بها ، وهذه من معاني (القائم) على وفق ما يريده أهل البيت عليه السلام فعن ((جابر بن يزيد الجعفي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل عن القائم عليه السلام فضرب بيده على أبي عبدالله عليه السلام فقال: هذا والله قائم آل محمد ، قال عنبسة: فلما قبض أبو جعفر عليه السلام دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فأخبرته بذلك، فقال صدق جابر، ثم قال: لعلكم ترون أن ليس كل إمام هو القائم بعد الامام الذي كان قبله.))[٢] ، واستنادا إلى هذه المعاني كلها فقيام القائم يعني النهوض لتحقيق الدلالات المشار إليها ، وهذا يستدعي أموراً يهبها الله تعالى لمن ينهض مع القائم- عجل الله فرجه - . وهذه الأمورُ ذكرها الإمام علي بن الحسين عليه السلام في قوله السابق، وهي :

١- الكافي ١/ ٤٥٥ .
ينظر : لسان العرب (عوه) .
٢- إعلام الورى ١/ ٥١٨.

أوّلاً : ذهاب العاهة عن شيعة أهل البيت عليه السلام :

والعاهة في اللغة تعني الآفةَ التي تصيبُ الإنسان فتجعله غير قادر على إنجاز ما يُرادُ منه[١]، والراجح هنا أنّ المراد بشيعة أهل البيت عليه السلام، هم من يوفّقه اللهُ تعالى لمعاصرة ظهور الإمام عليه السلام ، ويكون من المنتظرين السائرين على نهجه ، وهم غير أصحاب الإمام عليه السلام الثلاثمائة وثلاثة عشر الذين أعطتهم الروايات صفاتٍ أخرى ـــ أشرنا إلى بعضها فيما مرّ من صفحات البحث - ، لأنّ أغلبَ الإشاراتِ التي وردتْ عن أصحابِ الإمامِ وردتْ بتوصيفهم بأنّهم(أصحاب) الإمام عليه السلام . أما الذين يُذهبُ اللهُ تعالى عنهم العاهةَ ، فهم الشيعةُ الذين سيكون لهم شأنٌ في دولةِ العدلِ الإلهيّ التي يُقيمها الإمامُ عليه السلام .

وقد يكون المرادُ بالعاهة الآفة التي تُصيب الزرعَ والثمار فتُفسدها[٢]، وهذا يعني أنّ البركة المشار إليها في أحاديث الإمام المهدي ، تتحقّق في بعض وجوهها على وفق هذه الإشارة ، فقد ورد عن زمان الإمام المهدي عليه السلام : ((إذا خرج أرخت السماءُ عزاليها ،وأخرجتْ الأرضُ زهرتها حتى يروا البركة))[٣].

وقد يُقال هنا ، إنّ قول الإمام عليه السلام، واضحُ الدلالة على ذهاب العاهة عن الشيعة ، فكيف تأوّلناه بذهاب العاهة عن الزرع ، فنقول : إنّ هذا واحدُ من الأساليب العالية في اللغة العربية ، لأنَّ سلامةَ الزرعِ من العاهةِ سلامةٌ لأهله من الجوعِ والحرمان، والإمام علي بن الحسين عليه السلام من أرباب الكلام كما أشرنا إلى هذا المعنى غير مرّة.

١- يُنظر:لسان العرب(عوه).

٢- ينظر : لسان العرب(عوه) .

٣- الكافي ٨/ ١٣٩،وينظر أيضاً : تحف العقول ٥٠. والعزالي: بفتح اللامِ وكسرها ، جمع العزلاء مثل الحمراء ، وهو فم المزادةِ .

ثانياً : تكونُ قلوبُ الشيعةِ كزبر الحديد.

إنَّ المهام التي تنتظر الشيعة وقت ظهور الإمام عليه السلام، تستدعي قوة في النفوس لا تسمح للضعفِ والخورِ بالتسرّبِ إليها، وهذا المعنى دار كثيرا في أحاديث الإمام المهدي عليه السلام التي وصلتْ إلينا من أهل البيت عليه السلام ، فقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام قوله : ((... وجُعلتْ قلوبكم كزبر الحديد ، لو قذفتم بها الجبال فلقتها))[1] ، وهذه الأحاديث تُظهر العنايةَ الربانيّةَ بالشيعة عند قيام القائم عليه السلام ، وتشدّ من عزيمتهم وهم يواجهون أعداء الإمام عليه السلام ، لأنّ الله تعالى يريد أنْ يتحقّقَ قيام دولة العدل الإلهي على وفق ما تقتضيه الأسباب الطبيعيّة ، وفي مقدّمة تلك الأسباب ثبات قلوب أتباع الإمام عليه السلام وعدم الخوف مما يواجههم من الأعداء ، لأنّ هذا كفيلٌ بتحقيق النصر الموعود به عليه السلام .

ثالثاً : يجعل اللهُ قوةَ الّرجلِ منهم قوة أربعين رجلا.

وهذا الوجه من وجوه القوة المادية التي يهبها الله تعالى لأصحاب الإمام عليه السلام ، بعد الوجه النفسي لقوّتهم في النقطة السابقة ، وهذه القوة لا تعني قوة أربعين رجلا بالعدد المخصوص ، وإنّما هذا ضربٌ من المبالغةِ المحمودةِ التي تجسّد القوة الكبيرة التي يمنحها الله تعالى لأصحاب الإمام عليه السلام . فهي قوة مطلقة ، واختار الإمام عليه السلام العدد رمزا للإطلاق ، كما فُسّر العدد سبعين في قوله تعالى :﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[2] ، رمزاً لنفي الغفران جملة[3].

١-

٢- التوبة ٨٠.

٣- يُنظر: التبيان في تفسير القرآن ٢٦٨/٥ ، مجمع البيان ٩٧/٥ .

رابعاً : يكون أصحابُ الإمام عليه السلام حكام الأرض وسنامها .

وهذا الجزء من قول الإمام عليه السلام ، يبيّن ما يؤول إليه أمر أصحاب الإمام عليه السلام ، إذ يكون لهم حكم الأرض قاطبة، وهذا تحقيق للوعدِ الإلهي بإقامةِ دولةِ العدلِ على الأرضِ كلّها، ويكون أصحاب الإمامِ عليه السلام رأسِ السلطةِ فيها(سنامها).

كلمة في ختام الفصل

بعد هذه الرحلةِ المعرفيّةِ في أحاديثِ الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ ، نخلصُ إلى جملة من النتائج ـــــ فضلاً عمّا مرّ منها في صفحاتِ البحث ـــــ نوجزها فيما يأتي :

١ـــــ الأَولى استعمال مصطلحي(الغيبة الأولى) و(الغيبة الثانيّة) بدلاً من مصطلحي(الغيبة الصغرى) و(الغيبة الكبرى) لغيبتي الإمام القائم ـــ عجّل الله فرجه ـــ ، استنادا إلى توصيف الإمام ـ عليه السلام ـ لهما ، وهذا هو الوارد عن أئمّة أهل البيت ـ عليه السلام ـ وهو ما تقوله اللغة ، لأنّ الصِغَرَ والكِبَرَ ليس من أوصاف الزمن .

٢ـ عدّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام أهل زمان الغيبة أفضل من أهل كلّ زمان ، لأنّهم آمنوا بغيبته وينتظرون ظهوره ، استنادا إلى ما وصل إليهم من أحاديث الأئمة عليهم السلام ، وصارت الغيبة مشاهدة منهم ، وكأنّهم شهدوا وقوعها .

٣ـــــ جاء ذكر الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ لعلامات الظهورِ عامّا، بعيدا عن التفاصيل الدقيقة ، وكان ـ عليه السلام ـ يكتفي بالإشارات المكثفة الموجزة ، التي يمكن أن تُفهم على أكثر من وجهٍ ، كما هو حال أحاديث أهل

البيت ـ عليه السلام ـ ، وهذا ما كانوا يُعبرون عنه بـــ(معاريض كلامنا)، وهذا ما يجعل كل إنســان مسـلم يأخذ من أحاديثهم على قدر معرفته . وبهذا تُصبح تلك الأحاديث للمسلمين عامة .

٤ـــــ إنّ سنن بعض الأنبياء السابقين تتجسد في حياة الإمام المهدي ـــ عجّل اللــه فرجــه ـــ ، في غيبتيه الأولى والثانية ، من حيث طول العمر ، وخفاء الولادة ، والخشــية من الأعداء ، والصبر على مواجهةِ محَنِ الدين ، والترقّب والانتظار ، وإعداد العدّة لمواجهةِ الأعداء ، تمسّكا بسيرة أهل البيت ـ عليه السلام ـ

٥ـــ جعل الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام ـ الدعاء للحجة بن الحسن ـــ عجّل الله فرجه ـــ من ثوابت أدعيته ، كي يفتح للمسلمين باباً من أبواب العبادة الحقّة ، لأنّ الدعاء على النحو المشــار إليه ، يرســخ العقيدة المهدويّة في النفوس ، ويجعل المسلم في حالة الانتظار المأمور بها .

وفي الختــام لابــدّ من الإشــارة إلى أمر مهمّ , وهو أنّ بعــض الأحاديث التي مرّتْ في البحث ، قد تردّ في مصادر أخرى منسوبة للإمام الحسن أو الإمام الحسين ـــ عليهما السلام ـــ ، وهذا آتٍ من أنّ المصدر الذي يغترفُ منه الأئمة ـ عليه السلام ـــ واحدٌ ، فيأتي بعض التشابه في أحاديثهم من هذه الجهة ، إذا ما أرادوا الإخبار عن الإمام الحجة بن الحسن ـــ عجّل الله فرجه ـــ .

الفصل الثالث

دعاء ختم القرآن

خـصَّ الإمـامُ عليه السـلام ختـمَ القرآن بهـذا الدعاءِ الذي سـار فيـه على وفقِ طريقهِ المعهودِ في أدعيتهِ ، إذْ جعلَ الدعاءَ سبيلاً إلى إظهارِ كراماتِ الثقلين القرآن وأهلِ البيتِ عليهم السـلام ، من خلالِ ما يوردهُ من علومٍ بأسـلوبٍ عربيٍّ مبينٍ ، وكشـف في هذا الدعاءِ من كراماتِ القرآنِ التي تجسّـدُ علمَه به ،ذلك العلم الذي مُنحَ لأئمّةِ أهل البيتِ عليهم السـلام من اللهِ سـبحانه وتعالى.

وسنسـعى في هـذا الفصـلِ إلى بيـانِ خواطرنـا التأويليّـةِ من تقسـيم الدعاءِ إلى مقاطـعَ ، يبـدأُ كلٌّ مقطعٍ منها (اللهم صلِّ على محمّـدٍ وآلِ محمّدٍ) ،هذه الصلاةُ التـي جعلها الإمامُ عليه السـلامُ مفتاحـاً لكلِّ مقطعٍ ، لينبّه المسـلمين إلى القيمةِ الكبـيرة لهـذه الصـلاةِ عند اللهِ تعـالى ، وإلى الأثـرِ الكبيرِ الذي يترتّـبُ عليها في استجابةِ الدعاءِ .

المقطّع (١):

((اللهـمّ إنّـك أعنتني على ختمِ كتابِـك الذي أنزلتَه نوراً ، وجعلتَهُ مُهيمناً على كلِّ كتـابٍ أنزلتَـهُ ، وفضّلتَهُ على كلِّ حديثٍ قصصتـه ، وفرقاناً فرقت به بين حلالك وحرامك))[١].

بدأ الإمامُ عليه السلام دعاءه بـ(اللّهمّ)،وهذه كلمةُ نداءٍ ، فالميمُ فيها علامةً للنداء جـاءت بـدل يا[٢]،فبدل القول (يا الله) قالـوا (اللهمَّ)، وقد قال النحويون في هذه القضيـةِ كثـيراً[٣] ، والحـقُّ أنَّ مـا قالوه فيه وجـوهٌ مقبولةٌ ، ولكنّـه ليس الحقَّ

١- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.

٢- يُنظر: الجمل في النحو ١٣٦،كتاب سيبويه ١/ ٢٥،المقتضب ٤/ ٢٣٩ .

٣- يُنظـر: الأصـول في النحـو ١/ ٧١ ، ٣٣٨ ،اللامـات ٩٠ ،عمـدة الكتـاب ٦٥، شرح كتـاب سـيبويه ١/ ٦١ ،التعليقـة ١/ ١٨٩.

كلّه ، فالحقّ أنَّ القرآن الكريمَ أورد ضروباً من الدعاءِ يتعبدُ بها المسلمون ، ولم يـرد في القـرآن الكريم نداءٌ لله تعالى بكلمةِ (يا اللـه)، وكلُّ نداءٍ فيه جاء بصيغةِ (اللهم)،فـلا بـدَّ أنْ يكون ثمة فرقٌ يتعلّق بالمعنى بـين الاثنين ، فالياءُ يُنادى بها البعيـدُ وهـذا متّفـقٌ عليـه عند النحويـين[١]، واللهُ سـبحانه وتعـالى لا يصحُّ أنْ ينـادى بـأداةِ النـداءِ للبعيدِ ، لأنَّ ما وضعه النحويون في هذه القضيّةِ لا يُناسـب حضـيرةَ القدس(الله) جلَّ شـأنُه، يقـولُ الزمخشري : ((حـروف النداء ألفاظُها وهـي : يـا، وايا، وهيـا وأيّ، والهمـزة، ووا. فالثلاثة الأول لنـداء البعيد أو من هو بمنزلته من هو نائمٌ أو ساهٍ، فإذا نودي بها من عداهم فلحرصِ المنادى على إقبـالِ المدعـو عليـه ومفاطنتِه لمـا يدعوه له))[٢]، ومـن هنا يظهرُ لنـا أنَّ الدعاءَ بـ(اللهم) لا يتسـاوى مع الدعاءِ بـ (يا الله)، لأنّه عزَّ وجلَّ لا ينام ولا يسـهو ولا يُفاطنُ لما يُدعى له على وفق قولِ الزمخشري السـابقِ .

واسـتناداً إلى ما تقدّم بدأ الإمامُ عليٌّ بنُ الحسـين عليهما السلام دعاءه بـ (اللهمَّ) وهـو من أربابِ الكلامِ الذين أُخذتْ اللغةُ منهم.

((اللهـمّ إنّـك أعنتنـي على ختمِ كتابـك)): فهنا يؤكّدُ الإمامُ عليه السـلام أنَّ اللهَ تعـالى هـو الذي أعانه عـلى ختمِ القرآنِ ،والمعـين هو الظهيرُ عـلى الأمر، وتتجلّى الإعانةُ في سلامةِ البدنِ من الأمراضِ مثلاً التي قد تمنعُ الإنسانَ من ختمِ القرآنِ ، وفي الاطمئنان الذي يشـعرُ به قارئُ القرآن فيقبلُ على القراءةِ ، فيسـهلُ عليه ختم الكتابِ ، ولا يأتي الاطمئنانُ إلّا لمن يتدبّر معاني القرآنِ فيشعرُ بما أعدّه اللهُ تعالى لعبادهِ الصالحين ، ومن هنا نفهمُ التوكيدَ الذي بدأ به الإمام عليه السـلام بقولهِ (إنّك) .

١- يُنظر: علل النحو ٣٤٧،

٢- المفصّل في صنعة الإعراب ٤١٣.

(الـذي أنزلتـه نوراً): وهـذا وصفٌ قرآنيٌّ للقرآنِ اسـتلهمهُ الإمامُ عليه السـلام من قولـه تعـالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[١]، أو من قوله تعالى :﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢]، أو مـن قولـه تعـالى :﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٣]،والحـقُّ أنَّ العبـادَ يهتـدون بنـورِ القرآنِ في شـؤونِ دينهم ودنياهم كما يهتدون بالضياء في طرقهم ومسـيرهم ليل نهار .

(وجعلتَـهُ مُهيمنـاً على كلِّ كتـابٍ أنزلتَهُ): ومن أجلِ الوقـوفِ على دلالاتِ اللفظةِ المركزيّـةِ (مهيمنـا) ننظـرُ في دلالات (المهيمـن) في لسـان العرب وفيـه نجد ما يأتي[٤]:

المهيمن : المؤتمن .

المهيمن : الشهيد.

المهيمن : الرقيب .

مهيمناً عليه: قبّاناً عليه .

مهيمناً : قائماً على الكتب .

مُهَيْمِنٌ فِي الأَصل: مُؤَيْمِنٌ، وَهُوَ مُفَيْعِلٌ مِنَ الأَمانة.

فعـلى وفـقِ هذه المعانـي يكونُ القـرآنُ مؤتمنـاَ أي أميناً على مـا وردَ في الكتب السـماويةِ السـابقةِ له في الزمانِ ،وهي التوراة والإنجيل والزبور،وهو الشـهيدُ عليها ، أي الذي يُبيّنُ علمهُ بما جاء في تلك الكتبِ ،وهو الرقيبُ عليها ،الحافظ لما ورد فيها ،الأمين والقائمُ عليها . واسـتناداً إلى هذه الدلالاتِ يكون للقرآن القول

١- النساء ١٧٤.

٢- الاعراف ١٥٧.

٣- التغابن ٨ .

٤- يُنظر: لسان العرب(هيمن).

الفصلُ فيما ورد في تلك الكتب ، إذْ لا يمكنُ الركونُ إليها إلّا بعد موازنته بما في القرآن ، لأنّها حُرّفتْ وبدّلتْ .

فاختيارُ الإمامِ عليه السلام للفظةِ (المهيمن) وإضافتها إلى الكتبِ السماويّةِ السابقةِ أعطانا هذه المعاني التي وضعتْ أمامنا هذه القاعدةَ ، قاعدةِ النظر إلى تلك الكتب من خلالِ ما ورد في القرآنِ الكريمِ ، فلا يصحُّ الانتفاعُ بها لهذه الأسبابِ .

(وفضّلتَهُ على كلِّ حديثٍ قصصتَهُ)[١]: يعني ــ على وفقِ ما يؤدّيه السّياقُ ــ أنَّ الله تعالى فضّل القرآنَ على كلِّ ما جاء في الكتبِ المشارِ إليها لأنّها حُرّفتْ ، أو لأنَّ اللهَ تعالى جعل معجزة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في القرآن بخلافِ معجزات الأنبياء السابقين التي لم توضع معجزاتهم فيما جاء معهم من كتب[٢].

((وفرقاناً فرقت به بين حلالك وحرامك))[٣]: فالفرقانُ من أسماءِ القرآن ، أَي أَنه فارِقٌ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ[٤]. وإذا قيل أنَّ اللهَ تعالى جعل الفرقان اسماً للتوراةِ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٥]،وهنا يوجّه ابنُ منظور هذا بقوله : ((يَجُوزُ أَن يكونَ الفُرْقانُ الْكِتَابَ بِعَيْنِهِ وَهُوَ التَّوْرَاةُ إِلا أَنه أُعِيدَ ذِكْرُهُ بِاسْمٍ غَيْرِ الأَول، وعنى به أَنه يَفْرُقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَذَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ فَقَالَ

١- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.

٢- يُنظر: ترتيب الفروق واختصارها ٢/٤٩٦أشار إلى قريب من هذا كما شرح ذلك محقّق الكتاب في هامش الصفحة .

٣- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.

٤- يُنظر: لسان العرب(فرق).

٥- البقرة ٥٣ .

تَعَالَى: وَلَقَدْ آتَيْنا مُوسى وَهارُونَ الْفُرْقانَ وَضِياءً أَراد التَّوْرَاةَ))[١]. واستناداً إلى هذا التوجيه يكاد يكون اسم الفرقان خاصّاً بالقرآنِ أو أكثر اتّصالاً به، ولعلَّ تسميةَ سورةٍ في القرآن بهذا الاسمِ يمتنُّ هذا التوجيه .

وثمّة أمرٌ آخر يؤدّيه اسمُ الفرقانِ ،وهو أنَّ القرآن(الفرقان) جاء ليكون للعالمين نذيرا في تفريقه بين الحقِّ والباطلِ والحلالِ والحرامِ كما في قولهِ تعالى : ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[٢].

(وقرآناً أعربت به عن شرائعِ أحكامك ،وكتاباً فصلّته لعبادك تفصيلا)[٣]:

يدعونا إلى تأويلِ مرادِ الإمام عليه السلام من استعمال لفظةِ القرآن بالقولِ : إنَّ لفظةَ (قرآناً) جاءتْ مفردةً لم ترتبط بصفةٍ من صفاتِ القرآن (المجيد ، الكريم ، الحكيم ....)،وأضيفتْ إلى دلالةٍ أخرى يُبيّنها الفعل (أعرب) الذي ارتبط بها ، أي بـ(وقرآنا) ،وهنا نحتاجُ إلى العودةِ إلىالمعجمِ لبيانِ دلالاتِ (أعرب) ،جاء في لسان العرب تحت الجذر (عرب) المعاني الآتية[٤]:

عَرَّبْتُ عَنِ الْقَوْمِ : إذا تكلمتَ عَنْهُمْ، واحْتَجَجْتَ لَهُمْ.

أَعْرَبَ عَنْهُ لِسانهُ وعَرَّبَ :أَي أَبانَ وأَفصَحَ. وأَعْرَبَ عَنِ الرَّجل: بَيَّنَ عَنْهُ.

عَرَّبَ عَنْهُ: تَكَلَّمَ بِحُجَّتِه.

فهذه المعاني تجتمعُ في أنَّ القرآن يبيّنُ ويُفصحُ عن شرائعِ أحكامِ الله سبحانه وتعالى ، وهذا يتجلّى في قوله تعالى: ﴿الَرَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ﴾[٥]،وقولُهُ جلَّ شأنُه : ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾[٦]. فمعرفةُ الأحكامِ

١- يُنظر: لسان العرب (فرق) .

٢- الفرقان ١ .

٣- الصحيفة السجاديّة الجامعة ١٩٤.

٤- يُنظر: لسان العرب (عرب).

٥- الحجر ١ .

٦- يس ٦٩ . وتمام الآية : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾.

تحتـاجُ إلى وضـوحٍ وإبانةٍ وحجـاجٍ حتى لا يقعُ اختلافٌ بين العبـادِ إذا لم يكن النصُّ واضحاً ، وهذا يتطلّبُ التدبّرَ والتفكّرَ ليتبّين ((ما لهم وما عليهم، أو يُبيّن لهـم مـا يؤتى وما يتقى، أو يبـين لهم أنه من اللَّه جاء ومن عنده نزل لا من عند المخلوقـــين))[١].

((وكتابـاً فصّلتُـهُ لعبـادِك تفصيـلا))[٢]: يسـتدعي النظـر إلى اسـتعمالِ لفظةِ (كتابـاً) وإضافـة صفة التفصيلِ إليها ،وهنا نقول : إنّ المعنى الذي يُريدُهُ يكمنُ في لفظـةِ (كتابا)لأنَّ المعنى تحت الاسـمِ كما يقولُ ابـن منظور[٣]،فلفظةُ الكتابِ : اسْـمٌ لِمَـا كُتـب مَجْمُوعاً[٤]،وهذا يسـتدعي العزمَ عـلى معرفةِ المكتـوبِ المفصّلِ بالنظـرِ والتدبّـرِ ،وهـذه الدلالـةُ يؤدّيها المفعـول المطلق (تفصيـلا) المذكور مع فعلـهِ[٥]. وفي هذا أيضاً اسـتلهامٌ لقوله تعـالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾[٦].

((ووحيـاً أنزلتَـهُ على نبيّـك محمّدٍ صلى اللـه عليه و آلـه تنزيلا))[٧]،نقولُ فيه : الوحي يعني الإعلام في خفاء[٨]،والقرآنُ أوحاهُ اللهُ تعالى إلى نبيّه صلى الله عليه وآله وسـلم، فهو وحيٌ ، ومن معاني الوحي : ما يوحيه الله تعالى إلى أنبيائه[٩]. وثمّـة أمـرٌ في قـول الإمـام هـذا وهـو الفعـلُ (أنزلتـه) ومصـدرُهُ (الإنـزال) والمصدر(التنزيـل) ،والفـرقُ بينهمـا أنَّ الإنزالَ يكون دفعةً واحـدةً ،فاللهُ تعالى

١- تفسير الماتريدي ٨/٥٣٦.
٢- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.
٣- يُنظر: لسان العرب (سما) .
٤- يُنظر: تاج العروس(كتب).
٥- يُنظر: شرح ابن الناظم على الفية ابن مالك١٩١ .
٦- الإسراء ١٢، وتمـام الآيـة ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾.
٧- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.
٨- يُنظر: لسان العرب (وحي) .
٩- يُنظر: تاج العروس(وحي).

أنـزلَ القرآنَ من اللوحِ المحفوظِ إلى السـماء الدنيا، أمّـا التَّنْزيلَ يَخْتَصُّ بالمَوضعِ الَّـذِي يُشـيرُ إِلَى إنْزالِـه مُتَفرِّقـاً مُنَجَّماً، ومـرّةً بعد أُخرى طيلـة ثلاث وعشرين سـنة[١]، وهـذا الذي ذكره الأمـامُ عليه السـلام وأعانتنا اللغةُ عـلى بيانهِ يُعطي بيانـاً عـن أحوالِ نـزولِ القـرآنِ الذي تحـدّث عنها المفـسّرون[٢].

وقولُـهُ عليـه السـلام ((وجعلتَـهُ نـوراً نهتـدي مـن ظُلـمِ الضلالـةِ والجهالةِ باتّباعـهِ))[٣]. فالقـرآنُ نورٌ من المعاني القرآنيةِ التـي وردت في الكتاب الحكيم ، كما في قولهِ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾[٤]، وقوله عزَّ وجـلَّ: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٥]، وقولـهُ جـلَّ شـأنُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٦]، وهـذه الآياتُ يتجسّـدُ فيها قولُ الإمام عليه السلام ، لأنَّ القرآن بصّر المسلمين بما لم يكونوا على معرفةٍ به ،إذْ بـيّن فيه مثلاً ((آثَـار الْأُمَم الخالية فِيمَا اخطأوا فِيهِ وَأَصَابُوا وأخبار الْقُرُون الْمَاضِيَـة فِيمَا أَحْسـنُوا فِيهِ وأسـاؤا ليختار السـعيد من عباده مَـا حَمده الله من سَـائِر الْأُمَم ويجتنب مَا ذمه من غَيرهم من الْخِصَال والشـيم))[٧]،هذا فضلاً عن أنَّ نور القرآنِ هو الذي يهتدي به المسلمون من ظلمِ الضلالةِ والجهالةِ باتّباعه.

١- يُنظر: لسان العرب (نزل) .
٢- يُنظر: جوامع الجامع ٨١٨/٣ ،مجمع البيان ٢٦٨/١٠ ، الميزان ٢٠/٢ .
٣- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.
٤- النساء ١٧٤ .
٥- الأعـراف ١٥٧ ، وتمـام الآيـة : ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الأعـراف١٥٧.
٦- الشورى ٥٢.
٧- يتيمة الدهر ٢٥٣/٥ .

فالضلالةُ في أيسرِ معانيها أنَّ من يكونُ ضالّاً لا يُوفّق لخير أبداً ،والجهلُ والجهالةُ تعني عدم العلم بالأشـياءِ ،فجاء نور القرآن ليهدي من يكون هذا حالُه ويقودهُ إلى الخـروجِ من ظلامِ ما هو فيه .

وقولُـهُ عليـه السـلام ((وشـفاءً لمـن أنصت بفهـمِ التصديـقِ إلى اسـتماعهِ))[١] فالقـرآنُ شـفاءٌ كمـا في قولـه تعالى:﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وقولـه تبـارك وتعـالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾[٣]،فالقـرآن شـفاءٌ ، والشـفاءُ أَصْلُـه الـبرءُ مِن المرَضِ، ثـمَّ وُضِعَ مَوْضِـع العِـلاجِ والـدَّواءِ[٤]، ومـن هنا صار الشـفاءُ اسـماً للـبرءِ[٥].

ويكونُ القرآنُ شـفاءً لمن أنصتَ بفهمِ التصديقِ إلى اسـتماعهِ ،فكيف نفهمُ مرادُ الإمامِ عليه السلام ؟ وهنا لابدَّ من الوقوفِ على دلالتي (الإنصات) و(الاستماع) في المعجمِ العربيّ . جاء في لسان العرب المعاني الآتية تحت الجذر (نصت)[٦]::

١.والإنْصاتُ: هُوَ السكوتُ والاسْتِماعُ لِلْحَدِيثِ.

٢. أَنْصَتَ يُنْصِتُ إِنْصاتاً إِذا سَكَتَ سُكوتَ مُسْتَمِع.

أما الجذر (سمع) فيعطينا المعاني الآتية[٧]:

١.سمع: خَلا لَهُ فَلَمْ يَشْتَغِلْ بِغَيْرِهِ.

١- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.

٢-يونس٥٧ .

٣- فصلت٤٤ .

٤- يُنظر: لسان العرب(شفا).

٥- يُنظر: تاج العروس (شفا) .

٦- يُنظر: لسان العرب (نصت).

٧- يُنظر: تاج العروس(سمع).

٢.الاستماع: الْقَبُولَ وَالْعَمَلَ بِمَا يَسْمَعُ.

ومن الجمع بين هذه المعاني للجذرين محلّ البحث يكون القرآنُ شفاءً لمن يستمعُ له ولا ينشغلُ بغيره ،ويكون سكوتُه سكوتَ مستمعٍ يعملُ بما يسمعُ ،وهذا بيانٌ من الإمامِ عليه السلام لما يمكنُ أنْ تكونَ عليه الحوّاسُ بإطارها العامِ وخاصة (السمع) عند قراءةِ القرآنِ الكريمِ .

((وميزان قِسطٍ لا يحيفُ عن الحقِّ لسانُهُ ،ونورَ هدى لا يطفأُ عن الشاهدين برهانُهُ ،وعلمَ نجاةٍ لا يضلُّ من أمَّ قصدَ سّنتهِ ،ولا تنالُ أيدي الهلكاتِ من تعلّقَ بعروةِ عصمتهِ))[١] .

فالقرآنُ ميزانُ عدلٍ لا يجورُ ولا يظلمُ ولا يميلُ لسانُهُ عن الحقِّ ،وهذا أمرٌ أمرَ بهِ اللهُ تعالى بين العباد في القرآن كقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢]،وقوله تعالى : ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٣]، فهذه الآياتُ تضعُ للناسِ أسسَ بناء مجتمعاتهم في ضربٍ معيّنٍ من المعاملات ،فكيف إذا كان الميزانُ هو القرآنُ لشؤونِ الحياةِ كلّها في الدنيا والآخرة ، هنا يتجسدُّ العدلُ الذي يتمثّلُ بالقرآنِ في قوله عليه السلام!؟ .

بقي أنْ نشير إلى أنَّ إشارةَ الإمامِ عليه السلام تهدفُ إلى بيانِ أنَّ لسان ميزانِ العدلِ المشارِ إليه لم يوضعْ ليوازن بين الحق والباطل ، وإنّما وضع للاتجاهِ إلى الحقِّ أبداً[٤]. ومن هنا جاءت (لا يحيف) لبيان ذلك كما مرَّ .

١- الصحيفة السحادية الجامعة ١٩٤.

٢- الأنعام ١٥٢،وتمام الآية: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

٣- هود ٨٥ .

٤- لِسَانُ الْمِيزَانِ الْحَدِيدَةُ الَّتِي يَكْتَنِفُهَا الفِيارانِ، يُقَالُ لأَحدهما فِيارٌ، والحديدةُ المعترضة الَّتِي فِيهَا اللِّسَانُ المِنْجَمُ، قَالَ: والكِظَامَةُ الحَلْقة الَّتِي تَجْتَمِعُ فِيهَا الْخُيُوطُ فِي طَرَفَيِ الْحَدِيدَةِ

وقولُهُ عليه السلام: ((ونورَ هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانُهُ))[١]: فالقرآنُ هنا نورُ هدايةٍ للشاهدين ، والشاهدُ هُوَ العالِمُ الّذِي يُبَيِّنُ مَا عَلِمَه[٢]، ولا يطفأ برهانُه ، والبرهانُ هو الحُجّة الْفَاصِلَةُ الْبَيِّنَةُ لِلَدَد الخَصم[٣]، فالمسلم الذي يبقى متمسّكاً بالقرآنِ الكريمِ يكونُ مهديّاً به للردِّ على الخصومِ من خلالِ بيانِ ما يراه فيه(في القرآن)من براهين قاطعةٍ ، ويكون مهديّاً به لدفعِ الوساوس التي قد تتسرّبُ إلى نفسهِ ، أو التي يُسرّبها الكافرون إلى نفوسِ المؤمنين.

وقولُهُ عليه السلام: ((وعلمَ نجاةٍ لا يضلُّ من أمَّ قصدَ سنّتهِ))[٤]. والوقوفُ على معاني المفرداتِ في العبارةِ توسّعُ قدرتنا على تأويل المعنى الذي يختبئ خلف الظاهر كما أشرنا إلى ذلك ونشُير . جاء في لسانِ العربِ تحت الجذر(علم)[٥] :

العلم : الجبل .

الأَثرُ يُستَدَلُّ بِهِ عَلَى الطَّرِيقِ .

العلم : الراية .

العلم : العلامة.

فالقرآنُ جبلٌ من حيث الظهور للناظرِ إليه ، وهو الأثر الثابتُ الذي يُستدلُّ به على الطريقِ الذي يُريدُهُ الله عزَّ وجلَّ لسلامةِ عبادهِ ،وهو الرايةُ والعلامةُ للنجاةِ التي يُستدلُّ بها من يريدُ النجاةَ ، إذْ تُجنّبهُ الضلالَ ،والضَّلالُ والضَّلالةُ: ضدُّ الهُدَى والرَّشاد[٦].

. يُنظر : لسان العرب (فور) .

١- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.

٢- يُنظر: تاج العروس(شهد).

٣- يُنظر: لسان العرب (شهد) .

٤-الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.

٥- يُنظر: لسان العرب (علم).

٦- يُنظر: لسان العرب (ضلل).

إنَّ هـذه المعانـي التي أمدّنا بهـا الاسـتعمالُ الاجتماعيُّ لمفرداتِ النّصِّ وسّـعتْ تماماً مـن حمولةِ العبارةِ من المعاني ،وأعطـتْ للقرآنِ ما أرادهُ اللهُ تعالى له من سـموٍّ ورفعةٍ وثباتٍ ، وصار بإمكاننا أنْ نتوسّـع في بسطِ الدلالاتِ على وفقِ تلك الألفاظِ التي انتقاها الإمامُ عليه السـلام.

وقولُـهُ عليـه السـلام: ((ولا تنالُ أيدي الهلـكاتِ من تعلّقَ بعـروةِ عصمتهِ))[١]: يعنـي أنَّ من يُمسـكُ بعـروةِ عصمةِ القـرآنِ يمنعهُ ذلـك ويقيه مـن الهلكاتِ[٢] التي قـد تهلكُ غـيرَهُ .

ونشـيرُ هنـا إلى أنَّ الإمامَ عليه السـلام يؤكّـدُ على (عصمة) القـرآنِ الكريمِ التي تقيـه مـن التحريفِ والتغيـيرِ ، فهو معصوم من ذلك كلّهِ ، عـلى وفق هذا البيان السّجادي ،ومن هنا لا نعبأُ كثيراً بالرواياتِ التي تتحدّثُ عن التحريفِ كما ذهب إلى ذلـك بعضُ من العلماءِ[٣].

المقطع (٢):

((اللهم فإذْ أفدتنا المعونةَ على تلاوتهِ، وسّـهلتَ جواسي ألسـنتنا بحسنِ عبارتهِ ، فاجعلنا ممن يرعاهُ حقَّ رعايتهِ ، ويدينُ لك باعتقادِ التسليمِ لمحكمِ آياتهِ ،ويفزعُ إلى الإقرارِ بمتشابههِ ،وموضحاتِ بيّناته))[٤]:

فقولُـه عليـه السـلام (اللهـم فـإذْ أفدتنـا المعونـةَ عـلى تلاوتـهِ) يبـدأ (بنـداءِ

١- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.

٢-نشـيرُ هنـا إلى أنَّ لفظة (الهلـكات) وردتْ في قول للإمام علي عليه السـلام في قوله في نهج البلاغـة ١/ ٥١: ((تحـير في الظلمـات، وارتبك في الهلَكات)) ، ولم تـرد قبله في أي مصدر، بل إنَّ كلَّ المصادر أشارتْ إلى قولِ الإمام عليه السلام هذا . فهي بهذا من الألفاظِ العلويةِ،وأخذها زين العابدين عليه السلام من آبائهِ. .

٣- يُنظر: مناقشـة السـيد الخوئي(قدس) في : البيان في تفسير القرآن٢٢٩ لروايات التحريف ، ونصَّ على أنَّ المقصودَ بالتحريفِ حمل الآياتِ على غيرِ معانيها .

٤- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.

الدعاءِ)[1]المتمثل بـ(اللهم)،وهذه الصيغةُ هنا صارتْ لازمةً لافتتاحِ مقاطعِ الدعاءِ كلّها ،وهنا يذكّرُ الإمامُ عليه السلام بحقيقةِ معونةِ اللهِ عزّ وجلَّ لمن يختمُ القرآنَ تلاوةً ، فما المرادُ من التلاوةِ هنا ؟ . نعود إلى المعجمِ العربي لنقفَ فيه على هذه المعاني، جاء في لسان العرب المعاني الآتية:

١. يتلو : يتبع .
٢. فُلَانٌ يَتْلو فُلَانًا أَي يَحْكِيهِ ويَتْبَع فِعْلَهُ .
٣. تَلا يَتْلُو تِلاوَة يَعْنِي قرأَ قِرَاءَةً. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ؛ مَعْنَاهُ يَتّبعونه حَقَّ اتِّبَاعِهِ وَيَعْمَلُونَ بِهِ حَقَّ عَمَلِهِ.

ومن المعنين الأول والثاني نخلصُ إلى أنَّ التلاوةَ قراءةٌ واتّباعُ الإنسانِ لما يقرأ ،وبخصوصِ القرآنِ فمن يتلو القرآنَ ينبغي أنْ يتبعَ ما يقرأُ فيه ، وليس المقصودُ هنا آيات الأحكامِ فقط[2]،فالتمسّكُ بها والعملُ بأحكامها واجبٌ على وفقِ العقيدةِ الإسلاميّةِ وعلى وفقِ ما تقولهُ اللغةُ استناداً إلى قولِ الإمامِ عليه السلام ، وإنّما المقصودُ القرآنُ بالذي جاء فيه كلّه .

والمعنى الثالثِ يوكّدُ ما مرَّ في المعنينِ السابقين ، فالتلاوةَ التي تخصُّ القرآنَ هي قراءةٌ واتّباعٌ بحقٍّ وعملٌ بما يقرأ بحقٍّ ، وتأتي التفاتةُ ابن منظور إلى الشاهدِ القرآني الذي جاء بهِ ليثبت من خلالهِ خصوصيّةً لتلاوةِ القرآنِ الكريم . ((وسهّلتَ جواسي ألسنتنا بحسنِ عبارتهِ))[3] ، يعني فيه أنَّ الله عزَّ وجلَّ خفّفَ على جواسي ألسنة من يقرأ القرآن بحسنِ عبارتهِ ، ولعلَّ الوقوفَ على

١- اجترحنا هذا المصطلح لأنّها أكثر اتّساقاً مع الذات المقدسة.
٢- ذهب أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٥٣ إلى القول : ((يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ» أي يحلّون حلاله، ويحرّمون حرامه)) وهذا يعني أنّه اقتصر على آيات الأحكام ، وأضاف عبد الرزاق في تفسيره ١/٢٨٨ فضلا عمّا ذكره أبو عبيدة ما ياتي : ((...وَلَا تُحَرِّفْهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ)) ،والحقُّ أنَّ هذا لا يبعد عن المعاني اللغوية التي أثبتناها .
٣- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.

معنى جواسي يُعطينا بياناً للمعنى العامِ لهذه الفقرةِ ، جاء في لسان العرب المعاني الآتية التي تتلائمُ مع السياقِ تحت الجذر (جوس)[1] :

جوس : تردّد .

جوس : يجوس الرجلُ الاخبارَ يطلبها .

جوسة الناظر : شِدَّةُ نَظَرِهِ وَتَتَابُعُهُ فِيهِ .

جاسية : صلبةٌ .

إنَّ فتحَ هذه الاستعمالات الاجتماعيّةِ للمعاني الثلاثةِ الأولى يضعُ أمامنا إطاراً عاماً لدلالةِ مفردة (جواسي)المضافة إلى(ألسنتنا) ، فهي تعني كثرةَ التردّدِ على قراءةِ القرآنِ وطلبَ ما فيه ،من خلالِ شدّةِ النظرِ والتتبعِ ، وهذه مهمّةٌ يسهّلها حسنُ عبارةِ القرآنِ، وقد وعد اللهُ تعالى بهذا بقولهِ : ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾[2].

ويبقى المعنى الرابعُ ، وهو صلابةُ الألسنةِ ، فقد يُحملُ كلامُ الإمامِ عليه السلام عليه، ولكنّنا نعتقدُ بأنّه التوجيهُ الأبعدُ لقصدِه عليه السلام ،لأنَّ سيرته وما سيأتي في الدعاء ، قد يؤيدُ ما نقولُه ببعدِ هذا التوجيه[3]مزازنةً بغيرهِ ، وهو أنَّ ما في القرآنِ من أسرار كفيلةٌ بتليينِ صلابةِ لسانِ من يقرؤهُ بأناةٍ وتدبّرٍ ليطلب ما فيه كما في المعنى الثاني.

وثمّة أمرٌ آخر نراهُ على قدرٍ كبيرٍ من الأهميةِ يتعلّقُ باستعمالِ الإمامِ عليه السلام للفظة (جواسي) ،فهذه اللفظةُ لم تردْ بصيغة الجمعِ المضاف قبل الإمامِ عليه السلام ، واستناداً إلى هذا فالراجحُ أنّها من اجتراحهِ عليه السلام ، فهو

١- يُنظر: لسان العرب(جوس).

٢- القمر ١٧.

٣- اكتفى السيد محمد الشيرازي بهذا التوجيه لكلامِ الإمامِ عليه السلام في شرحه للصحيفة السجادية . ينظر : ٢/ ٢٨٩.

من أمراء الكلامِ الذين يؤخذُ منهم . يقولُ أميرُ المؤمنين عليه السلام: ((.... وإنّا لأمراء الكلامِ ،وفينا تنشّبتْ عروقهُ ،وعلينا تهدّلتْ غصونُهُ))[١]. وفضلاً عما ذكرنا فالإمام عليه السلام ممّن يُحتجُ بعربيتهم استناداً إلى أقوالِ علماءِ اللغةِ في قضيّةِ الاحتجاجِ وزمانه[٢].

((فاجْعَلْنا مِمَّنْ يَرْعاهُ حَقَّ رِعايَتِهِ، وَيَدِينُ لَكَ بِاعْتِقادِ التَّسْليمِ لِمُحْكَمِ آياتِهِ، وَيَفْزَعُ إِلَى الإِقْرارِ بِمُتَشابِهِهِ وَمُوضِحاتِ بَيِّناتِه))[٣].

إنَّ رعايةَ القرآنِ حقَّ رعايتهِ تعني العملَ بأوامرهِ ونواهيه كما أمرَ اللهُ تعالى ،ويكون مديناً لله تعالى ببذل الرضا والقبولِ والاستسلامِ وإلقاءِ المَقادة إلى إرادة الله جلَّ شأنه المتمثّلةِ في الآياتِ المحكمةِ الظاهرةِ الدلالةِ ، وخصّ الإمامُ عليه السلام ذكر الآياتِ المحكمةِ ، ولم يذكرْ الآيات التي تُقابلها ، وهي الآياتُ المتشابهةُ الواردةُ في قولهِ تعالى : ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ﴾[٤]، لأنّ المتشابه ينفتحُ على معانٍ كثيرةٍ ، وهو ممّا يُردُّ علمُه إلى الله تعالى وإلى الراسخين في العلمِ ، وهم النبيُّ وآله صلى الله عليهم وآله[٥].

((وَيَفْزَعُ إِلَى الإِقْرارِ بِمُتَشابِهِهِ وَمُوضِحاتِ بَيِّناتِه))[٦] ،فالفزعُ : يعني الفَرَقُ

١- نهج البلاغة ٢/٢٢٦.

٢- يُنظر: تفصيل ذلك في التفسير اللغوي للقرآنِ الكريم٥٦٣.

٣- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.

٤- آل عمران ٧ .

٥- يُنظر: أهل البيت في نهج البلاغة/ قراءة تأويلية ٤٢ وما بعدها ، ففيه تفصيلٌ وافٍ للآراءِ الكثيرةِ التي قيلتْ في هذه القضيةِ .

٦- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤.

والذِّعْرُ ، والإمامُ عليه السلام لا يفرقُ ولا يُصيبُه الذعرُ من القرآن فهو ممن هم عِدلهُ ، وخزنةُ علمِ اللهِ ووحيه[١]، ولكنّه يضعُ أماأنزلتهَ المسلمين وسيلةً تقيهم من الخوضِ في متشابهِ القرآنِ ، فيقرّون به (أي بالمتشابهِ)، وما هو واضحٌ بيّنٌ فيه (الآيات المحكمة) كما مرَّ قبل هُنيهة .

المقطع (٣):

((اللهمّ إنّك أنزلتهُ عَلى نَبيِّكَ مُحَمَّدٍ صلَّى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ مُجْمَلاً، وَأَلْهَمْتَهُ عِلْمَ عَجائِبِهِ مُكَمَّلاً، وَوَرَّثْتَنا عِلْمَهُ مُفَسَّراً، وَفَضَّلْتَنا على مَنْ جَهِلَ عِلْمَهُ، وَقَوَّيْتَنا عَلَيْهِ لِتَرْفَعَنا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ، اللّهُمَّ فَكَما جَعَلْتَ قُلُوبَنا لَهُ حَمَلَةً، وَعَرَّفْتَنا بِرَحْمَتِكَ شَرَفَهُ وَفَضْلَهُ))[٢].

يبدأُ هذا المقطعُ بالنداءِ (اللهمَّ) المعهود في بدايةِ كلِّ مقطعٍ من مقاطعِ الدعاءِ كما ثبتنا ذلك من قبلُ ، ثمَّ يلتفتُ الإمامُ عليه السلام إلى نزولِ القرآنِ الكريم ، (أنزلتهُ على نبيّك محمّد صلى الله عليه وآله مجملاً) وهنا يستوقفنا أمران : الإنزال والإجمال) ، فأنزلته على النبي صلى الله عليه وآله تعني من علوٍّ ، وهذا النزول شرفٌ للنبيّ صلى الله عليه وآله ، وهنا ثمّة فرقٌ بين (أنزل) و(تنزّل) الواردة في القرآنِ ، فأنزله هنا تعني نزولاً للقرآنِ بتمامهِ ، وهذا النزولُ أيضاً يكون بنزولين : الأوّل : من اللوحِ المحفوظِ إلى السماء الدنيا ، والثاني : من اللوحِ المحفوظِ أو من السماءِ الدنيا إلى النبيّ صلى الله عليه وآلهِ وسلم[٣] .

١- يُنظر: مسالك الإفهام ١٥/ ٤ .

٢- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٤ ــ ١٩٥.

٣- ذهب أغلبُ العلماء إلى القول بنزولِ القرآنِ مرتين ، مرّة بالإجمالِ الذي يُشار إليه بالنزولِ الذي يُشار إليه بالفعل(أَنزل) ، ومرّة بالتفصيلِ التي يُشارُ إليها بالتنزيلِ مصدر الفعل (تنزّل) .ينظر : الحدائق الناضرة ١٣/ ٤٤٨، تفسير الميزان ١٨/ ١٣٠ .

إنّ هـذا التوجيـه الذي نقولُ بـه يتوافق مع قولِ الإمامِ عليه السـلام (مُجملاً) ، فنـزولُ القـرآن الذي يُريدهُ الإمامُ عليه السـلام في هذا المقطعِ هو النزولُ المجملُ في ليلـةِ القـدرِ ،لما في هذا من بيانٍ لشرفِ النبـيّ ومنزلتهِ عند الله تعالى ،ثمّ يأتي قولُـه عليه السـلام (وَأَلْهَمْتَهُ عِلْمَ عَجائِبِـهِ مُكَمَّلاً، وَوَرَّثْتَنا عِلْمَـهُ مُفَسَّراً) ،فالله تعالى ألهم النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ما في القرآنِ من عجائب وعلوم إلهاماً كامـلاً، والإلهـامٌ بيانٌ في خفاءٍ ،((وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الوَحْي، يَخُصُّ اللَّهُ بِهِ مَنْ يَشَـاءُ مِـن عِبَادِهِ))[١]،واسـتناداً إلى هـذا التوجيهِ فالنبيُّ يعلمُ كلَّ مـا في القرآنِ الكريمِ مـن أسرار وخبايـا منذ النـزول الأول المجملِ [٢].

ثـم يأتي قولُه عليه السـلام (وَوَرَّثْتَنـا عِلْمَهُ مُفَسَّراً)لبيانِ حقيقـةِ أنَّ أهلَ البيتِ عليهم السـلام ورثوا علومَ القرآنِ كلّها وفي مقدّمتها تفسيرُه من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ،فهم الراسخون في العلم الذين يعلمون تأويلَه ــ كما مرَّ ــ وكما في قـولٍ للإمـامِ عليه السـلام في دعاءٍ له ، يقولُ فيه ((... ولـولا توفيقُك لم أهتدِ إلى معرفةِ التأويل))[٣]،. ومن هنا يجتمعُ تفسـيرُ القرآنِ وتأويلُه عند أهل البيت عليهم السلام في تجانسٍ معرفيّ لا يجرؤ أحدٌ غيرهم أنْ ينطقَ بمثلِ هذا الكلامِ .

وقولُـهُ عليه السـلام (وَفَضَّلْتَنا على مَنْ جَهِـلَ عِلْمَهُ، وَقَوَّيْتَنا عَلَيْـهِ لِتَرْفَعَنا فَوْقَ مَنْ لَمْ يُطِقْ حَمْلَهُ) .

يُشـير الإمام عليه السـلام على تفضيلِ اللهِ تعالى لأهلِ البيتِ عليهم السـلام ، إذ منحهـم علم الكتاب كلّهُ ، قـال تعـالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى

١- يُنظر: لسان العرب (لهم) .

٢- أمّا التّنزيل مصدر (نزّل) ، فالمراد به التنزيل حسـب الحوادثِ مدة ثلاث وعشرين سـنة ، وعلى وفق ما تستدعيه الحوادثُ والمواقف التي تحتاجُ إلى تنزيل .

٣- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٥.

بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾[١]،وقد سأل أبو سعيد الخدري النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم عن المقصودِ بالآيةِ فقال : ذاك أخي عليّ بن أبي طالب))[٢]،وما عند أمير المؤمنين عليه السلام عند الأئمةِ من بعده ، فالإمامُ الصادقُ عليه السلام يقولُ عن علمهِ بالكتابِ : ((واللهِ إنّي لأعلمُ كتابَ الله من أوّلهِ إلى آخرهِ كأنّه في كفّي))[٣].

واستناداً إلى هذا فتفضيلُ أهل البيت عليهم السلام على غيرهم ممّن جهل علمَ الكتاب ،هو رفعٌ لشأنهم وتقويةً لهم على من لم يُطق حملَه ،ومن لم يُطق حمله هنا لا يعني عدم القدرةِ على حملهِ[٤] ،وإنّما يعني عدم الانصياع لأوامر الكتاب ونواهيه ،وهذا يتجسّدُ في الكفار أوّلاً .

المقطع (٤) :

((اللهم فكما جعلت قلوبنا له حملة ،وعرفتنا برحمتك شرفه وفضله ،فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ الخَطيبِ بِهِ، وَعَلى آلِهِ الخُزّانِ لَهُ، وَاجْعَلْنا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ حَتّى لا يُعارِضَنَا الشَّكُّ في تَصْدِيقِهِ وَلا يَخْتَلِجَنَا الزَّيْغُ عَنْ قَصْدِ طَرِيقِهِ))[٥].

يعودُ الإمامُ عليه السلام في هذا المقطعِ إلى الدعاءِ الممتزجِ بذكرِ فضلِ اللهِ على أهلِ البيتِ عليهم السلام إذْ جعل قلوبَهم حملةً له ، وعرّفهم برحمتهِ شرفَه وفضلَه ، وهنا نقولُ : إنَّ معرفةِ فضلَ القرآنِ وشرَفه ينقسمُ إلى قسمين كما ذهب إلى ذلك صاحب رياض السالكين : الأوّل : عام يشتركُ به جميعُ المسلمين ، كما

١- الرعد ٤٣.
٢- يُنظر: أمالي الصدوق ٦٥٩ ،وسائل الشيعة ٢٧/١٨٨ ،ينابيع المعاجز ١٧.
٣- الكافي ١/٢٢٩
٤- يُنظر: شرح الصحيفة السجادية ٢٩٠ .
٥- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٥.

جـاء ذلـك في آياتٍ كثيرةٍ ، وخاص يعرفه من خصّهـم اللهُ بمعرفةِ أسراره ،وهم أهـلُ البيتِ عليهم السـلام[١].

وهنـا نُضيـفُ أنَّ مـا جاء في الجزء التالي مـن الدعاءِ يُرينا نـوع المعرفةِ الخاصّةِ التـي يعرفها أهلُ القرآنِ الخزّانُ له ،وهو قولُهُ عليه السـلام:

(وعـلى آلـهِ الخـزّانِ لـه) : فالإمامُ عليه السـلام يُتـمُّ دعوتَه بالصلاةِ عـلى النبيّ بالدعوةِ لآلِ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ،فمن هم (الآل) الذين خصّهم الإمامُ عليه السـلام بالدعاء هنا؟. إنَّ العودةَ إلى المعجم العربيّ التي تمسّـكنا بها هاديا لنا في هذا الكتاب ، تقودُنا الى ما يأتي :ـــ

جاء في لسـان العرب ((... وآلُ الرجلِ : أهله ، وآلُ اللهِ وآلُ رسـولِه : أولياؤُه ، أصلُهـا : أهـلُ البيتِ ثم أُبدلتْ الهاء همزة ، فصـارت في التقدير(أأل) فلما توالتْ الهمزتـان أبدلـوا الثانية ألفا ، كما قالوا : آدم و آخر ، وفي الفعل آمن وآزر))[٢].

إنّ هـذا التوجيـهَ اللغوي الذي تفضلّ بـه علينا المعجمُ العربيُّ ، يكشـف لنا عن توحّدٍ في الدلالةِ بين(أهل) و(آل) . إذ إنّ (الأهل) هي الأصلُ ، وولدتْ من رحمها لفظة(الآل) على النحو الذي بسـطه ابنُ منظور في النصّ السابق .

وهذا الوضوحُ الدلاليُّ لـ(الآل) يُغرينا بالتمسـك بهذا التوجيهِ ، الذي لا يقبل أيَّ تفسـيرٍ آخـرَ لدلالةِ لفظـةِ(آل) ، خاصة إنّ ابن منظور نصّ عـلى أمرٍ آخر قفّا به قولَه السـابق ، وقطع به بدقّةِ انتماء(الآل) الى(الأهل) لغويّاً . وهو قوله : ((... فـإن قيـل : ولم زعمـت انّهم قلبوا الهاءَ همزةً ثم قلبوهـا فيما بعد ، وما أنكرت مـن أنْ يكـون قلبوا الهاء ألفاً في أول الحال ؟ فالجـواب أنَّ الهاءَ لم تُقلبْ ألفاً في غير هذا الموضع ، فيقاس هذا عليه ، فعلى هذا أُبدلتْ الهاء همزةً ثم أُبدلتْ الهمزة ألفاً))[٣].

١- يُنظر: رياض السالكين ٤٤٤ــ ٤٤٥.

٢- يُنظر: لسان العرب(أهل).

٣- يُنظر: م. ن .

انّ هـذه المتابعة الصرفيـة من ابن منظور لأصل(آل) ، تنمّ عن إدراك عميق منه لأصول الكلام العربي ، إذ انه قطع بعدم وجود مفردة أخرى في العربية قلبت فيها الهاء الى همزة . ومن هنا كان حكم هذه المفردة خاصّاً بها . فصارت(الآل) تـدل على(الأهـل) في هذا الموضع فقط ((وكانـوا يخصون بالآل الأشرف الأخصّ دون الشـائع الأعـمّ))[1] ، وأهـل البيت هم الأشرفُ الأخصُّ عـلى وفق ما رأينا ، فصارت(الآل) دالة عليهم دون غيرهم ، فإذا ذكر آل محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ انصرف الذهنُ الى أهلِ البيت(علي وفاطمة والحسن والحسين) عليهم السلام ـ .

لقد أطلنا قليلاً في بيانِ مرادِ الإمامِ عليه السـلام من اسـتعمالِ كلمة(الآل) لأنّهاَ ركيـزةٌ مـن ركائزِ العقيدةِ ،واسـتناداً الى هذه الواقعـة اللغوية ، فلا يعنينا بعد أيّ توجيه آخر يوسّع أو يضيّق دلالة(آل) . لأنّ جهينة قطعت قولَ كلِّ خطيبِ . والآن نعـودُ إلى المقطعِ السـابقِ (وعـلى آلهِ الخزّانِ له) إذْ بقـي منه (الخّزّان له) ،وهنا نستشـيرُ المعجمَ في دلالاتِ هذه المفردةِ. جاء في المعجم العربي تحت الجذر (خزن) المعاني الآتيةِ التي تتناسـبُ مع السِّياق[2]:

خزن المالَ: إذا غيّبه .

خزانةُ الإنسانِ: قلبُه.

آيـاتُ الْقُرْآنِ : خَزَائِنُ، فإذا دخلتَ خِزَانَـةً فَاجْتَهِدْ أَن لَا تَخْرُجَ مِنْهَا حَتَّى تَعْرِفَ مَا فِيهَا، قَالَ: شبَّه الْآيَةَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالْوِعَاءِ الَّذِي يُجْمَعُ فِيهِ الْمَالُ الْمَخْزُونُ .

المخزن: ما يُخزنُ فيه الشئ.

ومـن توليـف هذه المعاني مع بعضها يمكننا أنْ نتأوّلَ الدلالةَ التي يُريدها الإمامُ

١- يُنظر: لسان العرب(أهل).

٢- يُنظر: تاج العروس (خزن) .

عليه السلام ، فنقولُ: إنَّ أهلَ البيتِ عليهم السلام همُ الذين غيّبَ اللهُ عندهم (في قلوبهم) تأويل معاني القرآنِ جميعها لأنّهم هم الواصلون إلى مرتبةِ العلمِ اللدنّي المستغنَونَ عن التحصيلِ وتعبِ التعلّمِ[١]،ويأتي هذا من خلالِ الإلهامِ الذي يمنحُهُ الله تعالى للمعصومين عليه السلام .

واستناداً إلى هذا يتبيّنُ لنا الإطارُ العام الذي جعله الإمامُ عليه السلام لهذا الجزءِ من قولهِ (الخزّان له) ، وثمّة قولٌ للسيّدِ الشريفِ المرتضى يُقرّبنا من الدلالةِ المشارِ إليها حيث يقولُ: ((.... أمّا الذي يدلُّ على وجوبِ كونِ الإمام عالماً بجميعِ الأحكامِ فهو أنّه قد يثبت أنَّ الإمامَ إمامٌ في سائرِ الدينِ، ومتولٍّ للحكمِ في جميعهِ، جليلهِ ودقيقهِ، ظاهرِه وغامضِه وليس يجوزُ أنْ لا يكون عالماً بجميعِ الدينِ والأحكامِ، وهذه صفتُه لأنَّ من المتقرّرِ عند العقلاء قبح استكفاء الأمر وتوليته من لا يعلمه، وإن كان لمن ولوه واستكفوه سبيل إلى علمه، لأن المعتبر عندهم كون المولى عالما بما ولي ومضطلعا به ولا معتبر بإمكان تعلمه وكونه مخلى بينه وبين طريق العلم لأن ذلك وإن كان حاصلا فلا تخرج ولايته من أن تكون قبيحة إذا كان فاقدا للعلم بما فوض إليه.))[٢].

وقولُهُ عليه السلام: ((وَاجْعَلْنَا مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِأَنَّهُ مِنْ عِنْدِكَ حَتَّى لاَ يُعَارِضَنَا الشَّكٌّ فِي تَصْدِيقِهِ))[٣].

وهنا نحتاجُ إلى بيانِ مراد الإمامِ عليه السلام بهذا المقطعِ الذي قد يحملُه من ينظرُ فيه على معناه الظاهرِ لأوّلِ وهلةٍ ،وهو الدعاءُ لأمرٍ يُرادُ منه أنْ يقعَ في المستقبلِ ، وهذا لا يصحُّ ولا يتناسبُ مع مقامِ أيّ مسلمٍ ، فكيف بمقامِ الإمامةِ !؟ . وهنا نُجيب بما يُقدّمه المعجمُ لنا من دلالاتِ الفعل(يعترف) الذي جاء فيه

١- يُنظر: تفسير المحيط الأعظم ١/٤٧٧.
٢- الشافي في الإمامة ٢/١٢ وما بعدها .
٣- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٥.

ما يأتـــي[١]:

١. عـرف: اعـترف ،وَرُبَّمَـا وَضَعُوا اعـتَرَفَ مَوْضِعَ عَـرَفَ ،كَمَا وَضَعُـوا عَرَفَ مَوْضِـعَ اعْتَرَفَ)) .

٢.عـرَّف فُـلَانٌ الضالَّـة أَي ذكرَها وطلبَ مَـنْ يَعْرِفها فَجَاءَ عرَّف فُـلَانٌ الضالَّة أَي ذكرَهـا وطلـبَ مَـنْ يَعْرِفها فَجَاءَ رَجُـلٌ يَعْتَرِفُها أَي يَصِفُهَا بِصِفَـةٍ يُعْلِم أَنه صَاحِبُهَا. وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْـعُودٍ: فَيُقَالُ لَهُـمْ هَلْ تَعْرِفُون ربَّكم؟ فَيَقُولُونَ: إِذَا اعْـتَرَفَ لَنَـا عَرَفْنَـاه ،أَي إِذَا وصَف نَفْسَـهُ بِصِفَةٍ نُحَقِّقُه بِهَـا عَرَفْنَاهُ .

ومـن تلمّـسِ المعنـى الـذي يمكنُ أنْ يؤخـذَ من علاقاتِ إسـتادِ هـذه المعاني إلى بعضها وموازنتها بقولِ الإمامِ عليه السـلام يظهر لنا أنَّ ما يُريدهُ عليه السـلام ليـس ابتداءِ الجعلِ (اللهم اجعلنا) ،وإنّما أنْ يبقَون على معرفتهم بأنَّ القرآنَ من عنـدِ اللهِ تعـالى ،فهم يعرفون القرآنَ لأنّهم أصحابُـهُ (المعنى الثاني).،ويصفونه بصفاتهِ التي يُعلمُ منها أنّهم أصحابُهُ أو الخزّان له ـــ كما مرَّ ـــ ومن هنا لا يمكن أنْ يُحمـلَ قولَ عـلى المعنى الذي يتبادر إلى الذهنِ أوّلاً[٢].

((حتى لا يُعارضُنا الشّكُّ في تصديقهِ ، وَلا يَخْتَلِجَنَا الزَّيْغُ عَنْ قَصْدِ طَرِيقِه))[٣]: يعنـي لا يجذبهـم ولا ينتزعهم الميلُ عن طريقِ العدلِ الذي يُجسّـدهُ القرآن ، ولا يخفى ما في هذا القولِ من استلهامِ لقولهِ تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[٤]، أَي لَا تُمِلْنـا عَـنِ الهُـدَى والقَصْـدِ

١- يُنظر:

٢- ذهب السـيد محمد الشيرازي في شرحه للصحيفةِ السجادية ١/ ٢٩١ إلى القول: ((واجعلنا ممن يعترف بأنه من عندك) لا كالكفار الذين ينكرون ذلك، والمراد بـ[اجعلنا] مستمرين بهذا الاعتراف)) .

٣- الصحيفة السجادية ١٩٥.

٤- آل عمران ٨.

وَلَا تُضِلَّنا، وَقِيلَ: لَا تُزِغْ قُلُوبَنَاَ، تَتَعَبَّدْنا بِمَا يَكُونُ سَبَبًا لِزَيْغِ قلوبِنا[١].

المقطع (٥):

وقولُهُ عليه السلام ((اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَاجْعَلْنا مِمَّنْ يَعْتَصِمُ بِحَبْلِهِ، وَيَأوِي مِنَ الْمُتَشابِهاتِ إِلى حِرْزِ مَعْقِلِهِ))[٢].

يدعو الإمامُ عليه السلام اللهَ تعالى هنا بالصلاةِ على محمد على وآلهِ

ثمَّ يدعو بأنْ يكونوا ممن يعتصمون بحبلِ القرآن ،والتمسّكُ بحبلِ القرآنِ يعني التمسّكَ بالدليلِ إلى اللهِ تعالى وبعهدهِ وبما شرّعه للخلقِ لما يضمنُ لهم خيرَ الدنيا والآخرة . فهل يُحقّقُ (الحبل) هذه المعاني ؟ والآن نعود إلى المعجمِ لنقف منه على ما يؤديه الحبلُ .جاء في لسان العرب المعاني الآتيةُ[٣]:

الحبلُ: كُلِّ مَا يُتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى شَيْءٍ،

حَبْلِ مُشْتار العَسَلِ، فَإِذا أَرادَ الخَلِيَّة ثمَّ أَرادَ الحَبْلَ جَذَبَه بذلك الخَيْطِ، وَهُوَ مَرْبوطٌ إِلَيْهِ.

الحبل: العَهْدُ والذِّمَّةُ والأَمانُ يُقال: كانتْ بينَهم حِبالٌ فقَطَعُوها: أَي عُهُودٌ وذِمَمٌ.

الحبل: الاعتِصامُ بحَبلِ اللَّهِ: اتِّباعُ القُرآنِ وتَركُ الفُرقة،

وبمقاربةٍ معرفيّةٍ لهذه المعاني يتكشّفُ لنا ما تؤدّيه لفظةُ (الحبل) المضافةُ إلى

١- يُنظر: لسان العرب (زيغ)، وهذا من المعاني التي أوصى أئمّةُ أهل البيت عليهم السلام بالدعاء للسلامةِ منها ، فقد ورد عن الإمام أبي عبدِ اللهِ الصادقِ عليه السلام أنّه قال : ((أكثروا من أنْ تقولوا : ربنا لا تزغ قلوبنا بعدَ إذْ هديتنا ، ولا تأمنوا الزيغ)) . ينظر تفسير العياشي ١/١٦٤.

٢- الصحيفة السجادية ١٩٥.

٣- يُنظر: لسان العرب(حبل).

القـرآنِ ، فحبـلُ القـرآن هو ما يوصّلنا إلى مـا يُريدهُ الله تعـالى في كتابهِ الكريمِ (المعنى ١) ،وهو الذي يُعيننا على الصعودِ إلى النجاةِ كما يعينُ الحبلُ من يشتار العسـلَ في الأرضِ الجبليـةِ إلى الصعودِ إلى المـكانِ الآمنِ (المعنى٢).

ومـن المعنيـين أعلاه يؤخذُ المعنـى الثالث(العَهْدُ والذِّمَّةُ والأَمانُ) اسـتناداً إلى ما يقودان إليه ،واسـتناداً إلى الاستعمالِ القرآني للفظة(الحبل) كما في قولهِ تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾[١] ،وقولـه تعـالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ﴾[٢] .

ويأتـي المعنى الرابـعُ ليجعلَ حبلَ اللهِ اتّباعَ القرآن وتـرك الفرقةِ ، وهذا المعنى ينسـجمُ تماماً مع مُرادِ الإمام عليّ بنِ الحسـينِ عليه السـلام في قولتهِ السابقةِ . ((وَيَـأوِي مِنَ المُتَشـابِهاتِ إلى حِرْزِ مَعْقِلِهِ))[٣]،فالمسـلمُ يلجـأُ إلى القرآنِ بوصفهِ الملجـأَ الحصـين الـذي لا يوصلُ إليه لمنعتـهِ ، من الأمورِ التي لا يعرفُ الإنسـانُ خيرَهـا من شرّها ، وما حدودُ الصـوابِ والخطأ فيها.

وثمّـة معنـى يتلجلـجُ في الصدرِ بشـأنِ دلالةِ (المتشـابهات) ، يتمثّـلُ في أنَّ عمقَ المعنـى قد يومـئ إلى (الآيات) المتشـابهةِ في قولـه تعـالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الألْبَابِ

١- آل عمـران ١٠٣، وتمـام الآيـة: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

٢- آل عمـران ١١٢،وتمـام الآية﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾

٣- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٥.

﴾[١].

وبنـاءً على هذا يأوي المسـلمُ إلى المعقـلِ الحصينِ في فهمِ (المتشـابهات)، والمعقلُ هنـا لـه بابـان ، أحدهما : العـودةُ إلى الراسـخين في العلمِ الذيـن يعلمون تأويل المتشابهاتِ ، وهم النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ، والمعصومون من بعدهِ ، كما بـيّن ذلـك الإمامُ الباقرُ عليه السـلام في قولِه عنهم: ((رسـولُ اللهِ صلى الله عليه وآله أفضلُ الراسخين ،قد علّمهُ اللهُ جميعَ ما أنزل اللهُ اليه من التنزيلِ والتأويلِ ومـا كان اللهُ لينزل عليه شـيئاَ لـم يُعلّمْه تأويلَه ،واوصيـاؤهُ من بعده يعلمونه كلَّـه))[٢].

والبـابُ الثاني للملجأ من (المتشـابهات) هو بـاب (المحكمات) من القرآن ، فعدمُ الوصولِ إلى المعنى الدقيقِ للآيةِ المتشـابهةِ يحتّمُ العودةَ إلى الآيةِ المحكمةِ ، فهي التي تُعيّنُ معناها[٣] ، وهنا تكونُ المحكماتُ الملجأ الأمين للمتشـابهاتِ في القرآنِ. وقولُهُ عليه السـلام: ((وَيَسْكُنُ في ظِلِّ جَناحِه، وَيَهْتَدي بِضَوْءِ صَباحِه، وَيَقْتَدي بِتَبَلُّجِ أَسْـفارِه، وَيَسْـتَصْبِحُ بِمِصْباحِه، وَلا يَلْتَمِسُ الهُدى في غَيْرِه))[٤]. فالسكنُ في ظلِّ جناحِ القرآنِ يعني في بعضِ وجوهِه : السكنُ والاطمئنانُ في كنفه وناحيته عـلى وفقِ دلالةِ الجنـاحِ في اللغة . يُقَال: أَنا فِي جَناحِه، أَي دارِه وظِلِّه وكَنَفه[٥]. ويهتدي بضوءِ صباحِه ،فالإنسـان بغيرِ القرآنِ يعيشُ في ظلمةٍ تشبه ظلمةَ الليلِ ، ولا يقدرُ على الاهتداءِ إلّا بضوءِ القرآنِ الذي يُشبهُ ضوءَ الصّباحِ ، وهذه الموازنةُ

١- آل عمران ٧.
٢- بصائر الدرجات ١/٢٢٩.
٣- يُنظر: تفسير الميزان ٢/٢١.
٤- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٥.
٥- يُنظر: لسـان العرب (جنح).،ونشـير إلى أنَّ السـيد محمد الشـيرازي في شرحه ١/٢٩١إلى القـول: ((كأن للقرآن جناحاً إذا سـكن الإنسـان تحته وقاه من المـرارة)). وهو مقبولٌ ولكنه بعيدٌ عمّا تقرّره اللغةُ كما رأينا.

المعرفيـةُ بـين الصّورتين تظهرُ القيمـةُ الربّانيّةَ العليا التـي أرادها الله عزَّ وجلَّ للقرآنِ الكريمِ كما يُبيّنها الإمامُ عليه السلام في هذه الإشارةِ من قولهِ. ومثلُ هذا ينطبقُ على العباراتِ الثلاثِ المشار إليها.

الفصل الرابع

دعاء ختم القرآن/ القسم الثاني

المقطع(٦):

((اللّهُـمَّ وَكَمـا نَصَبْتَ بِـهِ مُحَمَّداً عَلَماً لِلدَّلالَـةِ عَلَيْكَ، وَأَنْهَجْتَ بِآلِهِ سُـبُلَ الرِّضا إِلَيْكَ، فَصَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ،وَاجْعَلِ القُرْآنَ وَسِـيلَةً لَنا إلى أَشْرَفِ مَنازِلَ الكَرامَةِ وَسُـلَّماً نَعْرُجُ فيهِ إلى مَحَلِّ السَّـلامَةِ، وَسَـبَبَاً نُجْرى بِهِ النَّجاةَ في عَرْصَةِ القِيامَةِ، وَذَرِيعَـةً نَقْـدُمُ بِها عَلى نَعيـمِ دارِ المُقامَةِ، اللّهُـمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّـدٍ وَآلِهِ، وَاحْطُطْ بِالقُرآنِ عَنَّا ثِقْلَ الأَوْزارِ، وَهَبْ لَنا حُسْـنَ شَـمائِلِ الأَبرارِ))[١].

(اللّهُمَّ وَكَما نَصَبْتَ بِهِ مُحَمَّداً عَلَماً لِلدَّلالَةِ عَلَيْكَ):

فاللهُ تعالى نصبَ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسـلم ، أيْ وضعهُ علماً للدلالةِ على اللهِ تعالى ،فما دلالةُ (العلم) في هذا السّياقِ ؟. جاء في المعجمِ العربي تحت الجذر (علم) المعاني الآتية:

١.العلم : الرايةُ.

٢. العلمُ : الجبلُ.

٣.العلمُ : سيدُ القومِ .

وعـلى وفـقِ هـذا المعاني ، فالنبـيُّ هو الرايـةُ العاليةُ التـي يجتمعُ النـاسُ إليها ،وحالُـه في سـموّهِ وعلـوِّ مكانهِ كحالِ الجبلِ الذي يُشـاهدُ مـن بعيد، فضلاً عن

١- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٥.

ثباتهِ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم سيّدُ القومِ الذي يتجسّدُ فيه المعنيان الأوّل والثانـي. وهـذه الصفاتُ جعلتْه يدلُّ الخلـقَ على اللهِ تعالى .

وقولُهُ عليه السـلام: (وَأَنْهَجْتَ بِآلِهِ سُـبُلَ الرِّضا إِلَيْكَ)،أي جعلتَ آلَ النبيّ صلى الله عليه وآله وسـلم نهجاً لبيانِ الطرقِ التي يرضاها اللهُ سبحانه وتعالى. وهذا القولُ يُحيلنا إلى أمرٍ يتّصلُ بلبِّ العقيدةِ الإسلاميةِ ،وهو إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أعطى لآلِ البيتِ عليهم السـلام هذه المرتبةَ لتكتمـلَ بها دلالةَ النبيّ صلى الله عليه وآله وسـلم التي مرّتْ في العبارةِ السـابقةِ . ولعلّ هذه المرتبةَ هي مرتبةُ الإمامةِ التي جـاءتْ من اللهِ تعـالى لتعاضدَ النبوّةَ،وإذا اسـتحضرنا دلالة (الإمـام) في اللغةِ ، وهـو خيـطُ البناءِ الذي يُبنى عليه سـافُ البناء[١] ، أدركنا اسـتقامةَ النهجِ الذي يمثّله الآلُ في قولِ الإمامِ عليه السـلام.

(فَصَـلِّ عَـلى مُحَمَّـدٍ وَآلِهِ،وَاجْعَلِ القُرْآنَ وَسِـيلَةً لَنـا إلى أَشْرَفِ مَنـازِلَ الكَرامَةِ وَسُـلَّماً نَعْرُجُ فيـهِ إلى مَحَلِّ السَّـلامَةِ):

فالقرآنُ يكونُ وسـيلةً لوصولِ المسـلمِ إلى أشرفِ منازلِ الكرامةِ عند اللهِ تعالى ، وعلى الرغمِ من أنَّ الإمامَ عليه السلام يدعو في سياقِ الآخرةِ ،وهذا هو منهجُ أهلِ البيتِ عليهم السلام ، فإنَّ الدنيا يمكنُ أنْ تكونَ مصداقاً لعبارةِ الدعاءَ، إذْ يدعو اللهَ أنْ يتحقّقَ له ذلك في الدنيا ،وهذا واردٌ في قوله تعالى: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[٢].

ويدعو عليه السلام أنْ يكونَ القرآنُ سُلّماً يصعدون بوساطتهِ إلى محلِّ السلامةِ، فالإنسـانُ في خطرٍ دائمٍ إنْ لم يجدْ سـبيلاً إلى الصعودِ في المراتبِ حتى يرقى إلى محلِّ السَّلامةِ، ولا سبيل إلى ذلك إلّا القرآن والمعصومين عليهم السلام.

١- يُنظر: لسان العرب(أمم).

٢- آل عمران ١٤٨.

(وَسَبَبَاً نُجْزى بِهِ النَّجاةَ في عَرْصَةِ القِيامَة)،ولا بأس من معرفةِ دلالةِ (السبب) اللغوية ،جـاء في المعجم العربي[١]:

١.السببُ : السَّببُ كلُّ حَبْل حَدَرْتَه مِنْ فَوْقُ.

٢.السّببُ:الحبلُ القويُّ الطويلُ.

٣.السّـببُ: الحبـلُ الذي يُتوصّـلُ به إلى الماء. لَا يُسَـمَّى الحبلُ سَـبَبًا حَتَّى يكونَ طَرَفُه مُعَلَّقاً بالسَّـقْفِ أَو نحوِه.

فالقـرآنُ حبـلٌ قويٌّ متينٌ نتمسّـك به، وهو نـازلٌ إلينا من عـالٍ لنتوصّلَ به إلى السّلامةِ ، وعلى وفقِ المعنى الرابعِ يكونُ طرفُ الحبلِ معلّقاً بالسّلامةِ التي ترتفعُ عنا ،وكأنَّ السّلامةَ والخطورةَ موجودتان في عرصةِ القيامةِ التي تضطربُ فيها الأحـوالِ لهـولِ ذلك اليومِ ، وهـذا المعنى ــ أعني اضطرابَ الأحـوالِ ــ يحقّقهُ واحـدٌ مـن معاني العرصـة ،فيقالُ: عَـرِصَ الـبّرْقُ عَرَصاً واعْـتَرَصَ: اضْطَرَبَ. وَبَرْقٌ عَرِصٌ،وعرّاصٌ: شَـدِيدُ الاِضْطِرَابِ والرعدِ والبرقِ. ويُقَالُ عَرَصَت السماءُ تَعْرِصُ عَرْصاً أَي دامَ برْقُها[٢]،وهذه الدلالاتُ تتوافقُ مع ما معروفٌ من القرآنِ والأحاديـثِ الشريفة عن أهوالِ يـوم القيامةِ.

(وَذَرِيعَةً نَقْدُمُ بِها عَلى نَعيمِ دارِ المُقامَة) :

والذريعـةُ : الوسـيلةُ التي يتوسّـلُ بها الإنسـانُ كي يقدمَ على نعيـمِ الدار التي يسـتوطنها ويقيم فيها خالداً.

المقطع(٧):

((اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاحْطُطْ بِالقُرآنِ عَنَّا ثِقْلَ الأَوْزارِ، وَهَبْ لَنا حُسْـن

١- يُنظر: لسان العرب (سبب).

٢- يُنظر: تاج العروس(عرص).

شَمائِلِ الأَبرارِ، وَاقْفُ بِنا آثارَ الَّذين قامُوا لَكَ بِهِ آناءَ اللَّيْلِ وَأَطْرافَ النَّهارِ، حَتّى تُطَهِّرَنا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ بِتَطْهِيرِهِ وَتَقْفوَ بِنا آثارَ الَّذِينَ اسْتَضاءُوا بِنُورِهِ، وَلَمْ يُلْهِهِمِ الأَمَلُ عَنِ العَمَلِ فَيَقْطَعَهُمْ بِخُدَعِ غُرُورِهِ))[١].

بعد الصلاةِ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ، يدعو الإمامُ عليه السلام بـ(احططْ بالقرآنِ عنّا ثقلَ الأوزار) فاحططْ[٢] : أيْ خفِّفَ عَنْ ظَهوْرِنا بالقرآنِ مَا أَثْقَلَها مِنَ الوِزْر،ولعلّ ابنَ منظور كان ينظر إلى دعاءِ الإمام عليه السلام فقال: ((وحطَّ اللهُ عَنْهُ وِزْرَه ،وضعهُ مَثَلٌ بذلك))[٣].

وقولُهُ : (وهبْ لنا حسنَ شمائلِ الأبرار)،فـ(هَبْ) فعلُ دعاءٍ،بأنْ يمنحهم الله تعالى حسنَ أخلاقِ الأبرارِ،والأبرارُ: جَمْعُ البَرّ ، وَهُوَ كَثِيرًا مَا يُخَصُّ بالأَولياء، والزُّهَّاد والعُبَّادِ،لأنّ لهؤلاءِ مرتبةً عاليةً عند اللهِ تعالى[٤]. وهنا نقولُ أنَّ الإمامَ عليه السلام نظرَ إلى قولِ جدّه رسولِ اللهِ صلى الله عليه السلام : ((الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ))[٥].

(وَاقْفُ بِنا آثارَ الَّذين قامُوا لَكَ بِهِ آناءَ اللَّيْلِ وَأَطْرافَ النَّهارِ).

يسألُ الإمامُ عليه السلام اللهَ تعالى هنا أنْ يتّبع بهم آثار من قاموا بالقرآنِ ،وجعل الاتّباعَ بيدِ اللهِ تعالى ، فهو الذي يقودهم إلى اتّباعِ المشارِ إليهم ،وخصَّ عليه السلام وقتَ القيام بالقرآنِ بـ(آناء الليلِ وأطرافَ النهار)،لأنّ هذين الوقتين

١- يُنظر:

٢- ذكر السيد محمد الشيرازي في شرحه ١/ ٢٩١ أنَّ (احطط)فعلُ أمر ، وهو هكذا ولكنّه خرج للدعاءْ ،فيقال : فعل دعاء تأدّباً مع الله تعالى. يُنظر: شرح الشافية ١/ ١٣٧،قواعد الإعراب ٥٠.

٣- لسان العرب : (حطط)،ونضيف هنا إنَّ ابن منظور استشهد بأحاديث الإمام علي بن الحسين عليه السلام في لسان العرب في مواطن كثيرة ، ينظر مثالاً لا حصراً المواد (برطب)،(برك)،(بري) .

٤- يُنظر: لسان العرب(برر).

٥- النهاية في غريب الحديث٤/ ٣٧٤،كنز العمال١/ ٥١١، شرح أصول الكافي ١١/ ٢٤.

أمر الله تعالى أنْ يُسبّحَ بهما في قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾[1]، ومن هنا تأتي الأهميةُ العقديّةِ لهذين الزمنين ،فهل هما وقت الصلوات الخمس اليوميةِ كما ذهب إلى ذلك بعضُ المفسّرين؟،أم هما مطلق التسبيح المعهود؟[2]،ومهما يكن من أمرٍ فإنَّ من المقبولِ الجمعَ بين الآراءِ، فيكون دعاءُ الإمامِ عليه السلام مستوعباً لدلالةِ الزمن بأبعادِها كلّها.

(حَتّى تُطَهِّرَنا مِنْ كُلِّ دَنَسٍ بِتَطْهِيرِهِ)،التطهّرُ : التنزّهُ ، والكفُ عن الإثمِ ،وما لا يجملُ[3]،فالقرآنُ يُطهّرُ الأدناسَ ،(والدّنسُ : لطْخُ الْوَسَخِ وَنَحْوِهِ حتى في الأخلاقَ)[4] ويكفُّ عن الإثمِ ، ويُبعدُ المسلمَ عن فعلِ كلِّ ما يشينُهُ . واستناداً إلى هذه الدلالاتِ يكونُ تطهيرُ القرآنِ للدنسِ دينيّاً واجتماعيّاً ،وبهذا يتعاضدُ هذان الجانبان لتقويمِ سلوكِ المسلمِ من خلالِ القرآنِ الكريمِ ، ليسيرَ على وفقِ ما يُريدهُ الله تعالى ، ويجسّدهُ القرآنُ.

ولكن ربَّ معترضٍ يقولُ : كيف أُتيح لنا أن نمزجَ بين ما هو دينيّ وما هو اجتماعيّ في قضيّة تطهيرِ الدّنسِ التي دعا بها الإمامُ في هذا المقطعِ ؟ وهنا نُجيبُ بالآتي: إنَّ التطهيرَ الاجتماعي يرتبطُ بالأخلاقِ التي يبنيها المجتمعُ لحمايةِ أبنائهِ ، وتنزيههم عمّا يشينهم ، وهذا أمرٌ يرضاهُ الله تعالى لأنّه يتوافقُ مع العقيدةِ الإسلاميّةِ ، إذْ أنَّ الأخلاق بُنيتْ على ما أمرَ به الإسلامُ ، وهنا يتحقّقُ المزجُ بين ما هو اجتماعيّ ودينيٌّ في آنٍ معاً .

١- طه ١٣٠.

٢- بسط السيد الطباطبائي في الميزان١٤/٢٢٦ وما بعدها تفاصيل الآراء التي قيلتْ في (آناء الليل وأطراف النهار) عند تفسير الآيةِ المشار إليها.

٣- يُنظر: لسان العرب(طهر).

٤- يُنظر: م . ن (دنس).

(وَتَقْفوَ بِنا آثارَ الَّذِينَ اسْـتَضاءُوا بِنُورِهِ، وَلَـمْ يُلْهِهِمِ الأَمَلُ عَنِ العَمَلِ فَيَقْطَعَهُمْ بِخُدَعِ غُرُورِه):

والفعلُ (تقفو) يعطينا الدلالاتِ الآتيةَ من المعجم[١]:

١.يَقْفُو ويَقُوفُ ويَقْتافُ أَي يَتَتَبَّع الأَثر،وقَفَوْتُ فُلاناً: اتَّبَعْت أَثَرَه.

٢. قَفَا أَثَرَه أَي تَبِعَه.

فالإمامُ عليه السـلام ـــ على وفقِ المعنين السـابقين يدعو أنْ يتتبّعَ آثارَ من سبقهُ مـن الذيـن جعلوا القـرآنَ نوراً يهتـدون بهديهِ،والعمـلُ بما أمرَ به،ولا شـكَّ أنَّ التتبّعَ يستلزمُ المتابعةَ في كلِّ ما أُثرَ عنهم ، لأنّهم سبقوا إلى ذلك ،وهؤلاء همُ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم والإمامُ عليّ من بعده، فهو الذي عنده علم الكتاب ـ كما في قوله تعـالى : ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلاً قُلْ كَفَى بِاللهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[٢]،كمـا أخـبر بهذا الإمامُ الصادق ـ عليهم السـلام ـ[٣].

وما عند أميرِ المؤمنين عند الحسـن الحسين عليهما السلام.

وهؤلاءِ لم يُلههمُ الأملُ عن العملِ ، واللَّهْوُ: اللَّعِب , والتَشـاغَلُ والغَفْلَةُ والسـلوُّ وتـركُ الذكرِ[٤]، فطولُ الأملِ بالحياةِ الدنيـا لا تتحقّقُ فيه معاني اللهوِ المذكورةِ ،فيقطعهم اللهوُ المشارُ إليه عن الأعمالِ الباطلةِ،بما بخدعِ غرورهِ،بحيث تُبعدهم عن الأعمالِ الصّالحةِ التي تتجسّـدُ في ما أمرَ به اللهُ تعالى في القرآنِ الكريمِ .

المقطع(٨):

وقولُهُ: ((اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلِ القُرْآنَ لَنا في ظُلَمِ اللَّيالِي مُؤنِساً،وَمِنْ

١- يُنظر: لسان العرب(قفو).

٢- الرعد ٤٣.

٣- يُنظر: بصائر الدرجات ٢/٢١٢.

٤- يُنظر: لسان العرب (لهو).

نَزَغاتِ الشَّـيْطانِ وَخَطَراتِ الوسـاوِسِ حارِسـاً، وَلأَقْدامِنا عَنْ نَقْلِها إِلى المَعاصي حابِسـاً، وَلأَلْسِـنَتِنا عَنِ الخَوْضِ في الباطِلِ مِنْ غَيْرِ ما آفَةٍ مُخْرِسـاً، وَلِجوارِحِنا عَـنِ اقْتِرافِ الآثـامِ زاجِراً وَلِما طَوَتِ الغَفْلَةُ عَنَّا مِنْ تَصَفُّـحِ الاعْتِبارِ ناشِراً، حَتّى تُوصِـلَ إِلى قُلُوبِنا،فَهْمَ عَجائِبِهِ، وَزَواجِرَ أَمْثالِهِ الَّتِي ضَعُفَتِ الجِبالُ الرَّواسي عَلى صَلابَتِها عَنِ احْتِمالِهِ))[1].

(واجعـلِ القـرآنَ لنا في ظلُمِ الليالي مؤنسـا)،فكيف يكونُ القرآنُ مؤنسـاً في ظلمِ الليـالي ؟ ،ونُجيـبُ هنا : إنَّ الظـلامَ هنا ظلامٌ معنوي ،وقد يعنـي ظلامَ الحَيرةِ والضلالـةِ الـذي يعيشُ من يكون حالُـهُ هكذا بالقلقِ والوحشـةِ والغُربةِ ، وهنا يكونُ القرآنُ مؤنساً لمن يجعلهُ الله مُعيناً له لتجاوزَ ما هو فيه من محنةِ الضلالةِ.

وتمدّنـا اللغـةُ بـدلالاتٍ أخرى لظلـمِ الليالي ، او للظـلامِ الواقـعِ في الليالي ، فقد يُقـالُ: أَمْـرٌ مُظْلِـم: لَا يُدرَى مِـنْ أَينَ يُؤْتَى لَـهُ؛ أَمرٌ مِظْلامٌ وَيَـوْمٌ مِظْلامٌ فِي هَذَا الْمَعْنَى،وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلْيَوْمِ الَّذِي تَلقَى فِيهِ شِـدَّةً يومٌ مُظلِمٌ، حَتَّى إِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ يومٌ ذُو كَواكِبَ أَي اشتَدّت ظُلْمته حَتَّى صَارَ كَاللَّيْلِ[2]، وهذه المعاني كلّها يمكنُ أنْ تكـون مصداقـاً لما يُريدهُ الإمامُ عليه السـلام في هذا الجزء من الدّعاء.

(وَمِنْ نَزَغاتِ الشَّيْطانِ وَخَطَراتِ الوساوِسِ حارِساً):

وهنا نأخذ دلالةَ النزغاتِ من المعجمِ ، فنقف فيه على المعاني الآتية:

١. النَّزْغُ: أَن تَنْزِغَ بَيْنَ قَوْمٍ فتَحْمِلَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ بفسادٍ بَيْنَهُمْ.

٢. النزْغُ: الْكَلَامُ الَّذِي يُغْرِي بَيْنَ النَّاسِ.

٣. نَزَغَه: حرَّكه أَدنى حَرَكَةٍ.

فهذه المعاني تكشفُ لنا عمقَ الخطرِ الذي يُحيطُ بالحياةِ الاجتماعيةِ للإنسانِ،فقد

١- الصحيفة الكاملة السجادية

٢- يُنظر: لسان العرب (ظلم).

يقومُ بعضُ الناسِ بإغراءِ غيرهم ببعضهم وإفسادهم وحملِ بعضهم على بعض بالفعـلِ (المعنى١) أو بالكلامِ (المعنى٢) ، وبجهدٍ قليلٍ وبأدنى حركةٍ(المعنى٣). وهذا كلّه من الوجهِ الأوّلِ لنزغاتِ الشّيطانِ .

أمّـا الوجـهُ الثانـي لنزغـاتِ الشـيطانِ فهو خطراتُ الوسـاوسِ التـي وردتْ في العبارةِ، فالوَسْوَسَـةُ،هِيَ حَدِيـثُ النَّفْسِ والأَفْكَارُ، وحَدِيثُ الشَّـيْطَانِ بِمَا لَا نَفْعَ فِيهِ وَلَا خَيْرَ، وهنا تجتمعُ نزغاتُ الشّـيطانِ ووساوسُـهُ،ولا سـلامةَ للإنسانِ إلّا بحراسـةِ القـرآنِ لـه من خلالِ التمسّـكِ بقراءتهِ وتدبّـرِ معانيهِ ،وهذا ما أشـار إليه القرآنُ في قولهِ تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١] ،فـإذا كان الإنسـانُ على هذا النحـوِ صار من أولئك الذين وصفهم أميرُ المؤمنين عليه السـلام بقولهِ: ((وَلَمْ تَرْمِ الشُّـكُوكُ بَنَوازِغِها عَزِيمةَ إِيمانِهم))[٢]، وخطرات الوسـاوسِ تعني: وسـاوسَ الشـيطانِ ((ونَخْسُـه فِي الْقَلْبِ بِمَا يُسَوِّلُ للإنسـان مِـن المَعاصي، يَعْنِي يُلْقِـي فِي قَلْبِهِ مَا يُفْسِـدُه))[٣].وهنا يكـونُ القرآنُ حارسـاً من هذه النزغاتِ الذي يحرّكها الشـيطانُ بوجهَيها.

(ولأقدامِنـا عـن نقلِها إلى المعاصي حابسا،ولألسـنتِنا عن الخـوضِ في الباطلِ من غيرِ ما آفةٍ مُخرسا):

فالقـرآنُ يكـونُ حابسـاً للإنسـانِ مـن أنْ ينقلَ قدمَـهُ إلى المعـاصي ،إذْ غالباً ما يرتكبُ الإنسـانُ المعصيةَ بالذهابِ إليها بقدمهِ كالسّرقةِ مثلاً ، بيدَ أنَّ نقلَ القدمِ هنا قد يعني خطوةً واحدةً ، وبهذا قد يرتكبُ الإنسانُ المعصيةَ في بيتهِ ، ومن هنا تؤدّي الكنايةُ مهمّتها في توسـيعِ دلالةِ نقـلِ القدمِ وتضييقها على وفقِ ما يحقّقُ المعنى الذي يُشـيرُ إليه الإمامُ في هذه العبارةِ .

١- الأعراف ٢٠٠.

٢- النهاية في غريب الحديث ٥/٤٢،لسان العرب(نزغ).

٣- لسان العرب (نزغ).

وفي الوقتِ نفسهِ يكونُ القرآنُ مُسكتاً لألسنتنا من أنْ تخوضَ في الباطلِ ،والخوضُ في الكلامِ : ما فيه الكذبُ والباطلُ ، ولكنَّ سكوتَ الألسنة الذي يدعو بهِ الإمامُ عليه السلام لا يكونُ عن آفةٍ كآفةِ العِيِّ التي تجعلُ الإنسانَ أخرسَ.

(وَلِجوارِحِنا عَنِ اقْتِرافِ الآثامِ زاجِراً):

وهنا يكونُ القرآنُ زاجراً،والزّجرُ : (المَنْعُ والنهيُ والانْتِهارُ) لجوارحنا كلّها من ارتكابِ الآثام ، و((جَوارِحُ الإنسان: أَعضاؤُه وعَواملُ جَسَدِهِ كَيَدَيْهِ وَرِجَلَيْهِ، وَاحِدَتُهَا جَارِحَةٌ. لأَنهن يَجْرَحْن الْخَيْرَ وَالشَّرَّ أَي يَكْسِبْنَهُ))[1]. فالقرآنُ يكون مانعاً وناهياً عن ذلك كلّه.

صحيح أنَّ عملَ الخيرِ وعملَ الشّرِّ مُرتبطٌ بعقلِ الإنسانِ ونفسهِ التي تأمرُه بهذا الأمرِ أو ذاك ،إلّا إنَّ المنفذَ لذلك جوارحَ الإنسان ، ومن هنا صارتْ الجوارحِ عنواناً من عناوينِ الخيرِ أو الشّرِّ ، وهذا ما جلّاه قولُ الإمامِ عليه السلام .

(ولما طوتِ الغفلةُ عنّا من تصفّح الاعتبارِ ناشراً، حتى توصلَ إلى قلوبنا فهمَ عجائبه، وزواجرَ أمثاله التي ضعفتْ الجبالُ الرواسي على صلابتها عن احتمالهِ).

إنَّ قراءةَ القرآنِ بتدبّرٍ تتُيحُ للقارئ أنْ يَتّعِظُ بما يقرأ ويَعمَلُ بهِ ويَعتبِر لِيَسْتَدِلَّ بِما يقرأ عَلَى ما يحتاجُ إليه في حياتهِ، ويتحقّقُ ذلك إذا لم تكنْ الغفلةُ قد طوتْ ما يعتبرُ به الإنسانُ،فالقرآنُ سيكون ناشراً لصفحاتِ الاعتبارِ المشار إليه.

والإنسانُ يفعلُ هذا كلِّه حتى يصلَ إلى قلبهِ فهمُ عجائبِ القرآنِ التي لا تنتهي كما وصفهُ أميرُ المؤمنين عليه السلام بقوله: ((لا تفنى عجائبُهُ ،ولا تنقضي غرائبُهُ))[2]،وفي هذا الجزءِ استدعى عليٌّ بنُ الحسين عليه السلام كلام جدّهِ ليعلّمَ المسلمين سبلَ وصول عجائبِ القرآن إلى قلوبهم.

١- يُنظر:

٢- نهج البلاغة ١/٥٥.

ويلتفتُ الإمامُ عليه السلام إلى عظمةِ القرآنِ وثقلِه كما قال الله تعالى:﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾[1]،فيدعو أنْ تصلَ زواجرُ أمثالِه إلى قلوبنا ، على الرغم من استثقالِه واستصعابِ حملِه كما قال تعالى في بيانِ ذلك: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُّتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وكلامُ الإمامِ السابقِ يرتبطُ بيانِ هذه الآيةِ وهو مسوقٌ سوق المثلِ مبنيٌّ على التخييل ،والمرادُ تعظيمُ أمرِ القرآنِ بما يشتمل عليه من حقائقِ المعارفِ وأصولِ الشرائع و العبر والمواعظ[3].

المقطع(٩):

((اللهم صلِّ على محمّدٍ وآله، وأدم بالقرآنِ صلاحَ ظاهرِنا، واحجبْ به خطراتِ الوساوسِ عن صحّةِ ضمائرِنا، واغسلْ بهِ دَرَنَ قلوبِنا وعلائقَ أوزارِنا، واجمعْ به منتشرَ أمورِنا، وأرِ به في موقفِ العرضِ عليك ظمأَ هواجرِنا، واكسُنا به حللَ الأمانِ يومَ الفزعِ الأكبرِ في نشورِنا))[4].

يدعو الإمامُ عليه السلام أنْ يُديمَ اللهُ تعالى صلاحَ ظاهرِنا ، وصلاحُ الظاهرِ هو ما يراهُ الناسُ صالحاً غير فاسدٍ، وفي الغالبِ إذا كان الظاهرُ صالحاً يكون الباطنُ صالحاً ، فإنْ لم يكن ذلك صار الإنسانُ منافقاً ، وبهذا تظهرُ أهميّةُ هذا الصلاحُ الذي أرادهُ الإمامُ عليه السلام من خلالِ تثبيتِ القرآنِ لذلك كلّه.

(واحجبْ به خطراتِ الوساوسِ عن صحّةِ ضمائرِنا):

فالضميرُ : ما يضمرُه الإنسانُ في قلبِه ، وهو يولدُ مع الإنسانِ نقيّاً صحيحاً

١- المزّمل ٥.

٢- الحشر ٢١.

٣- يُنظر: تفسير الميزان ١٩/٢٢٢.

٤- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٦.

غيرَ ملوّثٍ، فيأتي دعاءُ الإمامِ أنْ يضعَ اللهُ تعالى ستاراً حاجباً يحولُ بين صحّةِ الضميرِ وبين ما يخطرُ ببالهِ من وساوس ، وشكوكٍ وريبةٍ ، وهذا ما نهى عنه أميرُ المؤمنين عليه السلام بقوله: ((لا ترتابوا فتشكّوا،ولا تشكّوا فتكفروا))[1].

(واغسلْ بهِ دَرَنَ قلوبِنا وعلائقَ أوزارِنا):

فغسلُ درنِ القلوبِ : يعني إزالةَ ما يعلقُ بها من الأوساخِ ،ووسخُ القلوبِ يعني ما يعلقُ بها من الشكِّ والارتيابِ وعدمِ الاطمئنانِ والشّبهةِ ،ولعلَّ قسوةَ القلوبِ هي من الدرنِ المشار إليه لأنّها تعني: ذَهاب اللِّين وَالرَّحْمَةِ وَالْخُشُوعِ ،وبهذا يكونُ الدرنُ مرضاً اجتماعيّاً وعقديّاً في الوقتِ نفسهِ ،ومن هنا تكون نظافةُ القلوبِ ركيزةً للمسلمِ على وفقِ ما ارادهُ الإمامُ عليه السلام .

أما علائقُ الأوزار ،فالمرادُ أنَّ الإنسانَ لا يخلو من أوزار تنشبُ فيها الآثامُ ،وتثبتُ فيها ، فالدعاءُ هنا يومئ إلى أنَّ القرآنِ يزيلُ ثباتَ العلائقِ بالأوزارِ من خلالِ عرضِ الإنسان لنفسه على ما قرأ من القرآنِ .

(واجمعْ به منتشرَ أمورِنا):

منتشرُ الأمورِ: ما تفرّق منها، وفُرقةُ القلوبِ غالباً ما تُفضي إلى العداءِ والتنافرِ والتحاسدِ والتباغضِ والصراعِ ،وهنا ينشغلُ الإنسانُ بهذا كلّه ويُبعدُ عما يأمرُ به القرآنُ الكريم.

(وأرِ بهِ في موقفِ العرضِ عليك ظمأَ هواجرِنا)،فالإنسانُ في حرِّ الهاجرةِ بحاجةٍ إلى ما يروي به عطشَهُ في يومهِ في الحياةِ الدنيا ، والهاجرَةُ إنّما تكون فِي القَيْظ وَهِي قَبْلَ الظُّهرِ بِقَلِيل وبَعدَه بِقَلِيل، أيْ من حِين تَزُول الشمسُ، أَو شِدَّةُ الحَرِّ فِي كلّ ذَلِك[2]، فكيف إذا كانَ اليومُ هو يومُ العرضِ على اللهِ

١- يُنظر: الكافي ١/ ٤٥ ،ولم أقف على القولِ في نهج البلاغة.

٢- يُنظر: لسان العرب (هجر).

تعالى؟،والعـرضُ على اللهِ تعالى هو ما وصفه القرآن بقوله: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِداً﴾[١]،ولعـلَّ المعنى الاجمالي لما يُريدهُ الإمامُ عليه السلام بيوم العرضِ مطابقٌ لما ورد في الآيةِ الكريمـةِ ،فقـد ورد في تفسـيرها : ((تُرى جماعتهم كما يُـرى كلٌّ واحدٍ منهم، لا يحجبُ أحدٌ أحداً))[٢].

والتفـتَ الزمخـشري إلى دلالةٍ أخذها من الواقعِ المشـاهدِ ليقـرّبَ المعنى ، فقال: ((وشُـبّهتْ حالُهـم بحـالِ الجنـدِ المعروضين على السـلطان مصطفين ظاهرين))[٣].

(واكسُـنا بـه حللَ الأمـانِ يومَ الفزعِ الأكبرِ في نشـورِنا): فالحلّـةُ: كلُّ ثوبٍ جيّدٍ جديـدٍ غَليظٍ أَو رَقيقٍ يلبسـهُ الإنسـانُ . وَلَا تكونُ حُلَّةً إلّا مـن ثَوْبَيْن مِن جِنْسٍ واحـدٍ، لأنّ كلَّ واحـدٍ من الثَّوبَيْن يَحُلُّ على الآخَرِ ، أَو لأنّها مِن ثَوبين جَديدَيْن[٤].

ويلاحـظُ هنـا أنَّ هذا المعنى يُكـرّسُ الجمالَ الـذي يتجلّى في (الحلّـةِ) ، والأمانُ يحمـلُ في ذاتـهِ معنى جماليّاً ولو من بعيد ،لأنّه ضدُّ الخوفِ ،والشـعورُ بالأمانِ والاطمئنـان يكسـبُ النفسَ مـا يُمكنّها من رؤيةِ الأشـياء جميلـةً ،فتأتي الحللُ فتجلّلـه بجمالهـا، وهـذا كلّه إذا تحقّقَ يـوم الفزعِ الأكبرِ ،يكـون مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٥]. والفـزعُ الأكـبرُ : هـو الخوفُ الشّـديدُ الـذي لا يُقاربُهُ خوفٌ يـوم القيامةِ ،هذا فضلاً عن أنّه قد يكونُ مُجسَّـداً في قولِه تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ

١- الكهف٤٨.

٢- التفسير الصافي ٣/٢٤٥.

٣- الكشاف ٢/٧٢٦. وينظر أيضاً : رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ٤٦٥.

٤- يُنظر: لسان العرب (حلل).

٥-الأنبياء١٠٣.

مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾[1]،لأنّه يشملُ السماواتِ والأرضَ ومن فيهما، لأنّهم يُسرعون إلى المحشرِ والوقوفِ بين يدي اللهِ عزَّ وجلَّ.

المقطع(١٠):

((اللهمَّ صلِّ على محمّدٍ وآلِه، واجبر بالقرانِ خلّتنا من عدمِ الإملاقِ، وسُقْ إلينا به رغدَ العيشِ وخصبَ سعةِ الأرزاقِ، وجنّبنا به الضرائبَ المذمومةَ ومداني الأخلاقِ، واعصمنا به من هوّةِ الكفرِ ودواعي النّفاقِ حتى يكونَ لنا في القيامةِ إلى رضوانكَ وجنانكَ قائداً، ولنا في الدنيا عن سخطِكَ وتعدّي حدودِك ذائداً، ولما عندك بتحليلِ حلالِه وتحريمِ حرامِه شاهدا))[2].

(واجبر بالقرانِ خلّتنا من عدمِ الإملاقِ):

فالجبرُ في اللغةِ يؤدّي المعاني الآتيةَ كما في الاستعمالِ الاجتماعيّ:

١. تجَبَّرَ النَّبْتُ و (الشَّجَرُ: اخْضَرَّ وأَوْرَقَ) ، وظَهَرَتْ فِيهِ المَشْرَةُ وَهُوَ يابِسٌ، نَبَتَ بعد الأَكل.

٢. تجبّر المريضُ: صلح حالُهُ.

٣. تَجَبَّرَ فلانٌ: إذا عادَ إليه مِن مَاله بعضُ مَا ذَهَب.

٤. جبرُ العظمِ المنكسرِ: وهوَ إصلاحُه وعِلاجُه حَتَّى يَبْرَأَ، وَهُوَ عامٌّ في كلّ شيءٍ.

ومن هذه المعاني تعودُ الحياةُ لمن أصابهُ الفقرُ والحاجةُ (الخلّة)، ويصلحُ حالُهُ ، ويعود إليه بعض ما فقده في عوزِه ،وإذا أخذنا بدلالةِ المعنى الرابعِ ، فالقرآنُ يجبرُ الفقرَ ، ومن هنا يُقالُ : جَبَرْتُ الفقيرَ، إذا أَغْنَيْتَهَ؛ لأنه شَبَّه فَقْرَه

١-النمل٨٧. ويُنظر : رياض السالكين ٤٦٥.

٢- الصحيفة الكاملة السجادية

بانكسارِ عَظْمِه، وغِنَاه بجَبْره، ولذلك قيل لَهُ: فَقِيرٌ؛ كأَنه قد فُقِرَ ظَهْرُه، أَي كُسِرَ فَقارُه ،وبهذا يُمثّلُ قولُ الإمامِ عليه السلام ويستوعبُ الدلالاتِ الآنفةِ كلّها.

وهذا التأويلِ من أسرارِ أسلوبِ الإمامِ عليه السلامِ فهو ينتقي ــ كما أشرنا غير مرّةٍ ــ من الألفاظِ ما يكون قادراً على الذهاب بعيداً في المعاني بعد انْ تأتلفَ كلٌّ لفظةٍ مع أخواتها في السياقِ.

(وسُقْ إلينا به رغدَ العيشِ وخصبَ سعةِ الأرزاقِ):

السّوقُ من سوقِ الإبلِ والغنمِ والأنعامِ عامّةً،وهنا يُستعملُ بدلالةِ العيشِ الرغيدِ الواسعِ الطيّبِ الغزيرِ ، لأنَّ هذا مُرتبطٌ بالحياةِ العربيةِ التي يرتبطُ العيشُ الفارهُ بالأنعامِ ، ثمَّ انتقل المعنى في قولِ الإمامِ عليه السلام إلى الدلالةِ المطلقةِ غيرِ المقيّدةِ بالأنعامِ ، وينتجُ عنها خصبُ سعةِ الأرزاقِ أيْ العيشِ الفارهِ المنعّمِ الكثيرِ.

(وجنّبنا به الضرائبَ المذمومةَ ومداني الأخلاقِ) :

أي نجّنا وأبعِدنا عن السّجايا والخصالِ والطبائعِ المذمومةِ التي لا تتوافق مع ما يريدهُ الله تعالى منها ، وما يتوافقُ مع الأعرافِ التي تتوافقُ مع الخلقِ الإسلامي العالي ، الذي لا ينحدرُ إلى الأخلاقِ الدنيئةِ . وهنا يجعلُ الإمامُ عليه السلام الأخلاقَ ركناً رئيساً من أركانِ بناءِ الشخصيّةِ الإسلاميةِ ــ كما ألمحنا إلى ذلك في موضعٍ سابقٍ ــ، ومن هنا أيضاً فإنَّ روحَ الأخلاقِ الحميدةِ والآدابِ الحسنةِ التي تُستمالُ بها العبادُ منتشرةٌ في العباداتِ التي فرضها الله تعالى على عبادِه،ولا تخلو فريضةٌ من الفرائضِ من حشدٍ هائلٍ من الأخلاقِ المشارِ إليها،لتتوحّد بذلك الأخلاقُ والعباداتُ فتنتج لنا منظومةً تجمعُ بل تمزجُ الأخلاقَ الحميدةَ بالدينِ .

(واعصمنا به من هوّةِ الكفرِ ودواعي النّفاقِ):

أيْ أمسكنا بالقرآنِ من الوقوعِ في حفرةِ الكفرِ التي تعترضُ طريقَ الكافرين ،

والعصمـةُ هنا تؤدّي المعنى اللغوي أولاً ،لأنَّها تعني الحبلَ الذي يتمسـكُ به من يريد أنْ يُنقذَ نفسه على وفقِ المعنى الذي يؤدّيه السّياقُ[١]،أمّا النّفاقُ فهو إظهار الإيمـان باللسـانِ ، وإخفاء الكفرِ بالقلبِ[٢] ، والعصمـةُ من دواعي النفاقِ ،وهنا تعنـي أنَّ القـرآنَ يعصمُ المسـلمَ ممّا يقهرُهُ على النفاقِ ، وهـي الدواعي التي قد تجبرُ الإنسانَ على إظهارِ غير ما يُضمرُ ، وهذا يدخلُ ذلك في الدين ،كما يدخلُ في الحياةِ العامةِ .

(حتـى يكونَ لنا في القيامةِ إلى رضوانـكَ وجنانكَ قائداً)، فالقائد هو الذي يكونُ مقدّمـا ويتـولّى توجيهَ من يقودهُ إلى حيثُ يريدُ هـو (أي القائد) ،فالقرآنُ يكونُ قائـداً في يـومِ القيامةِ إلى رضوانِ اللهِ تعالى أوّلاً وإلى الجنانِ ثانياً ، وتقديمُ رضا اللـهِ تعالى هو منهـجٌ قرآني في قوله تعالى : ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾[٣]،وفي قولـه جـلَّ شـأنُه : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٤].

(ولنا في الدنيا عن سخطِكَ وتعدّي حدودِك ذائداً):

الذائدُ: الذي يمنعُ المسـلمَ ويُبعدهُ عن غضبِ اللهِ وتعدّي حدودهِ التي أمر الخلقَ بعدمِ التقرّبِ إليها ،لأنَّ ذلك يُفضي إلى سخطِ اللهِ تعالى، فعلى الإنسانِ أنْ يتحرز مـن ذلـك ،ويجعل لـه وقايةً تقيه من ذلـك ، والقرآنُ كفيلٌ بتحقيـقِ ما يريد إن جعله ذائداً له.

(ولما عندك بتحليلِ حلالهِ وتحريمِ حرامهِ شاهدا)) :

١- يُنظر: لسان العرب (عصم).
٢- يُنظر: تاج العروس(نفق).
٣- التوبة ٢١.
٤- التوبة ٧٢.

فالقرآنُ يكونُ شـاهداً وهُوَ العالِمُ الّذي يُبَيِّنُ مَا عَلِمَه بين يدي اللهِ تعالى ، بأنَّ المشـهودَ له وقف عند ما حرّم اللهُ وعمل بما حللّ له ، وهذه الشـهادةُ كافيةٌ لأنْ ينـال اللـهُ برحمتهِ من شـهد له القرآن على وفقِ دعاء الإمامِ عليه السـلام في هذا الجزءِ.

المقطع(١١):

((اللّهُـمَّ صَـلِّ عَـلى مُحَمَّـدٍ وَآلِهِ، وَهَـوِّنْ بِالقُرآنِ عِنْـدَ المَوْتِ عَلى أنْفُسِـنا كَرْبَ السِّـياقِ وَجَهْدَ الأَنـينِ، وَتَرادُفَ الحَشـارِجِ إذا بَلَغَتِ النُّفُـوسُ التَراقِيَ وَقيلَ مَنْ راقٍ؟ وَتَجَـلّى مَلَـكُ المَـوْتِ لِقَبْضِهـا مِنْ حُجُبِ الغُيُـوبِ وَرَماها عَنْ قَـوْسِ المَنايا بِأَسْـهُمِ وَحْشَةِ الفِراقِ وَدَافَ لَها مِنْ ذُعافِ المَوْتِ كَأساً مَسْمُوْمَةَ المَذاقِ،وَدَنا مِنَّا إلَى الآخِرَةِ رَحيلٌ وَانْطِلاقٌ، وَصارَتِ الأعْمالُ قَلائِدَ فِي الأَعْناقِ، وَكانَتِ القُبُوْرُ هِيَ المَـأوى إلى ميقَاتِ يَوْمِ التَّلاقِ))[١].

(وَهَـوِّنْ بِالقُـرآنِ عِنْدَ المَوْتِ عَلى أنْفُسِـنا كَرْبَ السِّـياقِ وَجَهْدَ الأَنينِ): أي سـهّل على نفوسنا عند الموتِ بفضلِ القرآنِ كربَ السّياقِ ، ودلالةُ السّياقُ تتجلّى في قولِ المعجم العربيّ: ساقَ المَريضُ يَسُوقُ سَوْقاً إذا شَرَعَ فِي نَزْعِ الروحِ ،ويُقالُ: رأيْتُ فُلاناً بالّسوْقِ، أَي: بالمَوتِ يُساقُ سَوْقاً[٢].

أما جهد الأنين ، فهو العناءُ الذي يواجههُ الإنسـانِ في نزعِ روحهِ ، وما يُصاحبُ ذلك من التأوّهِ وهو الأنينُ من الوجعِ وما يُعانيه في تلك اللحظاتِ ، حيث يُشاهدُ الحاضرون تلك المعاناةَ ، لتكونَ تلك المشاهدةُ عبرةً لهم ، لأنّهم سيمرّون بها ولو بعد حين.

١- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٧.

٢- يُنظر: لسان العرب(سوق).

(وَتَـرادُفَ الحَشـارِجِ): فالترادفُ يعني التتابعُ ،وهـو مأخوذٌ من الرّديفِ ،وهو الراكـبُ خلـفَ الراكبِ[١] ، ثـم انتقلتْ اللفظةُ لتـؤدّي معنى التتابـعِ في كلِّ شيء ،والحشـارجُ : جمـعُ الحشرجـةُ ، وهـو الغرغـرةُ عندَ المـوتِ وتـردّدُ النفسِ،أي الصوتُ الـذي يُظهرهُ الإنسـانُ عند احتظـارِه[٢].

(إذا بلغـتْ النفـوسُ التراقي ، وقيل : من راق): فالتراقي : جمع التَّرْقُوَةُ ، بالفتْح وَضـم الْقَاف: وهي مُقَـدَّمُ الحَلْقِ فِي أَعْلَى الصَّدْرِ حَيْثُمـا يَتَرَقَّى فِيهِ النَّفَسُ ،وهو خاصّ بالإنْسـان[٣]،

(وَقيلَ مَنْ راقٍ): كأنَّ الإنسـانَ الذي يقتربُ من الموتِ أو إذا حضره الموتُ يقولُ هـذا عـلى وفقِ قولِ الإمام الباقر عليه السـلام[٤]، أو يقولُهُ من يحضرُهُ أيضاً من أهلـهِ ومحبّيـه، وهو اسـتفهامٌ إنـكاريٌّ ، أي يُنكرُ وجودِ من يشـفيهِ ممّا به من حلولِ الموتِ ، وإنْ شـئنا أنْ نقولُ : هو اسـتفهامُ يأسٍ إنْ كان الاسـتفهامُ يخرجُ إلى هـذا الضرب مـن الأغراض[٥]، ،وهو يأسٌ من الشّـفاءِ ،وهذا مأخوذٌ من قوله تعـالى : ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ *وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾[٦].

(وَتَجَلّى مَلَكُ المَوْتِ لِقَبْضِها مِنْ حُجُبِ الغُيُوبِ) :

تجـلّى: ظهـر وبـانَ ، أي إنَّ ملـكَ الموتِ يظهرُ لمن يحـضُرهُ الموتُ، ويـراهُ عياناً:

١- يُنظر: لسان العرب(ردف).

٢- يُنظر: تاج العروس (حشرج).

٣- يُنظر: لسان العرب(رقو).

٤- يُنظر: أمالي الصدوق ٣٨٤.

٥- يخـرج الاسـتفهام إلى أغـراض مجازيـة مثـل : التحقيـق والتقريـر والتحقـير والتعجّب والتوبيـخ ،فهو اسـتفهامٌ لا يـرادُ له جوابٌ.

٦- القيامة ٢٦ ــ ٢٧.

وهـذا هـو وقـتُ المعاينة[١]،أمـا الناسُ الأحيـاءُ فلا يـرَونَ ملكَ المـوتِ في الحياةِ ،لذلـك قـال الإمامُ عليه السـلام بتجلّيهِ من أسـتار الغيوبِ لمن جـاء إليه ليقبضَ روحَـهُ . وهـذا تصويـرٌ لما لا يمكـنُ للإنسـانِ أنْ يتصوّره قبلَ سـاعةِ الفراق.

(وَرَماها عَنْ قَوْسِ المَنايا بِأَسْهُمِ وَحْشَةِ الفِراقِ،وَدَافَ لَها مِنْ ذُعافِ المَوْتِ كَأساً مَسْمُوْمَةَ المَذاقِ):

يعتمدُ الإمامُ عليه السـلام هنا على ما تؤدّيه اللغةُ ببلاغتها في بيانِ وحشـةِ فراقِ الميّتِ لأهلهِ ، أو وحشته هو من فراقِ أهلهِ.

وداف لهـا: معنـاه دافَ الـشيءَ دَوْفاً وأَدافَـه: خلَطه بالماء، وأكثـرُ ما يكون ذلك في الـدواءِ والطيب،والموقـفُ هنا يتطلّبُ دواءً ، فجاء الدواءُ سـمّاً ذعافاً،لأنّ الميّتَ بحاجةٍ إلى دواء،والذّعافُ: فهو السّمُ القاتل الذي يقتلُ سريعاً [٢]،ونسبه إلى الموتِ ،لأنّه الموتُ بعينهِ .

(وَدَنـا مِنَّا إِلَى الآخِرَةِ رَحيلٌ وَانْطِلاقٌ، وَصارَتِ الأَعْمالُ قَلائِدَ فِي الأَعْناقِ، وَكانَتِ القُبُوْرُ هِـيَ المَأْوى إِلى ميقَاتِ يَوْمِ التَّلاقِ):

أي قـرب الرحيلُ إلى الآخرةِ من ألإنسـانِ ، أما الانطـلاقُ في اللغةِ فيعني: الفكاك ، فـكلُّ شيءٍ أطلقتـه فقـد فككته[٣]،ولعل الدلالـةُ الأظهرُ في هـذا الجزء من قولِ الإمامِ عليه السـلام هي أنَّ أجلَ الإنسـانِ في الدنيا كان قيداً له ، فلما حان وقتُ الرحيلُ إلى الآخرةِ ،فكَّ الله تعالى هذا القيدَ ،فانطلقَ الإنسانُ إلى الآخرةِ ،وبعبارةٍ أخرى ، فإنَّ أجلَ الإنسـانِ كان حارسـاً له ومقيّداً ، فإذا جاء الموتُ تخلّى الأجلُ عـن حراسـته، وهـذا يتجلّى في قـولِ أميرِ المؤمنـين عليه السـلام: ((كفى بالأجلِ حارساً))[٤].

١- يُنظر: تفسير القرطبي ١٤٧/٧، شرح أصول الكافي ١٨٠/١٠ .

٢- يُنظر: لسان العرب (ذعف).

٣- يُنظر: تاج العروس (طلق).

٤- مستدرك سفينة البحار٦٢/١.

(وَصارَتِ الأعْمالُ قَلائِدَ فِي الأَعْناقِ):

فالأعمالُ تكون في الأعناقِ كالطوقِ في إحكامها على العنقِ للخلقِ أجمعين ،ولا شكَّ أنَّ أصحابَ الأعمالِ الصالحةِ في الغالبِ تزيدهم جمالاً ، لارتباطِ القلائدِ بالجمال في أغلبِ الأحوالِ ، لأنَّ الكتابَ المعلّقَ في العنقِ يكون ظاهراً كما في قولهِ تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً﴾[1]،والطائر هنا عملُ الإنسانِ ، يقول الطبرسي: ((معناه و ألزمنا كلَّ إنسانٍ عمله من خيرٍ أو شرٍّ في عنقهِ))[2]. وعملُ الخير قلادةٌ في العنقِ جمياة ، وعملٌ الشرِّ قلادةٌ في العنقِ قبيحةٌ.

(وَكانَتِ القُبُوْرُ هِيَ المَأوى إلى ميقَاتِ يَوْمِ التَّلاق):

فالمأوى: كُلُّ مَكانٍ يَأْوِي إِلَيْهِ الشيءُ ليْلاً أَو نَهَاراً،وهكذا القبورُ التي ستكونُ هي المأوى إلى ميقاتِ يوم التلاقِ ، وهو يوم القيامةِ كما في قولهِ تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾[3] ،وهو اليومُ الذي يلتقي فيه أهلُ السماءِ والأرضِ[4]،وهو اليومُ الذي يلتقي فيه الخلقُ أجمعين بين يدي اللهِ تعالى.

المقطع(١٢):

((اللّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَبارِكْ لَنا في حُلُولِ دارِ البِلى، وَطُولِ المُقامَةِ بَيْنَ أَطْباقِ الثَّرى، وَاجْعَلِ القُبُوْرَ بَعْدَ فِراقِ الدُّنْيا خَيْرَ مَنازِلِنا،وَافْسَحْ لَنا بِرَحْمَتِكَ

١- الإسراء ١٣.

٢- مجمع البيان ٦/٢٠٥.

٣- غافر ١٥.

٤- يُنظر: معاني القرآن ٣/٦،تفسير عبد الرزاق ٣/١٤٣. ونشيرُ هنا إلى أنَّ السيّد محمد الشيرازي ذهب في شرح الصحيفة السجادية ٢٩٩ إلى أنَّ يومَ التلاق هو يومُ تلاقي الروحِ بالجسدِ في الآخرةِ ، وهو رأيٌ يعتدُّ به في هذا الموطنِ .

في ضيقِ مَلاحِدِنا وَلا تَفْضَحْنا في حاضِرِي القيامَةِ بِمُوبِقاتِ آثامِنا، وَارْحَمْ بِالقُرآنِ في مَوْقِفِ العَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقامِنا، وَثَبِّتْ عِنْدَ اضْطِرابِ جِسْرِ جَهَنَّمَ يَوْمَ المَجازِ عَلَيْها زَلَلَ أَقْدامِنا، وَنَوِّرْ بِهِ قَبْلَ البَعْثِ سَدْفَ قُبُورِنا، وَنَجِّنا بِهِ مِنْ كُلِّ كَرْبِ يَوْمَ القِيامَةِ وَشَدائِدِ أَهْوالِ يَوْمِ الطَّامَّةِ، وَبَيِّضْ وُجُوهَنا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ))[١].

يدعو الإمامُ عليه السلام بالبركةِ في دار البلى ، وهو القبرُ ،وسُمّي بدارِ البلى ،لأنَّ الأجسامَ تُبلى فيه[٢]، والبركةُ فيه تعني أنَّ الإنسان يرى في القبرِ ما فعله في الدنيا ، وقد ورد عن الإمامِ الصادقِ عليه السلام قولُهُ: ((القبر روضةٌ من رياضِ الجنّةِ أو حفرةٌ من حفرِ النيران))[٣]،والدعاءُ هنا توكيدٌ من الإمامِ عليه السلام على إحساس الإنسان بما يواجههُ في القبرِ من أهوالِ إذا لم يكن من المتّقين الذي يخشون ربّهم ، لأنَّ الثرى سيُطبقُ على الميّتِ في قبرهِ ،ثم يُقفّي عليه السلام ذلك بأنْ يجعلَ اللهُ تعالى ــ بعد السفرِ إليه ــ القبور خيرَ المنازلِ بعد الدّنيا ، وما يراهُ الإنسانُ في قبرهِ هو بيانٌ لما سيلاقيه يوم القيامةِ ،وقد ورد في الحديث الشريف : ((إذا مات أحدكم فقد قامتْ قيامتُهُ ،يرى ما له من خيرٍ وشرٍّ))[٤].

(وَلا تَفْضَحْنا في حاضِرِي القيامَةِ بِمُوبِقاتِ آثامِنا وَارْحَمْ بِالقُرآنِ في مَوْقِفِ العَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقامِنا، وَثَبِّتْ عِنْدَ اضْطِرابِ جِسْرِ جَهَنَّمَ يَوْمَ المَجازِ عَلَيْها زَلَلَ أَقْدامِنا، وَنَوِّرْ بِهِ قَبْلَ البَعْثِ سَدْفَ قُبُورِنا، وَنَجِّنا بِهِ مِنْ كُلِّ كَرْبِ يَوْمَ القِيامَةِ وَشَدائِدِ أَهْوالِ يَوْمِ الطَّامَّةِ، وَبَيِّضْ وُجُوهَنا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ):

إنَّ يومَ القيامةِ هو اليوم الذي تبلى فيه السرائر ففيه تظهرُ الفضائحُ

١- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٧.

٢- يُنظر: لسان العرب(قبر).

٣- الذكرى ٧٧.

٤- كنز العمال ١٥/٥٤٨ .

والقبائـحُ والآثـامُ الكبيرةُ وتنهتكُ الأسـتارُ وتنكشـفُ الأسرارُ ، ومن هنا يدعو الإمامُ عليه السلام بالسترِ في ذلك اليوم ، اليوم الذي تشهدُهُ الخلائقُ ،والفضيحةُ فيه((ليست كفضيحةِ الدنيا؛ لأَنَّ مَنِ افْتُضِحَ في الدنيا ضَاعَ عِرْضُهُ أمامَ المجتمعِ، وهـو صحيحٌ يأكلُ ويشربُ وينامُ وينكحُ ويركـبُ!! ولكن مَنْ افْتُضِحَ في الآخرةِ سيُجَرُّ إلى دركاتِ النارِ والعياذُ بالله ــ جل وعلاــ ففضيحةُ الآخرةِ على رؤوسِ الأشـهادِ أعظـمُ))[١].

(وَارْحَـمْ بِالقُـرآنِ في مَوْقِفِ العَرْضِ عَلَيْكَ ذُلَّ مَقامِنا) : ففي موقفِ العرضِ على اللهِ تعالى يكونُ الواقفُ ذليلاً منكسراً خائفاً حافياً عارياً ، ولا منقذ مما هو فيه إلّا رحمةُ اللـهِ تعالى،يقولُ تعـالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[٢].

(وَثَبِّتْ عِنْدَ اضْطِرابِ جِسْرِ جَهَنَّمَ يَوْمَ المَجازِ عَلَيْها زَلَلَ أَقْدامِنا) :

وجـسرُ جهنّـم هو الصّراطُ كمـا يُفسّرهُ الإمـامُ الصادقُ عليه السـلام في روايةٍ يقـولُ فيهـا: ((هو الطريقُ إلى معرفةِ اللهِ عزّ وجـلّ، وهما صراطان : صراطٌ في الدّنيـا، وصراطٌ في الآخـرة. وأمّـا الـصّراطُ الـذي في الدّنيا فهو الإمـامُ المفترضُ الطاعـة، من عرفـهُ في الدّنيا واقتدى بهُداه مرَّ على الصّراطِ الذي هو جسرُ جهنم في الآخـرةِ، ومـن لم يعرفْه في الدّنيا زلّتْ قدمُهُ عـن الصّراطِ في الآخرة فتردّى في نـارِ جهنـم))[٣].

ومـن هنا يتكشّـفُ لنا المعنـى الذي يُريدُه الإمامُ علي بنُ الحسـين عليه السـلام بدعائهِ باجتيازِ جسر جهنّم من دون أنْ تزلَّ القدمُ ، والضامنُ لهذا هو التمسّـكُ بالـصراط في الدنيا مـن أجلِّ المرورِ على جسرِ جهنّم.

١- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ٣/١٠٥.
٢- غافر ١٦ .
٣- معاني الأخبار ٢٢.

(وَنَوِّرْ بِهِ قَبْلَ البَعْثِ سَدَفَ قُبُورِنا):

السَّـدَفُ: الظلمة ،وسـدفُ القبـورِ ظلمتها ،فالإمـامُ عليه السـلام يعلّمنا الدعاءَ بطلـبِ تنويـرِ قبورنـا قبل يوم البعـثِ ، وهذا الجـزءُ متّصلٌ بالأجـزاءِ التي مرَّ الدعاءُ بهـا قبل هُنيهةٍ[١] .

(وَنَجِّنا بِهِ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ يَوْمَ القِيامَةِ، وَشَدائِدِ أَهْوالِ يَوْمِ الطَّامَّةِ،):

الكـربُ : الحـزنُ والغمُّ الذي يأخذُ بالنفسِ لشـدّتهِ ،والطامّـةُ: القيامةُ تطمُّ عَلَى كلِّ شيءٍ ، أي تعلو على كلِّ داهيةٍ[٢]، وذلك حِينَ يُسَاقُ أَهْلُ الْجَنَّةِ إِلَى الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّار[٣] ،ومن هذين المعنيين يعلّمنا الإمامُ عليه السـلام طلبَ النجاةِ من شدّةِ يوم القيامةِ وحزنهِ وضيقهِ ،ولعلّ ورودَ كلمةِ(الطامة) يُحضرُ أمامنا قولَه تعـالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾[٤].

(وَبَيِّضْ وُجُوهَنا يَوْمَ تَسْوَدُّ وُجُوهُ الظَّلَمَةِ فِي يَوْمِ الحَسْرَةِ والنَّدامَةِ):

وهذا الجزءُ من الدعاءِ هو الوجه الأوفى لقولهِ تعالى: يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْـوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُـرُونَ* وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُـمْ فَفِي رَحْمَةِ اللّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[٥].

فالإمامُ عليه السـلام خصَّ اسودادَ الوجوهِ بالظلمةِ دون غيرهم من أصناف غير المتّقـين الأخرى ، لأنَّ الوصفَ بالظلـمِ كافٍ ليغطّي من أشرنا إليهم، وفي مأثور

١- هنـا أمـرٌ لا بأس من الإشـارةِ إليـه وهو أنَّ(السَّـدَفَ) تؤدّي معنى (الضـوء) أيضاً ، فهو مـن الأضداد،ولكـنّ كلمةَ(نـوّر) في أوّل هذا الجـزءِ حصرتْ الدلالةَ في (الضوء) لتنسـجم هذه الدلالـةُ مع دلالةِ (الظلمة)في نهايةِ الجزءِ. ينظر لسـان العرب(سـدف)عن المعاني التي يخرجُ إليها الجذر.

٢- يُنظر: لسان العرب(طمم) ، ويُنظر أيضاً : بحار الأنوار ٧/ ٩١.

٣- يُنظر: الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار ٧/ ٣١١.

٤- النازعات ٣٤.

٥- آل عمران ١٠٦ ــ ١٠٧.

كلماتِ أهلِ البيتِ عليهم السلام أنَّ هؤلاءِ هم أهلُ البدعِ والأهواءِ كما رويَ هذا عن أميرِ المؤمنين عليه السلام[١]،وإذا التفتنا إلى الظَلَمةِ بعنوانهم العام ،فهم على ثلاثةِ أصناف كما روي عن أميرِ المؤمنين عليه السلام : ((ألا وإنَّ الظلمَ ثلاثةٌ: فظلمٌ لا يُغفر، وظلمٌ لا يُترك، وظلمٌ مغفورٌ لا يُطلب، فأمّا الظلمُ الذي لا يُغفر فالشّرك باللهِ... وأمّا الظلمُ الذي يُغفر فظلمُ العبدِ نفسه عند بعض الهناتِ، وأمّا الظلمُ الذي لا يُترك فظلمُ العبادِ بعضهم بعضاً))[٢]،ومن جمعِ وصفي أميرِ المؤمنين عليه السلام ، يتبيّنُ لنا مراد الإمام علي بن الحسينِ عليه السلام من الظلمةِ الذين تسودُّ وجوههم يوم الحسرةِ والندامةِ،وهو اليوم الذي وصفه اللهُ تعالى بقوله : ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾[٣].

(وَاجْعَلْ لَنا في صُدُورِ المُؤْمِنينَ وُدّاً وَلا تَجْعَلِ الحَياةَ عَلَيْنا نَكَدَاً):

يستلهمُ الإمامُ عليه السلام هنا قولَه تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدّاً﴾[٤]،وعلى الرغم من عمومِ الدعاءِ هنا، فإنَّ الخاصَّ منه يعني الودّ الذي جعله اللهُ تعالى لأمير المؤمنين عليه السلام على وفقِ هذه الروايةِ التي أوردها الثعلبي في تفسيره لهذه الآيةِ حيث قال: ((قال رسولُ اللهِ لعليٍّ: قل اللهمَّ اجعل لي عندك عهداً ،واجعل لي في صدور المؤمنين ودّا ، فأنزلَ اللهُ تعالى إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ الآية))[٥]،وما جعله الله لعليٍّ عليه السلام جعله للأئمّةِ من بعدِهِ.

١- يُنظر: نور الثقلين ١/٣٨٢.
٢- نهج البلاغة ٢/٩٥.
٣- الزمر ٥٦.
٤- مريم ٩٦.
٥- تفسير الثعلبي ٦/٣٣٣.

ولعل من المناسبِ أنْ نشيرَ هنا إلى أنّ دعاءَ الإمامِ عليّ بن الحسين عليه السلام بالودّ المذكورِ يُحرّك أفئدةَ المسلمين لاستذكارِ ما كان يدعو به النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم لأهلِ البيتِ عليهم السلام من تثبيتِ ودِّهم في القلوبِ.

(وَلا تَجْعَلِ الحَياةَ عَلَيْنا نَكَدًا):

انتقى الإمامُ عليه السلامُ هنا كلمة(نكدا) للاستعاذةِ منها ، وذلك لغزارةِ المعاني التي تؤدّيها هذه اللفظةُ بعد أنْ تأتلف مع السِّياق،والعودةُ إلى معانيها في المعجمِ وعلى وفقِ قبولِ السّياقِ لها نقفُ على المعاني الآتيةِ :

١.النَّكَدُ: الشؤْمُ واللؤْمُ.

٢.النَّكدُ:كُلُّ شَيْءٍ جَرَّ عَلَى صَاحِبِهِ شَرّاً فَهُوَ نَكَدٌ.

٣.نَكِدَ عيشُهم، بِالْكَسْرِ:اشْتَدَّ.

٤.نَكِدَ الرجلُ نَكَداً: قَلَّلَ العَطاء أَو لَمْ يُعْط البَتَّة.

٥.أَرَضُونَ نِكادٌ: قَلِيلَةُ الْخَيْرِ.

إنَّ المعنى الجامعَ لهذه المعاني هو الشرُّ وما يتفرّعُ منه مثل: الشؤْمُ واللؤْمُ وشدّةُ العيشِ وقلّةُ الخيرِ ، وهذا كلّه يخصُّ الدنيا التي يُريدُها الإمامُ عليه السلام مزرعةً للآخرةِ ،وليس داراً للتنعّم ،والإمامُ الباقرُ عليه السلام يقولُ: ((نعم العونُ الدنيا على الآخرةِ))[١] والنَّكَدُ الذي يكونُ فيها قد يُربكُ الزرعَ فيها للآخرةِ.

المقطع(١٣):

(اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ كَما بَلَّغَ رِسالَتَكَ، وَصَدَعَ بِأَمْرِكَ وَنَصَحَ لِعِبادِكَ، اللّهُمَّ اجْعَلْ نَبِيَّنا صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ يَوْمَ القِيامَةِ أَقْرَبَ النَّبِيِّينَ مِنْكَ

١- ميزان الحكمة ٢/ ٨٩٠.

مَجْلِسـاً، وَأَمْكَنَهُمْ مِنْكَ شَفاعَةً، وَأَجَلَّهُمْ عِنْدَكَ قَدْراً، وَأَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ جاهاً))[١].

فالدعـاءُ هنـا قـدّم العبوديّةَ على الرسـالةِ ،لأنّها أعلى المقامـاتِ وأشرفها كما بيّن ذلك قولُـهُ تعـالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[٢]،((وَلَـوْلَا أَنَّ الْعُبُودِيَّـةَ أَشْرَفُ الْمَقَامَاتِ،لَمَـا وَصَفَـهُ اللَّهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فِي أَعْـلَى مَقَامَاتِ الْمِعْرَاجِ، ..... وتقديم العبودية على الرِّسَـالَةِ، لِأَنَّ بِالْعُبُودِيَّةِ يَنْصَرِفُ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى الْحَقِّ، وَبِالرِّسَـالَةِ يَنْـصَرِفُ مِـنَ الْحَـقِّ إِلَى الْخَلْقِ، وَأَيْضًا بِسَـبَبِ الْعُبُودِيَّـةِ يَنْعَزِلُ عَنِ التَّصَرُّفَاتِ،وَبِسَبَبِ الرِّسَـالَةِ يُقْبِلُ على التصرفات، واللائق بالعبد والانعزال عَنِ التَّصَرُّفَـاتِ، وَأَيْضًـا الْعَبْدُ يَتَكَفَّلُ الْمَـوْلَى بِإِصْلَاحِ مُهِمَّاتِهِ، وَالرَّسُـولُ هُوَ الْمُتَكَفِّلُ بِإِصْلَاحِ مُهِمَّاتِ الْأُمَّةِ، وَشَـتَّانَ مَا بَيْنَهُمَا))[٣].

(ونصح لعبادك):

يُعطينا المعجمُ المعاني الآتيةَ التي تتناغمُ مع السّياقِ[٤] :

١. نصح : خلص ، الناصحُ : الخالصُ.

٢. نَصَحْتُ لَهُ نَصيحتي نُصوحاً أَي أَخْلَصْتُ وصَدَقْتُ.

٣. النَّصيحَةُ:كَلِمَـةٌ يُعَـبَّرُ بِهَـا عَـنْ جُمْلَةٍ هِـيَ إرادة الْخَيْرِ لِلْمَنْصُوحِ لَـهُ، فَلَيْسَ يُمْكِـنُ أَن يُعَـبَّرَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَـى بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ تَجْمَـعُ مَعْنَاهَا غَيْرُهَا.

٤. وَمَعْنَى النصيحة لله: صِحَّةُ الِاعْتِقَادِ فِي وَحْدَانِيَّتِهِ وإخلاص النِّيَّةِ فِي عِبَادَتِهِ.

٥. وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللَّهِ: هُوَ التَّصْدِيقُ بِهِ وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ.

١- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٨.

٢- الإسراء ١.

٣- تفسـير الـرازي ١/ ٣١٤ ، وارتأينا أنْ نأخذ هذا النّصِّ بطولـهِ لأنّه تكفّل بممايزة رصينة بين العبوديةِ والرسالةِ على الرغم من كثرةِ الكتاباتِ حول هذه القضيّةِ ، ينظر مثالاً لذلك في : تفسير ابن كثير ١/ ٥٠ ،اللباب في علوم الكتاب ٤/ ٣٦٧.

٤- يُنظر: لسان العرب(نصح).

إنَّ المعانـي (١ ، ٢ ، ٣) تُرينـا النبـيَّ صـلى الله عليه وآله وسـلم صادقاً مُخلصاً مُبتغيـاً الخـيرَ لعبادِ اللهِ ، وما يتفرعُ من هـذه المعاني الكبرى ، وهذه بعضاً من وجوهِ هذا المعنى.

أمـا المعنيـان الرابـعُ والخامـسُ فيمتزجـان لأنّهمـا يتعلّقـان بصحـةِ الاعتقـادِ بوحدانيّةِ اللهِ تعالى والإخلاصِ في عبادتهِ،والتَّصْدِيقِ بِكتابهِ وَالْعَمَلِ بِمَا فِيهِ، لأنَّ دعاءَ الإمامِ عليه السـلام هو بيان لما نهضَ به النبيُّ صلى الله عليه في حياتهِ من شؤونِ النبوّةِ.

(اللّهُمَّ اجْعَلْ نَبِيَّنا صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ يَوْمَ القِيامَةِ أَقْرَبَ النَّبِيِّينَ مِنْكَ مَجْلِساً): إنَّ القـربَ الـذي يُريـدُه الإمامُ عليه السـلام هو القـربُ المعنويُّ وليـس القربُ المكانيُّ ـ تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً ـ وأقربُ النبيين منه ـ جلَّ شأنُه ـ إظهاراً لشرفـهِ وعلوِّ شـأنهِ ومضاعفةِ أجرهِ .

(وَأَمْكَنَهُمْ مِنْكَ شَفاعَةً) :

والمرادُ هنا أنْ تكون شفاعةُ النبيِّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أمكنَ من شفاعةِ الآخرين من الأنبياء والرسـلِ ،وقد ورد في هذا المضمارِ المعرفي روايةٌ عن الإمامِ أبـي عبـدِ اللهِ الصادقِ عليه السـلام ،مضمونُها أنَّ النـاسَ يُلجمون يوم القيامةِ، فيقولون : انطلقوا بنا إلى آدمَ عليه السـلام ليشـفع لنا،فيردّهم إلى من يليهِ حتى ينتهوا إلى عيسى عليه السلام فيقول: عليكم بمحمّدٍ رسولِ الله ـــ صلى الله عليه وآله ـــ فيعرضون أنفسَـهم عليه ويسألونَه ، فيخرّ ساجدا،فيقول اللهُ عزّ وجلّ: ارفعْ رأسَك واشفعْ تُشفّع وسلْ تُعطَ[١]،وذلك قوله ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[٢].

١- يُنظر: بحار الأنوار ٨/ ٣٥.

٢- الإسراء ٧٩.

ومن هنا فهذه هي الشفاعةُ المكينةُ التي دعا بها الإمامُ عليه السلام ، وقرّرتها الشواهدُ الحديثيّةُ لأئمةِ أهلِ البيتِ عليهم السلام ، فعن أبي عبدِ الله الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[١]،. قال شفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٢].

(وَأَجَلَّهُمْ عِنْدَكَ قَدْراً، وَأَوْجَهَهُمْ عِنْدَكَ جاهاً):

الجليل في اللغةِ : الرجلُ ذو القدرِ الخطيرِ، والقدرُ: المنزلةُ والمكانةُ والحرمةُ[٣]،فالإمامُ يدعو اللهَ بالقرآنِ أنْ يكون هذا كلّه للمصطفى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، ومثلُ هذا يُقالُ عن (وأوجههم منك جاها) ،فالجاهُ : المنزلةُ والقدرُ والحظوةُ ،وعلى الرغمِ من تداخل معاني هذين الجزأين من الدعاءِ ،فإنَّ لكلِّ كلمةٍ خصوصيّةً في المعنى لا تؤدّيها جارتها في الحقلِ الدلاليّ العامِ ، ومن هنا تتبيّنُ لنا أساليبِ أئمّةِ الهدى في التعبيرِ الدقيقِ عن المعاني التي يُريدونها .

المقطعُ(١٤):

اللّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَشَرِّفْ بُنْيانَهُ، وَعَظِّمْ بُرْهانَهُ، وَثَقِّلْ ميزانَهُ، وَتَقَبَّلْ شَفاعَتَهُ، وَقَرِّبْ وَسيلَتَهُ، وَبَيِّضْ وَجْهَهُ وَأَتِمَّ نُورَهُ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ، وَأَحْيِنا عَلى سُنَّتِهِ، وَتَوَفَّنا عَلى مِلَّتِهِ، وَخُذْ بِنا مِنْهاجَهُ، وَاسْلُكْ بِنا سَبِيلَهُ، وَاجْعَلْنا مِنْ أَهْلِ طاعَتِهِ، وَاحْشُرْنا في زُمْرَتِهِ، وَأَوْرِدْنا حَوْضَهُ، وَاسْقِنا بِكَأْسِهِ))[٤].

(وشرّفْ بنيانه):

وهذا الجزءُ موصولٌ بدعاءٍ لأميرِ المؤمنين عليه السلام يقول فيه: ((اللهمَّ أعلِ

١- يونس ٢.

٢- يُنظر: مناقب آل أبي طالب ٢/ ١٥.

٣- يُنظر: لسان العرب (قدر) ،(جوه).

٤- الصحيفة السجادية الجامعة ١٩٨.

عــلى بنــاءِ البانين بناءَه))[١]،وعلى الرغم من أنَّ ابــنِ أبي الحديدِ اقتصر في شرحه بالقــولِ: ((اجعــل منزلته في دار الثوابِ في أعــلى المنازلِ))[٢]،فإنّ الدعاءَ لا يُضيّقُ على هذا النحوِ ، وإنّما تنفتحُ دلالاتُه لتشملَ كلَّ ما بناهُ النبيُّ صلى الله عليه وآله وســلم من أمورِ الدنيا في جوانبِ الحياةِ كلّها لتنظيمِ حياةِ الناسِ،وتنفتحُ دلالتُه أيضاً لتشمل بناءَ الدنيا من أجلِ الآخرةِ ،والفوز برضا اللهِ تعالى ، ومن هنا فإنَّ بناء الدارين هو الشرفُ الكبيرُ الذي أرادهُ الإمامُ عليٌّ بنُ الحسين عليه السلام في هذا الجزءِ ، ومن قبله جدُّهُ أميرُ المؤمنين عليه السلام[٣].

(وَعَظِّمْ بُرْهانَهُ):

والجذر(برهن) يُعطينا المعاني الآتيةَ التي تتلاءمُ مع السّياق[٤]:

١. البُرْهــان: الحُجّــة الْفَاصِلَةُ الْبَيِّنَــة، يُقَالُ: بَرْهَنَ يُبَرْهِنُ بَرْهَنــةً إِذَا جَاءَ بِحُجّةٍ قَاطِعَةٍ لِلَدَد الخَصم.

٢. يُقَــالُ لِلَّــذِي لَا يُبَرْهِــنُ حَقِيقَتَهُ إِنَّمَا أَنــت متمنٍّ، فجعلَ يُبَرْهــن بِمَعْنَى يُبَيِّن، وجَمْــعُ البرهــانِ براهــينُ. وَقَــدْ بَرْهَــنَ عَلَيْــهِ: أَقــام الْحُجَّــةَ. وَفِي الْحَدِيــثِ: الصدقةُ برهانٌ.

٣. البُرْهــانُ: الحجّــةُ وَالدَّلِيــلُ أَي أَنها حُجَّــةٌ لِطَالِبِ الأَجْر مِنْ أَجــل أَنَّها فَرْضٌ يُجازِي اللهُ بِهِ وَعَلَيْه.

٤. هِــيَ دَليلٌ عَلَى صِحَّةِ إِيمَانِ صَاحِبِهَا لِطِيبِ نَفْســه بإِخْراجهــا، وَذَلِكَ لعَلاقةٍ مَّا بَيْنَ النفْسِ والمال.

١- نهج البلاغة ١/١٢٢.

٢- يُنظر: شرح نهج البلاغة ٦/١٤٢.

٣- يُنظــر: ريــاض الســالكين ٤٨٧ ففيه ثــلاث توجيهات لهذا الجزء ، وهــي وجوهٌ تندرجُ في الإطــارِ العام فيما أشرنا إليه.

٤- يُنظَر: لسَان العرب(برهن).

القـراءة الأولى لهـذه المعاني تبرّزُ لنا معنى عامّـاً ،وهو (الحجّةُ القاطعةُ) التي لا يقتربُ منها شكٌّ بأيِّ وجهٍ من الوجوهِ ،والقراءةُ الثانيةُ المتأنيّةُ تعطينا تفصيلاتٍ لبيانِ الحجةِ المشـارِ إليها ،وهي قطعُ الطريقِ على الخصومِ ،طلباً للأجرِ من اللهِ تعـالى ، وهـي دليلٌ قاطعٌ على صحّةِ إيمـانِ صاحبها وثباتهِ ، وهذا ما يُجازي به اللـهِ تعالى ويرفعُ شـأنَ صاحبـهِ ومكانتهِ ، وهذا ما رأينـاهُ في أغلبِ جملِ الدعاءِ التي ارتبطتْ بالنبيّ صلى الله عليه وآله وسـلم.

(وَثَقِّلْ ميزانَهُ) :

والميزانُ يحتضنُ المعاني الآتيةُ[١]:

١.المِيزانٌ : العدلُ الذي توزنُ بهِ الأعمالُ .

٢.الميزانُ: الْكِتَابُ الَّذِي فِيهِ أَعمالُ الخَلْقِ.

٣.الميزانُ الذي له كفّتان ،أُنزل فِي الدُّنْيَا لِيَتَعَامَلَ النَّاسُ بالعَدْل.

وعـلى الرغـمِ مـن اختلافِ العلماءِ في بيـانِ ما يُرادُ من دلالـةِ الميزانِ في نصوصِ أهـلِ البيـتِ ،فإنَّ ما يُجمعـونَ عليهِ هو معنى(العدل) كمـا في المعنى(رقم١)،لأنَّ اللهَ تعالى جعلَ العدل ليأخذ كلُّ ذي حقٍّ حقَّه بعد أنْ تُسـوّى الأشـياءُ به[٢].

أمـا المعنـى الثانـي فإنّه يكـون مقبـولاً ،لأنَّ أعمالَ الخلائـقِ تكادُ تزنُ نفسَـها بنفسِـها عندا تتقابلُ في الكتابِ،وهذا أيضاً داخـلٌ في المعنى الأول(معنى العدل).

ويبقـى المعنـى الثالث وهـو الميزان الذي في أيـدي الناسِ ويزنون بـه ،فهو وإن كان يدخلُ أيضاً في إطارِ العدلِ المشار إليه ، إلّا أنّنا لا نرجّحُ أنّه هنا يدخلُ في بابِ هـذا الجزءِ من الدعاءِ ، وإنْ شـئنا أنْ نُدخلَـهُ هنا فهو مقبولٌ ولكنّه ليس بالمتانةِ التـي يؤديهـا المعنى الأول ، وبدرجةٍ أقلّ يؤدّيها المعنى الثاني كما أشرنا.

١- يُنظر: تاج العروس(وزن).

٢- يُنظر: الميزان ١٩/٩٧.

ولا بأس أنْ نُشيرَ هنا إلى أنَّ قولَه تعالى:(﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١]،وهـذا وجهٌ من وجـوهِ العدلِ التي مرَّ ذكرُها[٢].

(وَتَقَبَّلْ شَفاعَتَهُ):

وشـفاعةُ النبـيِّ ـ صلى الله عليه وآله وسـلم ـ أمرٌ ثابـتٌ ، وهي جليّةٌ في قولهِ: (أعددتُ شـفاعتي لأهلِ الكبائر من أمتي))[٣]،وتخصيصُ أهلِ الكبائرِ بالشـفاعةِ هنا لأنّهم أكثرُ من غيرهم اسـتحقاقاً للعقابِ ، وبهذا يكونُ الدعاءُ متسـاوقاً مع هـذه الدلالةِ أكثر مـن غيرها[٤].

(وَقَرِّبْ وَسيلَتَهُ):

يندرجُ تحت الجذر(وسل) المعاني الآتية[٥]:

١. الوَسِيلَةُ: المَنْزِلة عِنْدَ المَلِك.
٢. الوَسِيلة: الدَّرَجة.
٣. الوسيلة: القُرْبة. ووَسَّلَ فلانٌ إِلى اللَّهِ وَسِيلَةً إِذا عَمِل عَمَلًا تقرَّب بِهِ إِليه.
٤. الوَاسِل: الراغِبُ إِلى اللَّه.
٥. تَوَسَّـلَ إِليـه بوَسِـيلَةٍ إِذا تقـرَّب إِليـه بعَمَل. وتَوَسَّـلَ إِليه بِكَذَا: تقـرَّب إِليه بحُرْمَـةِ آصِرةٍ تُعْطفه عَلَيْهِ.
٦. الوَسِـيلَةُ: الوُصْلـةُ والقُرْبـى، وَجَمْعُهَا الوَسَـائِل، قَالَ اللَّهُ تَعَـالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ

١- الأعراف ٨ .
٢- يُنظر: مجمع البيان ٤/ ٢٢٠.
٣- رسائل المرتضى ١/ ١٥١ .
٤- نُشيرُ هنا إلى انَّ المعتزلةَ ذهبوا إلى القولِ أنَّ شفاعةَ النبيَّ صلى الله عليه وآله وسلم تكون لأهلِ الجنّةِ ليزيدَ في درجاتهم . يُنظر : الكشاف ١/ ١٣٦، ٢٩٩.
٥- يُنظر: لسان العرب(وسل).

عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾[1] .

إنَّ هـذه المعانـي الفرعيـةَ التي بيّنها الجذرُ(وسـل) تتعاضدُ فيمـا بينها لتُعطي معنـى الرغبـةِ في الوصولِ إلى المتوسّـلِ به وهو الله الملكُ القـدوس ،وبهذا صار التقـرّبُ إليه بالعملِ وبالحرمةِ وبالمكانةِ وبالمرتبةِ وبالمنزلةِ هي أظهرُ الوسـائلِ التي يُريد الإمامُ عليه السلام أنْ يقرّبها الله تعالى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بحرمةِ القرآنِ الكريمِ.

(وبيِّضْ وجهَهُ):

والبياضُ هنا بياضٌ معنويٌّ لأ يُرادُ به بياضُ اللونِ ، ((لأَن الْعَرَبَ لَا تَقُولُ رَجُلٌ أَبيـض مِـنْ بَيَاضِ اللَّـوْنِ، إنما الأَبيض عِنْدَهُـمُ الطَّاهِرُ النقيُّ مِـنَ الْعُيُوبِ، فإِذا أَرادوا الأَبيـض مِنَ اللَّـوْنِ قَالُوا أَحمر))[2]،والمعنى هنا عـلى وفقِ هذا التوصيفِ أنَّ اللـهَ تعـالى ينقّيهِ من العيوبِ ويُطهّـرهُ ويمنحه من الفضائـلِ والكراماتِ ما يظهرُ على تقاسيمِ وجههِ الكريمِ.

(وأتمَّ نورَهُ):

لعـلَّ المـرادَ بالنـورِ هنا ما جاء به ــ صلى الله عليه وآله وسـلم ــ من اللهِ تعالى مـن دين الإسـلام ، وتمامُـه هو إظهارُهُ على الأديان الأخـرى كما في قولهِ تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[3]، أو هو النور الذي يمنحه اللهُ تعالى له ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وللذين آمنـوا معه يوم القيامةِ كمـا في قولهِ تعـالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى

١- الإسراء ٥٧. ويُنظر : مجمع البيان ٢٦/٦ ،زاد المسير ٣٦/٥.

٢- يُنظر: لسان العرب (حمر).

٣- التوبة ٣٣ .

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

ويمكنُ أنْ يكونَ(وأتمَّ نورَه) إشارةٌ إلى الإمامِ الحجةِ بن الحسن عليه السلام الذي يتمُّ به النورَ، لأنَّ نورَه من نور جدّه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـــ ،ونور جدّهِ مشكاةُ نورِ اللهِ في أرضهِ.

(وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ):

الدرجةُ: المرتبةُ والمنزلةُ والحظوةُ ،ورفعها يعني كمالَ هذه الصفاتِ ، فتُصبح بمجموعها الفضيلة التامة.

(وَأَحْيِنا عَلى سُنَّتِهِ):

السّنّةُ: في الأصلِ سنّةُ الطريق ،والسنّةُ الطَّرِيقَةُ الْمَحْمُودَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ ، والسُّنَّة : الطَّبِيعَةُ[2].

وجماعُ هذه المعاني تنتجُ لنا السّنّةَ التي تركها النبيّ - صلى الله عليه وآله وسلم - وهي ما فعله وما أقرّه وما شاهده وقبل به ، وغايةُ ما يُريده المسلمُ أنْ يحيا على سنّةِ النبيّ ويموتُ عليها.

وثمّة أمرٌ آخرُ يتعلّقُ بالسنّةِ ، وهو أنَّ سنّةَ رسولِ اللهِ - صلى الله عليه وآله وسلّم - محفوظةٌ في سيرةِ الأئمّةِ المعصومين عليهم السلام ،وبناءً على هذا ، فالإمامُ علي بنُ الحسين عليه السلام يدعو بالحياةِ على سنّةِ جدّهِ المحفوظةِ في سيرةِ آبائهِ .

(وَتَوَفَّنا عَلى مِلَّتِهِ، وَخُذْ بِنا مِنْهاجَهُ، وَاسْلُكْ بِنا سَبِيلَهُ): تجتمع هذه الكلمات الثلاث في الوجوهِ الثلاثةِ (الملّة،المنهاج ، السبيل)،وهذه الوجوهُ وإنْ اشتركتْ في الإطارِ العامِ للمعنى،فإنَّ كلَّ وجهٍ منها يمتازُ بخصوصيةِ التعبيرِ عن جزء من

١- التحريم ٨ .

٢- يُنظر: تاج العروس (سنن).

المعنـى العـامِ ، فالملّةُ تعني: معظمُ الدينِ ،وملّةُ النبيّ تعني ملّةَ الدين الإسـلامي برمّتـهِ[١].

والمنهـاجُ يعني:الطريقُ الواضحُ ،ومنهاجُ النبيّ طريقُهُ الواضحُ الذي سـار عليه في حياتهِ ،ودعاءُ الإمامِ عليه السـلام هنا يريدُ أنْ يتمسـكُ من خلالهِ بمنهجِ النبيّ وطريقـهِ المسـتقيمِ ، حتى لا يلتفتَ المسـلمون إلى أيّـةِ مخالفةٍ لمنهـجِ النبيّ بعد انتقالهِ إلى الملأ الأعلى.

أما السبيلُ فهو السبيلُ الواضحُ البيّنُ ، وكلُّ ما أمرَ الله تعالى به من الخيرِ ، فهو سبيلُ اللهِ وهو سبيلُ رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم .

وبهـذا تـؤدّي الدّقةُ في اسـتعمالِ الألفـاظِ مهمّتهـا في بيان معاني الدعـاءِ الذي يريـدهُ الإمامُ علي بنُ الحسـين عليه السـلام ،ملتفتاً من خلالهـا إلى ما تؤدّيه من إنجازاتٍ تخـصُّ المعاني الدقيقةَ.

(وَاجْعَلْنا مِنْ أَهْلِ طاعَتِهِ):

شـاء اللـهُ تعـالى أنْ يجعـلَ طاعةَ النبـيّ صلى الله عليه وآله وسـلم مـن طاعته إذ قـرنَ الطاعتين بطاعـةٍ واحدةٍ في قولـهِ تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٢]، وفي قولـه تعالى:﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾[٣].

(وَاحْشُرْنا في زُمْرَتِهِ):

الزّمـرةُ :الفوجُ من النـاس، والجماعةُ من الناسِ ،وبهذا يكـونُ المعنى: واجمعنا يـومَ القيامةِ في فـوجِ النبيّ وجماعتهِ ،وفوجهُ الذين سـاروا على هديه ومنهاجهِ

١- يُنظر: لسان العرب(ملل).

٢-النساء٥٩.

٣- التغابن ١٢، ويُنظر أيضاً : المائدة ٩٢،النور ٥٤،محمد ٣٣.

وسبيلِه وهداهُ.

(وَأَوْرِدْنا حَوْضَهُ واسقنا بكأسِه):

عـلى الرغـمِ من تعـدّدِ المعاني التي ينـصرفُ إليها الكوثـر ، فـ(وأوردنا) تجعل معنـى الكوثـر منحصراً في معنيين يتصـلانِ بوردِ المـاءِ ،الأوّل: (الحوض) الذي أعطـاهُ اللـه تعالى للنبيّ ــ صلى الله عليه وآله وسـلم ــ ويكثرُ الناسُ عليه يوم القيامـة[١]، والثانـي: نهـرٌ يجري بالجنّةِ حَافَّتَـاهُ ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ، يَجْـرِي عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُـوتِ، مَـاؤُهُ أَشَـدُّ بَيَاضًـا مِـنَ اللَّبَـنِ وَأَحْـلَى مِـنَ الْعَسَـلِ [٢]، وهـو للنبيّ صـلى اللـه عليه وآله وسـلم، والقائـمُ عليه أميرُ المؤمنـين عليه السـلام[٣]، وهو السـاقي الذي ترتوي الخلـقُ من يدِه.

المقطع(١٥):

وَصَـلِّ اللّهُـمَّ عَـلَى مُحَمَّـدٍ وَآلِـهِ صَـلاةً تُبَلِّغُـهُ بِهـا أَفْضَـلَ مـا يأْمُلُ مِـنْ خَيْرِكَ وَفَضْلِكَ وَكَرامَتِكَ، إِنَّكَ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِـعَةٍ، وَفَضْلٍ كَرِيمٍ، اللّهُمَّ اجْزِهِ بِما بَلَّغَ مِنْ رِسـالاتِكَ،وَأَدّى مِـنْ آياتِكَ، وَنَصَحَ لِعِبـادِكَ، وَجاهَدَ في سَـبِيلِكَ،أَفْضَلَ ما جَزَيْتَ أَحَداً مِنْ مَلائِكَتِكَ الْمُقَرَّبِينَ، وَأَنْبِيائِكَ الْمُرْسَـلِينَ الْمُصْطَفَيْنَ وَالسَّـلامُ عَلَيْهِ وَعَلى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَرَحْمَـةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

(وَصَلِّ اللّهُمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ صَلاةً تُبَلِّغُهُ بِها أَفْضَلَ ما يأْمُلُ مِنْ خَيْرِكَ وَفَضْلِكَ وَكَرامَتِكَ):

لـم يبـدأ الإمـامُ عليـه السـلام هـذا المقطـعَ بالنداء(اللهمَّ)،وإنّمـا بـدأهُ بفعـلِ الدّعاءِ(وصـلِّ) ثـم أتبعَـهُ بالنّـداءِ ،فجعـل أوّلَ هذا المقطـعِ معطوفاً عـلى قولهِ

١- يُنظر: مناقب آل أبي طالب ١/ ٣٥١.

٢- يُنظر: أمالي المفيد ٢٩٤،مجمع البيان ١٠/ ٤٥٩

٣- يُنظر: ينابيع المودّة ٣/ ٣٦٦.

السابقِ(وَأَوْرِدْنا حَوْضَهُ واسقنا بكأسهِ) ، فجمع بهذا الأسلوبِ بين نهايةِ الدعاءِ في هذا المقطعِ وبين المقطعِ السابقِ من جهةٍ ، ومنحه شيئاً من الاستقلالِ من جهةٍ أخرى، فاقترب من المقاطعِ السابقةِ ،واستقلَّ عنها في آنٍ معاً.

والصلاةُ التي دعا بها الإمامُ عليه السلام أراد لها أنْ تكونَ وسيلةً لبلوغِ النبيّ ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ما يأملُ من خيرِ اللهِ وفضلهِ وكرامتك ،وهذا هو المقامُ المحمودُ الذي وعد اللهُ تعالى نبيّه به في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[1]، فاللهُ تعالى هو ذو الرّحمةِ الواسعةِ والفضلِ الكبيرِ،كما في قوله تعالى:﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2].

(اللّهُمَّ اجْزِهِ بِما بَلَّغَ مِنْ رِسالاتِكَ، وَأدّى مِنْ آياتِكَ، وَنَصَحَ لِعِبادِكَ، وَجاهَدَ في سَبِيلِكَ):

الدعاءُ هنا النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بما نهضَ به من تبليغِ رسالاتِ اللهِ ، والرسالاتِ هنا ما جاء عن اللهِ تعالى من توجيهِ للخلقِ من رسائل القرآن الكريمِ التي عالجتْ شؤونَ الحياةِ المختلفةِ ،ومن رسائلِ الأحاديثِ القدسيةِ التي بلّغها النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم ،ومن رسائلِ السنّةِ النبويةِ التي بلغها صلى الله عليه وآله وسلم في القولِ والعملِ والتقريرِ.

إنَّ كلَّ ما ذُكرَ في الرسالاتِ المشارِ إليها يتعانقُ مع أداءِ الآياتِ الواردةِ عن اللهِ تعالى ، والنُّصحِ للعبادِ ، وهو وجهٌ من وجوهِ الجهادِ الذي يقومُ الدينُ عليه.

وينتهي الدعاءُ بأنْ يكونَ جزاءُ النبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم ، أفضلَ جزاءٍ مما يُعطيه اللهُ تعالى للملائكةِ المقربين والأنبياءِ المرسلين،ويختمُ بالسلامِ على النبيّ صلى الله عليه وآله وعلى آلهِ الطيّبين الطاهرين ، وبهذا يكونُ السلامُ على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مقروناً بالسلامِ على الآلِ في المواطنِ كلّها .

١- الإسراء ٧٩.

٢- الأعراف ١٥٦.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم .

١. الاتقان في علوم القرآن ، السيوطي(جلال الدين ــ عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٣٤هـ ــ ١٩٧٤م .

٢. الاحتجاج ، الطبرسي(أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، تعليقات وملاحظات السيد محمد باقر الخرسان ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٣٨٦هـ، ١٩٦٦م .

٣. الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي(أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦ هـ) قوبلت غلى الطبعة التي حققها الشيخ أحمد محمد شاكر ،قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس ، دار الآفاق الجديدة، بيروت .

٤. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ، الشيخ المفيد(أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣هـ) ، تحقيق : مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث ، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م.

٥. الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني (أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ) ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،١٤١٥هـ.

٦. الأصول في النحو ، ابن السرّاج (أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي ت ٣١٦هـ) ، تحقيق عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان .

٧. إعـلام الـورى بأعـلام الهـدى ، الطبرسي(الفضل بن الحسـن ت ٥٤٨هـ) ، تحقيـق مؤسسـة آل البيت ، قـم ، ١٤١٣هـ .
٨. إعـلام الـورى بأعلام الهـدى ، الطبرسي(الفضل بن الحسـن ت ٥٤٨هـ) ، تحقيق مؤسسـة آل البيت ، قـم ، ١٤١٣هـ .
٩. أمالي الصدوق ، الشـيخ الصدوق(أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه القمي ، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية ، مؤسسة البعثة ، قم ، ط١ ، ١٤١٧هـ .
١٠. أمـالي الطوسي(أبـي جعفر محمـد بن الحس بن عـلي(ت ٤٦٠هـ) تحقيق : قسـم الدراسـات الإسلامية – مؤسسـة البعثة ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع ، قم ، ١٤١٤هـ .
١١. أمـالي المفيـد ، الشـيخ المفيـد(أبـي عبد اللـه محمد بـن محمد بـن النعمان العكـبري البغـدادي ت ١٠٢٢هـ) ، دار التيـار الجديـد ودار المرتضى .
١٢. الامامة والتبصرة من الحيرة ،ابن بابويه القمي(علي بن الحسـين بن بابويه القمي ت٣٢٩)،تحقيق ونشر مدرسة المهدي ، قم المقدسة .
١٣. أمين باشه ،تحقيق: عدد من الباحثين ، مثبت أسماؤهم بالمقدمة (صـ ١٥) ، دار التفسير، جدة ، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م .
١٤. أهـل البيت في نهج البلاغة /قـراءة تأويلية،الدكتور حاكـم حبيب الكريطي ، منشـورات مركز كربلاء للدراسـات والبحوث ، العتبة الحسينية المقدسة .
١٥. بحـار الأنـوار الجامعـة لـدرر أخبار الأئمـة الاطهار ، الشـيخ محمـد باقر المجلسي(ت ١١١١هـ) ، مؤسسة الوفاء ، ط٢ ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .
١٦. بصائر الدرجات الكبرى في فضائل آل محمد ـ عليهم السلام ـ ، الصفار(أبو جعفر محمد بن الحسـن ت ٢٩٠هـ) ، تحقيق ميرزا محسـن كوجه باغي ،

مطبعة الأحمدي ، مؤسسة الأعلمي ، ١٤٠٤هـ ، طهران ، إيران.

١٧. البيان في تفسير القرآن ، السيد أبو القاسم الخوئي(ت ١٤١٣هـ) ، دار الزهراء ، بيروت ، ١٣٩٥هـ

١٨. تاج العروس من جواهر القاموس ، الزبيدي(محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ، أبو الفيض الملقب بمرتضى الزبيدي ت ١٢٠٥هـ) ، تحقيق : مجموعة من المحققين ، دار الهداية ، د. ط ، د.ت .

١٩. تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر(ت ٥٧١ه) ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤١٣ه .

٢٠. التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ الطوسي(أبي جعفر محمد بن الحسن(ت ٤٦٠هـ) ، تحقيق : أحمد حبيب قصير ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، دار إحياء التراث العربي ، ١٤٠٩هـ .

٢١. تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ابن شعبة الحرّاني(أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني) تحقيق علي أكبر الغفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ١٤٠٤ه

٢٢. ترتيب الفروق واختصارها ، البقوري(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم البقوري ت ٧٠٧ هـ) المحقق: الأستاذ عمر ابن عباد، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

٢٣. التعليقة على كتاب سيبويه ، الحسن بن احمد بن عبد الغفار(ت ٣٧٧هـ) ، تحقيق د. عوض بن حمد القوزي ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٢٤. تفسير الآلوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، المحقق:

عـلي عبد الباري عطية ،دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤١٥ هـ .
٢٥. تفسـير الثعلبي الكشـف والبيـان عن تفسـير القرآن(أبو إسـحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي ت ٤٢٧ هـ)،أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغـزالي ، أ. د. زيد مهارش ، أ. د.
٢٦. تفسـير الرازي ، الرازي(أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسـن بن الحسين التيمي (ت ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠هـ .
٢٧. تفسـير الصـافي - الفيض الكاشـاني(ت١٠٩١هـ) ، تحقيق الشـيخ حسـين الأعلمـي ، مؤسسـة الهـادي ، قم المقدسـة ، مكتـب الصـدر ، ط٢ ، ١٤١٦هـ .
٢٨. تفسير العياشي ، العياشي (النضر بن محمد بن مسعود بن عياش السمرقندي ت ٣٢٠هـ) ، تحقيق الحاج السـيد هاشم الرسولي المحلاتي ، المكتبة العلمية الإسلامية ، طهران ، د.ت.
٢٩. تفسـير القرطبي(الجامع لأحكام القـرآن) ، للقرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمـد الانصاري (ت ٦٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسـة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .
٣٠. تفسـير القرطبي(الجامع لأحكام القـرآن) ، للقرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمـد الانصاري (ت ٦٧هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسسـة التاريخ العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .
٣١. التفسـير اللغوي للقرآن الكريم ، مسـاعد بن سـليمان بن الطيار، ١٤٢١هـ ،دار ابـن الجوزي ١٤٣٢هـ.
٣٢. تفسـير الماتريـدي (تأويلات أهـل السـنة) ، الماتريدي(محمد بـن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي ت ٣٣٣هـ) ،المحقق: د. مجدي باسـلوم، دار الكتـب العلمية - بيروت، لبنان ،١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٣٣. تفسير عبد الرزاق، (أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني ت ٢١١هـ) ،دار الكتب العلمية،دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده ، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٩هـ.

٣٤. تفسير مجاهد بن جبر ، مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ه) ، تحقيق : محمد عبد السلام أبو النيل ، دار الفكر الإسلامي ، ١٤١٠ ه، ١٩٨٩م .

٣٥. تفسير نور الثقلين ،الشيخ الحويزي(ت ١١١٢هـ) ، تصحيح وتعليق : السيد هاشم الرسولي،مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر،قم ،ايران ،١٤١٢هـ.

٣٦. تفسير نور الثقلين ،الشيخ الحويزي(ت ١١١٢هـ) ، تصحيح وتعليق : السيد هاشم الرسولي،مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر،قم ،ايران ،١٤١٢هـ.

٣٧. تهذيب الأحكام ، الشيخ الطوسي(ت ٤٦٠هـ) ، تحقيق السيد حسن الخرسان ، تصحيح الشيخ محمد الأخوندي ، مطبعة خورشيد ، دار الكتب الإسلامية ، ط٤ .

٣٨. تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، القضاعي (يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي ت ٧٤٢هـ) ، تحقيق د. بشار عواد معروف ، مؤسسة الرسالة – بيروت ، ١٤٠٠هـ ـــ ١٩٨٠م.

٣٩. الجمل في النحوا ، الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠هـ) ،المحقق: د. فخر الدين قباوة ، ط٥ ، ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

٤٠. الخرائج والجرائح ، قطب الدين الراوندي ت (٥٧٣ هـ) ،تحقيق ونشر مؤسسة الامام المهدي عليه السلام ،قم ، المطبعة العلمية قم ، ١٤٠٩هـ .

٤١. الخصال ، الشيخ الصدوق(أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) ، تحقيق : علي أكبر الغفاري ، منشورات جماعة المدرسين

في الحوزة العلمية ، قم المقدسة ، ١٤٠٣هـ .

٤٢. دلائل الإمامة ، محمد بن جرير بن رستم الطبري ،تحقيق ،قسم الدراسات الاسلامية - مؤسسة البعثة ،سلسلة الكتب العقائدية (١٨٤)،إعداد :مركز الأبحاث العقائدية.

٤٣. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت ٤٥٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

٤٤. الراسخون في العلم،مدخل إلى دراسة ماهية علم المعصوم وحدوده ومنابع إلهامه ،السيد كمال الحيدري، دار فراقد للطبع والنشر ، قم ، إيران ١٤٣٢هـ .

٤٥. رسائل الجاحظ، الجاحظ، تحقيق عبد السّلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط١، ١٣٩٩هـ..١٩٧٩م.

٤٦. الرسائل العشر ، الشيخ الطوسي(أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ت ٤٦٠) ،تحقيق : واعظ زادة الخراساني ،جماعة المدرسين ، قم ،١٤٠٤هـ .

٤٧. رسائل المرتضى ، الشريف المرتضى(ت٤٢٦هـ) ، تحقيق السيد مهدي رجائي ، دار القرآن ، مطبعة سيد الشهداء ، ١٤٠٥هـ .

٤٨. الروض المعطار في خبر الأقطار ، الحميري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ت ٩٠٠هـ) ، تحقيق إحسان عباس ، مطابع دار السراج، مؤسسة ناصر للثقافة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٠م.

٤٩. رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين ،السيد علي خان المدني (ت١١٢٠هـ)،تحقيق:السيد محسن الحسيني الأميني ، ١٤١٥هـ .

٥٠. زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي(جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧هـ) ،المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب

العربي–بيروت،١٤٢٢هـ.

٥١. سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت٩٤٢هـ) ، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٥٢. سنن الترمذي(الجامع الكبير) ، الترمذي(محمد بن عيسى بن سَوْرة ت ٢٧٩هـ)، تحقيق د. بشار عواد معروف ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ١٩٩٨م .

٥٣. السيرة النبوية ، ابن كثير(أبو الفداء إسماعيل بن كثير ت ٧٧٤ هـ) ،مُستَلًّا مِن كتابه: البداية والنهاية ، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٦ م.

٥٤. شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك ، ابن مالك (بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد بن مالك ت ٦٨٦ هـ) ،المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٥٥. شرح أصول الكافي ، المازندراني(محمد صالح (ت ١٠٨١هـ) ، تحقيق : علي عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، مؤسّسة التاريخ العربي ، بيروت- لبنان ، ط٢ ، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٥٦. شرح الصحيفة السجادية ، السيد محمد الشيرازي ، مطبعة النعمان ، النجف الأشرف ، ١٩٦٧م.

٥٧. شرح كتاب سيبويه ، السيرافي(أبو سعيد لحسن بن عبد الله بن المرزبان ت ٤٦٨هـ) ، تحقيق أحمد حسن مهدلي و علي سيد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٨م.

٥٨. شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد(ت ٦٥٦هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، منشورات مكتبة المرعشي النجفي.
٥٩. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل في الآيات النازلة في أهل البتي صلوات الله وسلامه عليهم ، الحافظ الحاكم الحسكاني(عُبيد الله بن عبدالله بن أحمد(من أعلام القرن الخامس الهجري) ، تحقيق : محمد باقر المحمودي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ط٢ ، ١٤٣١هـ ـ ٢٠١٠م .
٦٠. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٦١. الصحيفة السجادية الجامعة لأدعية الإمام علي بن الحسين عليه السلام، تحقيق السيد محمد باقر الأبطحي ،مؤسسة الغمام المهدي ، مطبعة اعتماد ،قم، ١٤٢٥هـ.
٦٢. صفة جزيرة العرب ،ابن الحائك الهمداني(أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الشهير بالهمداني(ت ٣٣٤هـ)، مطبعة بريل - ليدن، ١٨٨٤ م.
٦٣. عصر الظهور ، الشيخ علي الكوراني العاملي ،ط١٧، ١٤٢٧هـ.
٦٤. العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير ،آثار الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ، الشنقيطي(محمد الأمين بن محمد المختار الجكني ت ١٣٩٣ هـ) ،المحقق: خالد بن عثمان السبت،: دار عطاءات العلم (الرياض) - دار ابن حزم (بيروت، ط٥، ١٤٤١ هـ - ٢٠١٩ م)
٦٥. العصمة ، السيد علي الميلاني ، مركز الأبحاث العقائدية ، قم – ايران ، ١٤٢١هـ
٦٦. علل الشرائع ، الشيخ الصدوق(أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن

موسى بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ) ، منشورات المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف ، ١٣٨٥هـ ـــ ١٩٦٦م.

٦٧. علل النحو ، ابن الورّاق (محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن ت٣٨١هـ)، تحقيق محمود جاسم محمد الدرويش ، مكتبة الرشد - الرياض / السعودية ، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م .

٦٨. علي إمام المتّقين ، عبد الرحمن الشرقاوي، ١٨٩٨٥ م.

٦٩. عمدة الكتاب وعُدَّةُ ذوي الألباب ، الصنهاجي(المُعِزّ بن بادِيس بن المنصور التَّميمي الصنهاجي ت ٤٥٤هـ) ، تحقيق وتقديم نجيب مايل العروي وعصام مكّية، مجمع البحوث الإسلامية، إيران ، ١٤٠٩هـ .

٧٠. عون المعبود ، محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت ١٣٢٩هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط٢ ، ١٤١٥هـ .

٧١. عيون أخبار الرضا ، الشيخ الصدوق(أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي(ت٣٨١هـ) ، مطبعة أمير ، منشورات الشريف الرضي ، قم المقدّسة ، ١٣٧٨هـ.

٧٢. عيون أخبار الرضا ، الشيخ الصدوق(أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمّي(ت٣٨١هـ) ، مطبعة أمير ، منشورات الشريف الرضي ، قم المقدّسة ، ١٣٧٨هـ.

٧٣. الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، دار المعرفة ، لبنان ، ط٤ .

٧٤. الكافي ، الشيخ الكليني(ثقة الاسلام) ، محمد بن يعقوب الكليني(ت ٣٢٨ ـ ٣٢٩ هـ) ، تحقيق علي اكبر غفاري ، دار الكتب الاسلامية ، مطبعة حيدري

، ط٣ ، ١٣٨٨هـ .

٧٥. الكتاب سيبويه ، سيبويه(عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه ت ١٨٠هـ) ،المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ط٣ ، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

٧٦. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، الزمخشري(ت ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، ط٣ ، بيروت ، ١٤٠٧هـ .

٧٧. كفاية الأثر في النص على الائمة الاثني عشر، الخزّاز القمّى (ابو القاسم على بن محمد بن على الرازى ت ،تحقيق : عبد اللطيف بن على اكبر الحسينى ،انتشارات بيدار ،مطعة الخيام – قم، ١٤٠١ هـ

٧٨. كمال الدين وتمام النعمة ، الشيخ الصدوق(أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت ٣٨١ه) ، صححه وعلّق عليه علي أكبر غفاري ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، إيران ١٤٠٥هـ .

٧٩. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، المتقي الهندي(علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي (ت ٩٧٥هـ) ، تحقيق : بكري حياني و صفوة السّقّا ، مؤسسة الرسالة ، ط٥ ، ١٤٠١هـ ـــ ١٩٨١م.

٨٠. اللامات المؤلف: عبد الرحمن بن إسحاق البغدادي النهاوندي الزجاجي، أبو القاسم (ت ٣٣٧هـ) المحقق: مازن المبارك ، دار الفكر، دمشق ، ط٢، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م .

٨١. لسان العرب،ابن منظور،(جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري(ت٧١١هـ) ،طبعة مصورة عن طبعة بولاق، مطابع كوستاتسوماسن،(د.ت).

٨٢. مجاز القرآن ، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري ت ٢٠٩هـ) ،المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى – القاهرة ،: ١٣٨١ هـ .

٨٣. مجمع البيان ، الطبرسي(رضي الدين أبي النصر الحسن بن الفضل ت ٥٤٨هـ) ، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين ، تقديم : السيد محسن الأمين العاملي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، ١٤١٥هـ ـــ ١٩٩٥م .

٨٤. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو بكر الهيثمي(ت ٨٠٧هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـــ لبنان ، ١٤٠٨هـ ـــ ١٩٨٨م .

٨٥. المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده(أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي ت ٤٥٨هـ)، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م .

٨٦. المسالك والممالك ، ابن خرداذبة(أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ت نحو ٢٨٠هـ) ، دار صادر أفست ليدن، بيروت ، ١٨٨٩ م .

٨٧. مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي(ت ١٤٠٥هـ) ، تحقيق: الشيخ حسن بن علي النمازي ،مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرّسين ، قم ، ١٤١٩هـ .

٨٨. مسند أحمد ، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد وآخرين ،إشراف د.عبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢١هـ ـــ ٢٠٠١م.

٨٩. معاني الأخبار،الشيخ الصدوق(أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي ت ٣٨١هـ)،تحقيق : علي أكبر غفاري،مكتبة الصدوق ،طهران ،١٣٧٩هـ ،١٩٥٩م.

٩٠. معاني القرآن ن الفراء(أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور

الديلمي الفراء ت ٢٠٧هـ) ،المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار،عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر.

٩١. المعجم الأوسط ، الطبراني (سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد و عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار الحرمين ، القاهرة .

٩٢. معجم البلدان ، ياقوت الحموي(شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي ت ٦٢٦هـ) ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٥م.

٩٣. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، البكري (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي ت ٤٨٧هـ) ، عالم الكتب، بيروت ، ١٤٠٣ هـ .

٩٤. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الدكتور جواد علي (ت ١٤٠٨هـ) ، دار الساقي ، ط٤ ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م .

٩٥. المفصّل في صنعة الإعراب ، للزمخشري(ت ٥٣٨ ه) ، تحقيق علي أبو ملحم ، مكتبة الهلال ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٣م .

٩٦. المقتضب، المبرد،(أبو العباس محمد بن يزيد، ت٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، ١٣٥٨هـ.

٩٧. الملاحم والفتن ، ابن طاووس(السيد علي بن موسى) مطبعة نشاط ، اصفهان ، إيران .

٩٨. مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب(أبو جعفر محمد بن علي (ت ٥٨٨هـ) ، تحقيق : د. يوسف البقاعي ، دار الأضواء ، ط٢ ، ١٤١٢هـ ـــ ١٩٩١م.

٩٩. المنمّق في أخبار قريش ، ابن حبيب (محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي ت ٢٤٥هـ) ، لمحقق: خورشيد أحمد

فاروق ، عالم الكتب، بيروت ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٠٠. ميزان الاعتدال ، شمس الدين الذهبي(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز ت ٧٤٨هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت – لبنان ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

١٠١. ميزان الحكمة ، محمد الريشهري ، تحقيق وطباعة ونشر : دار الحديث ، الطبعة الأولى ، د.ت .

١٠٢. الميزان في تفسير القرآن ، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي(ت١٤٠٢ه) ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، قم ، ايران .النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير (مجد الدين بن محمد الجزري ت ٦٠٦ه) تحقيق طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

١٠٣. نهج البلاغة ، الإمام علي بن أبي طالب ـ عليه السلام ـ ، جمع الشريف الرضي، تحقيق الشيخ محمد عبده ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان .

١٠٤. وسائل الشيعة الى تحصيل مسائل الشريعة ، الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي(ت ١١٠٤ه) ، تحقيق مؤسسة آل البيت ـ عليهم السلام ـ لإحياء التراث ، ط٢ ، ١٤١٤ه، مطبعة مهر ، قم .

١٠٥. يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، الثعالبي(عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ت٤٢٩هـ) ، تحقيق د. مفيد محمد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

١٠٦. ينابيع المعاجز وأصول الدلائل ،السيد هاشم البحراني (ت ١١٠٧هـ) ،العلمية ، قم ،إيران .

١٠٧. ينابيع المودّة لذوي القربى ، الشيخ سليمان القندوزي(ت ١٢٩٤هـ) ، تحقيق سيد علي جمال أشرف ، دار الأسوة للطباعة والنشر ، ط١ ، ١٤١٦هـ

فهرست

الإهداء ٥
المقدمة ٧
الفصل الأوّل ١٠
صورة أهل البيت في الصحيفة السَّجّاديّة ١٠
النبيُّ ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ : ١١
صفاتُ أهلِ البيت عليهم السلام: ٢٢
مزايا أخرى لأهلِ البيت عليهم السلام: ٣٠
خاتمة الفصل ٣٧
الفصل الثاني ٣٨
الإمام الحجةُ بنُ الحسن عجّل الله فرجه ٣٨
الغيبة الأولى والغيبة الثانية ٣٩
الغيبة الكبرى: ٤٣
فضل أهل زمان الغيبة : ٤٦
علامات الظهور : ٤٧
سنن الأنبياء السابقين في الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ : ٥١
أصحاب الإمام المهدي ـ عليه السلام ـ : ٥٩
الدعاء للإمام المهدي ـ عليه السلام ـ : ٦١
كلمات قصار في الإمام المهدي : ٧٤
كلمة في ختام الفصل ٨٠

الفصل الثالث ٨٢
دعاء ختم القرآن..... ٨٢
الفصل الرابع ١٠٦
دعاء ختم القرآن/ القسم الثاني ١٠٦
المصادر والمراجع ١٤١